

## المقدمة

حمدا لمن جعل مكة مهوا أفئدة المؤمنين تحقيقا لدعوة  
ابراهيم عليه السلام وشرفها ببعث خاتم الانبياء والمرسلين  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ومعبد ...

تهفو أفئدة المسلمين في شتى بقاع الأرض الى الأرض المقدسة  
حيث الكعبة المشرفة في مكة ومشى النبي الكريم في المدينة المنورة .  
وحق علينا أن نبحث في تاريخ الحجاز في العصور المختلفة على امتداد  
العصر الاسلامي . وكان لي شرف كتابة رسالة لدرجة الماجستير  
عن مرافق الحج والخدمات المدنية في الأرض المقدسة منذ السنة الثامنة  
للهجرة حتى سقوط بغداد . فشعرت أن تاريخ بلاد الحجاز لا يزال  
بحاجة الى بحوث عدة . فكان اختياري لموضوع بلاد الحجاز منذ بداية  
عهد الاشراف حتى سقوط بغداد ، موضوعا لبحث جديد اتقدم به  
لدرجة الدكتوراه .

فقد ظل أمر مكة والمدينة في يد ولاية من رجال الدولة الاسلامية  
يعينهم الخلفاء الأمويون ثم العباسيون من غير أهل البلاد غالبا ، ودون  
العلويين من آل الحسن أو آل الحسين ابنى على بن أبى طالب بصفة

خاصة . فهو "لا" قد ابعدوا تماما على أية ولاية لهم على مكة أو المدينة وظلوا مجرد رعايا يعيشون بالحجاز أو يخرجون الى مختلف الأمصار . ولا شك أن هو "لا" العلويين كانوا غير راضين عن ابعادهم عن أمور الولاية فضلا عن انقلاب الخلافة الى بني أمية ثم بني العباس دونهم . ثم ان بطش الخلفاء بهم وفشل ثورتهم الجأت فريق الشيعة الاسماعيلية الى مبدأ تستر الأئمة وأسلوب الدعوة السرية الى الامام المهدي في مختلف أنحاء العالم الاسلامي في المشرق والمغرب ، حتى أعلنت الخلافة الفاطمية في افريقيا أواخر القرن الثالث الهجري .

ولما كانت الخلافة الفاطمية تو "من بسيادتها الشرعية على العالم الاسلامي دون الخلافة العباسية في بغداد أو الخلافة الأموية التي أعلنت بالاندلس في العقد الثامن من القرن الرابع الهجري ، فانها دخلت في صراع طويل لتحقيق تلك السيادة . فكان امتداد الخلافة الفاطمية نحو المشرق بد "ا ببرقه ثم مصر والشام وكذا الجزيرة العربية .

وإذا كان الفتح الفاطمي لمصر والشام قد تم بالقوة العسكرية ، فان النفوذ الفاطمي في الحجاز قد جاء بطرق سلمية مهد له الفاطميون بحذف

ومهازة • فنراهم يشجبون أعمال القرامطة دعاة الاسماعيلية الذين هاجموا مكة عام ٣١٧ هـ واعملوا النهب والقتل • وأكثر من ذلك اقتلاع الحجـر الاسود • حتى أعادوه الى مكانه عام ٣٣٩ هـ بمساعى الخلفاء الفاطميين المهدي ثم القائم ثم المنصور •

كذلك سمى المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع الى عقـد الصلح بين الأسرات العلوية المقيمة بالحجاز واصلاح ذات بينهم وتحمل ديـات القتلى منهم عن طريق سفاره أرسلها لهذا الغرض • وقد رجـحنا أن لهذه السفاره غرضاً سرياً آخر وهو الاتفاق على دخول السـيـاده العلويين في تبعية الخلافة الفاطمية بسبب ماقدمته من أيادى بيضـاء وماينهم من قرابه • على أساس توليتهم أمر مكة والمدينة ومساعدات مالية وعينية ترسل اليهم سنوياً • وتحدد تنفيذ هذا كله بنجاح الفتح الفاطمي لمصر •

فما أن تم ذلك الفتح عام ٣٥٨ هـ حتى بادر جعفر بن محمد وبنى سليمان من آل الحسن بن على بن أبى طالب بتقلد أمر مكة والدعوة باسم الخليفة الفاطمي في خطبة الجمعة وكذلك طاهر بن مسلم من آل الحسين

ابن علي بن أبي طالب بالمدينة عام ٣٦٠ هـ .

وهكذا جاز تولى السادة من آل البيت شؤون الحجاز بشكل استقلال ذاتي في إطار التبعية في الخلافة الفاطمية صار يطلق عليهم لقب الاشراف .  
وان كان الفصل الأول من هذا البحث الذي تناول الناحية السياسية قد تعرض لتلك الظروف التاريخية التي أدت الى قيام حكم الاشراف في الحجاز فقد صاحب ذلك بداية فكر اسلامي جديد مؤداه أن من يدعي باسمه على منابر الحرمين الشريفين فهو صاحب السيادة الشرعية في كافة أنحاء العالم الاسلامي . ومن ثم ظهر التناقض الشديد بين الخلافتين العباسية السنية والفاطمية الشيعية حول الحجاز . ووجد الاشراف في الاعتراف بهذا الخليفة أو ذاك وسيلة لضمان وصول الاعطيات السنوية دون انقطاع ولهذا تعرض البحث الى تلك التطورات التي صاحبها استخدام القوة العسكرية أحيانا مما أدى الى بعض الاضطرابات .

وكما أنهى صلاح الدين الايوبي الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ فقد اهتم أيضا بأمر الحجاز واليمن لاسباب سياسية واقتصادية واستراتيجية أيضا . فدخل اشراف مكة في طاعة الايوبيين ، كما حكم فرع أيوب بلاد



اليمن وقام الايوبيون بواجبهم فى حماية الاراضى المقدسة من اعتداءات الصليبيين . وبلغ النقود الايوبى ذروته بالحجاز عن طريق هذا الفسـرع الايوبى فى اليمن الذى أتاحت له فرصة التدخل المباشر فى ظروف النزاع بين الأخوة على منصب الامرء فى مكة بأن أوجد له نائبا مقيما فيها بجوار الشريف الذى لم يكن شيئا مذكورا بجانب هذا النائب الذى صار لـه امرة الحرمين وقيادة الجند وادارة المال .

ولم يلبث أن ورث بنو رسول الايوبيين حكم اليمن مستمرا فى تثبيت نفوذهم على مكة ولهذا شاهدت مكة صراعا بين اليمن ومصر ظهر فى مواسم الحج من كل عام . لمن يكون له شرف التقدم والرئاسة لأمير الحج اليمنى أم لأمير الحج المصرى .

كذلك تضمن هذا الفصل دراسة الأحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف أولا لبحث العلاقة بين الاشراف وحكام مكة ، وهل كان الوئام والاتفاق يسود سائر بيوتات العلويين بالرضا عن الشريف القائم بالحكم ؟ واثبت البحث أنه بجانب انتقال الحكم الى ثلاث أسر متعاقبة من آل الحسن هم بنو سليمان ثم الهواشم ثم بنو قتاده ، فقد أصاب هذه الأسـرات

آفة الصراع بين أسراتها وخاصة في عهد الهواشم وبنو قتاده وصل الى حد اغتيال الابن وأبيه وعمه ، والنزاع بين الأخوة وأولاد العم ، واستنجد الاطراف المتنازعة بقوة خارجية بشكل أحدث الاضطرابات والقتال الكثيرة والمعارك التي سقطت فيها كثير من القتلى والجرحى .

كذلك تعرضنا لدراسة العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة ، وظهرنا مدى تطلع بنى قتادة حكام ينبع سابقا الى ضم امرة المدينة اليهم بجانب امرة مكة حتى يصبحوا ملوك الحجاز . ثم انتقلنا الى دراسة أوضاع عرب الحجاز سواء بنصرة بعض أشراف أو الانقضاء عليهم من ناحية ، وتأثير ذلك على حالة الأمن والفساد من ناحية أخرى .

كذلك شملت هذه الأحوال الداخلية سياسة الأشراف بحكم الحجاز وخاصة في مسألة المكوس التي كان الاشراف يعتبرونها حقا من حقوقهم يحصلونها من الحجاج والتجار الذين يغدون في الموسم من كل عام بموارد مالى بجانب ما يرد اليهم من أعطيات الخلفاء الفاطميين أو العباسيين . وكما لعبت تلك الاعطيات دورها في اقرار الاشراف التبعية لائمن الخليفتين كذلك ظهر أثر انقطاعها أو قلتها الى التجار الاشراف الى تعويضها بغرض المكوس

وخلصنا من استعراض تاريخى لفرض الكوس أو الغائها الى ماكان هناك من  
قلاقل واضطرابات تحدث بشأنها رغم سياسة الايوبيين فى وقف مثل هذه  
الكوس فى نظير المساعدات المالية السنوية .

ثم جاء دراستنا لبعض النواحى الحضارية ببلاد الحجاز بادئين ببحث  
امارة الحج ؛ وخدماته والوظائف التابعة لامير الحج ونظام الامارة منذ نشوئها  
فى عهد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - والمهام التى يقوم بها أمير  
الحج فهى امانة وقتية يتم تعيين أمير الحج فى كل سنة مع خروج الكوس  
ومع أهميتها بالنسبة لاداء الركن الخامس من أركان الدين ، هذا مع بيان  
الاشخاص الذين يعملون مع أمير الركب لمساعدته فى تقديم الخدمات اللازمة  
للحجاج من مبشرين وحاملى المشاعل والطباخين وغيرهم . ثم تحدثت عن  
كسوة الكعبة المشرفة وكسوة الحجرة النبوية الشريفة ونفقات هذه الكسوة وأمكنة  
صانعها مع ابراز أهم المنسوجات التى تصنع منها هذه الكسوة والآيات  
القرآنية التى تكتب على الكسوة مع بيان فترة التنافس بين الخلافتين العباسية  
والفاطمية ومحاولة كل خلافة كسب ولاء أمير مكة بالاسراع فى ارسال الكسوة اليه ،  
ودور الكسوة فى صبح هذا التنافس بين الخلافتين بطابع دينى سياسى .

كذلك شمل هذا البحث طرق الحج في مصر والشام والعراق واليمن مع وصف عام لكل طريق والخدمات التي قدمت في هذه الطرق ودور الاعراب قاطنى هذه الطرق وكيف كانوا يملأون الطرق بالامن والاستقرار اذا أرسلت لهم الاعطيات ويملاؤها بالرعب والخوف اذا تأخرت عنهم الاعطيات .

وتناول الفصل الثالث ( الأحوال الاقتصادية ) وتشمل النشاط التجارى فى مدن وموانئ " الحجاز التجارية والسلع التى كانت ترد الى بلاد الحجاز والعلاقات الاقتصادية بين الحجاز والمدن الاسلامية . ثم تعرضت للضرائب والكوس وطرق جهايتها المختلفة . وأبرزت الحرف التى كانت متوفرة فى بلاد الحجاز وأهمية هذه الحرف بالنسبة للسكان عموما والصناعات الستى كانوا يزاولونها وأهمية هذه الصناعات فى الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز وأخيرا تحدثت عن دار ضرب العملة الذى أنشئ فى مكة المكرمة ودور اعطيات الخلفاء لولاة الحجاز وأهمية هذه الاعطيات بالنسبة لسولاة مكة والمدينة .

وناقش الفصل الرابع ( الحياة الاجتماعية ) فى بلاد الحجاز اذ أبرزت فيه طبقات المجتمع الحجازى فى كل من المدينتين المقدستين مكة المكرمة

والمدينة المنورة وما امتازت به هذه الطبقات في هذا المجتمع الذي يعتبر هو حصة خليط المجتمعات الاسلامية التي أتت الى مكة وجاورت فيها واستقرت حتى أصبح أفراد هذه المجتمعات الواقعة جزءاً من السكان الاصليين ثم ناقش البحث العادات الدينية التي امتاز بها سكان الحجاز وانتشرت بينهم حتى أصبحت أعياداً يقومون باحيائها في كل عام كما تحدثنا عن العادات الاجتماعية في هذا المجتمع الذي يعتبر خليط من عادات المجتمعات الاسلامية المختلفة بجانب الأعياد والمواسم والاحتفالات المختلفة والأطعمة والأشربة التي كانت منتشرة في هذا المجتمع ثم تحدث عن المنشآت الاجتماعية في مكة والمدينة والتي تتمثل في الأربطة ودورها في الحياة العلمية .

وتناول الفصل الخامس الحياة العلمية والعمرانية مبرزاً المراكز العلمية وعلى رأسها المسجدين الحرام والنبوي الشريف ثم الكتاتيب والمدارس وأشهر العلماء الذين تصدوا للتدريس في هذه المراكز ، وكذلك العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ، ثم تحدث عن الحياة الأدبية وأشهر الأدباء والعلماء والمجاورين بالحرمين الشريفين ومشاهير القضاة والحياة

العمرانية مبتدأ بتوسعة المسجدين الحوام والنبوى وأيضا تحدثت عن بناء  
المساجد وتجديدها وبناء الأسوار حول المدن والاعلام وأخيرا بنى  
القلاع والحصون وتجديدها وأهمية هذه القلاع والحصون فى صد غارات  
المعتدين على هذه المدن الاسلامية .

ويجدر بنا أن نقدم دراسة نقدية لأهم مصادر البحث التى أمدتنا  
بالمادة العالمية لهذه الرسالة وأهمها المصادر المخطوطة .

ابن فهد : كتابه ( اتحاف الورى ) :

أمدنا بمعلومات واقية عن الحوادث التى وقعت فى مكة ورتب كتابه  
حسب السنين وأيضا أمدنا بمعلومات عن الحياة العلمية فى بلاد الحجاز  
وذكر لنا أشهر العلماء .

الرشيدى : ( حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى اماره الحاج ) :

اشتمل كتابه على معلومات وفيرة عن اماره الحج وطرقه الرئيسية وأهم  
الحوادث التى وقعت فى هذه الطرق وورد بعض الأمراء فى القضاء على  
هذه الحوادث .

الصباغ : ( تحصيل الموم في أخبار البلد الحرام ) :

استفدت من كتابه في معرفة بعض الواقديين والمجاورين وأهمية الارتبطة

في الحياة العلمية •

ابن الضياء ( تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة المنورة ) :

تحدث الموم لف في كتابه هذا عن تاريخ مكة المكرمة ووصفه الكعبة المشرفة  
وحجر اسماعيل عليه السلام واهتم بوصف المدينة المنورة وركز على وصفه  
المسجد النبوي الشريف والاصلاحات التي طرأت عليه والاضافات التي  
عملت له كما ذكر لنا وصفا دقيقا عن الحجرة النبوية الشريفة •

محمد بن علس الحسيني ( اتحاف الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ) :

وهو من جزءين يهمننا في بحثنا الجزء الأول منه الذي خصصه موم لف  
للحديث عن تاريخ مكة وأمراءها من بني الحسن حتى سنة ٦٦٠ هـ وقد اهتم  
الموم لف في هذا الجزء بابراز محاسن أمراء بني الحسن ولم يذكر شيئا عمن  
مساوئهم كما تحدث عن الحياة السياسية في مكة •

الفاسى ( تحفة الكرام فى اخبار البلد الحرام ) :

هذا الكتاب مختصر لكتاب المؤلف ( شفاء لفرام ) وقد أبرز فيه  
المنشآت التى أقامها سلاطين بنى رسول بالحجاز مثل الآبار والسبيل  
والأربطة والمدارس.

ابن الأثير ( الكامل ) :

من أهم المصادر التاريخية التى أمدتنا بمعلومات تاريخية عن بلاد الحجاز  
فى العصرين الفاطمى والايوبى .

ابن واصل ( مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ) :

أمدنا بمعلومات قيمة عن بلاد الحجاز فى العصر الايوبى لذا يعد من أهم  
الكتب لموضوع البحث.

ابن أبيبك ( كنز الدرر وجامع الغرر ) :

المؤلف من علماء القرن الثامن الهجرى ذكر لنا فى كتابه تراجم الحكام  
والخلفاء والسلاطين حتى منتصف القرن الثامن الهجرى .



القاسى ( العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين ) - ( شفاء الغرام ) :

اهتم المؤلف فى الكتاب الاول بذكر التراجم لعسوم العلماء والقضاة  
الذين عاشوا فى مكة .

وفى الكتاب الثانى اهتم بأخبار البلد الحرام وبالنواحى الاجتماعية  
والسياسية والعمرانية وأمدنا بمادة علمية وفيرة .

ابن النجار ( الدرة الثمينة فى أخبار المدينة ) :

هذا الكتاب من المصادر الهامة لموضوع البحث لانه يمتاز بذكر الحىصة  
الأدبية بالمدينة المنورة وقد أمدنا بمعلومات فى الفصل الخامس من هذه  
الرسالة .

الفاكهى ( المنتقى فى أخبار أم القرى ) :

اهتم المؤلف فى الحياة الاجتماعية والعلمية فى مكة المكرمة وأمدنا بدراسة  
عن النواحى الاقتصادية لبلاد الحجاز .

النهر والى ( الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ) :

هو محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن محمد بن قاضى خـان

ابن بها<sup>١</sup> الدين بن يعقوب بن حسن بن علي ولد سنة ٩١٧ هـ وتوفي سنة ٩٩٠ هـ كان من أعيان سكان مكة عمل مدرسا بالمدرسة السليمانية ولله مؤلفات كثيرة منها تراجم طبقات الحنفية • وكتابه الاعلام أمدنا بمعلومات عن الحياة الاجتماعية والعلمية والعمرانية في بلاد الحجاز •

ابن ظهيرة ( الجامع اللطيف ) :

ألقى المؤلف في هذا الكتاب الضوء على النواحي السياسية لبلاد الحجاز أم النواحي الاقتصادية فقد جاءت مختصرة •

ابن خلدون ( العبر وديوان المبتدأ والخبر ) :

أمدنا بمعلومات عن أمراء مكة فترة التنافس بين الفاطميين والعباسيين كما أمدنا بمعلومات عن أمراء المدينة من بني مهنا وأحوال بلاد الحجاز في عهد صلاح الدين •

المقريزي :

من مؤرخي تاريخ مصر • أمدنا بمعلومات قيمة عن الحياة السياسية والحج وأمارته والمنشآت الاجتماعية المختلفة التي أنشئت بمكة •

وللمقريزى عدة مؤلفات أهمها :

- ( ١ ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
  - ( ٢ ) اتعاظ الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .
  - ( ٣ ) السلوك بمعرفة دول الملوك .
  - ( ٤ ) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك .
- وقد استفدت من الكتاب الأول بما ذكره المؤلف عن بناء أسوار حول المدن وعن النواحي العلمية .
- أما الكتاب الثانى فقد أمدنى بمادة علمية تبين اهتمام خلفاء الدولة الفاطمية ببلاد الحجاز والتنافس الذى حدث بين الخلافتين العباسية والفاطمية .
- ومن الثالث مددت بمعلومات وفيرة عن العصر الأيوبي والحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز .
- ومن الرابع أخذت معلومات تاريخية عن كل من حج من الخلفاء من بغداد أو القاهرة وما جهزه الخلفاء وما قدموه لأهالى الحرمين .

السمهودى ( وفاء الوفا ) :

من الكتب المتخصصة فى تاريخ المدينة ••

ذكر لنا الزيارات التى حدثت للمسجد النبوى الشريف وزودنا بمعلومات

وفيرة عن الحياة الاجتماعية والعمرانية والعلمية •

المسحاوى ( التحفة اللطيفة ) :

من الكتب المتخصصة فى تاريخ المدينة

اهتم بالتراجم والحديث عن العلماء والقضاة الذين جاؤوا فى المدينة •

الخزرجى ( العقود اللو' لو'ية فى تاريخ الدولة الرسولية ) :

يتحدث المؤلف عن نشأة دولة بنى رسول وعلاقاتهم الخارجيين

والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى عهد دولتهم ومدى تأثير اليمن

بالحجاز فى هذه الحقبة الزمنية •

ابن الديبج ( قرة العيون فى أخبار اليمن الميمون ) :

يتحدث هذا الكتاب عن تاريخ بلاد اليمن منذ عصر الولاة حتى نهاية دولة

بنى رسول وقد أمدنا بمادة علمية وفيرة عن الحياة السياسية فى عصر الصليحيين

ومدى علاقاتهم بأمراء الحجاز وخلفاء الدولة الفاطمية ودورهم في نشر  
المذهب الشيعي ثم تنافس بني رسول والأيوبيين على بلاد الحجاز .

يحيى بن الحسين ( غاية الأمانى فى أخبار القطر اليماني ) :

رتب المؤلف فى كتابه الحوادث ترتيباً زمنياً وتحدث عن سيطرة  
الأيوبيين على بلاد اليمن ثم سيطرة بني رسول وأمدنا بمعلومات قيمة عن  
الأحوال السياسية فى هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث .

ابن تغرى بردى ( النجوم الزاهرة ) :

تحدث هذا الكتاب عن فترة تنافس العباسيين والفاطميين وعن الحياة  
العلمية فى بلاد الحجاز .

أما كتب الرحلات فقد كان لهادور بارز فى معرفة الحياة الاجتماعية والعلمية  
لبلاذ الحجاز وأهم هذه الكتب :

١- سفرنامه ( ناصر خسرو ) :

من أقدم كتب الرحلات وقد ولد مؤلفه ناصر خسرو سنة ٣٩٤ هـ وقام  
برحلته فى الفترة من ٤٣٧ - ٤٤٤ هـ مبتدئاً من مدينة ( مرو ) بخراسان

حتى وصل الى بلاد الشام وفلسطين ومصر ثم أتى الى مكة حاجا وقصد المدينة  
ثم عاد الى العراق وايران والى كتابه فى عهد الخليفة المستنصر الفاطمى  
وذكر لنا الأعطيات التى كان يرسلها الخليفة لأمرأى مكة والمدينة كما ذكر لنا  
وصفا دقيقا عن أحوال المجاورين بالمدينتين المقدستين •

### ( ٢ ) الرحلة ( ابن جبير ) :

تحدث مؤلف هذا الكتاب عن أحوال بلاد الحجاز زمن صلاح الدين  
ووصف لنا الطريق البحرى المؤدى الى مكة وصفا دقيقا موضحا الصعوبات  
التي كانت تواجه الحجاج فى هذا الطريق كما أمدنا بمعلومات عن الاعتداء  
الصليبي على البحر الأحمر وموقف السلطان صلاح الدين من هذا الاعتداء  
وأضرب لنا صورة حسنة عن الحياة الاجتماعية فى كل من المدينتين مكة  
المكرمة والمدينة المنورة •

### ( ٣ ) ابن بطوطة :

من أشهر كتب الرحالة التى أمدتنا بمعلومات وفيرة عن الحياة الاجتماعية  
والعادات الدينية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة •  
كما حدثنا مؤلف عن الحياة العلمية فى بلاد الحجاز ودور المدارس  
والكتاتيب والأربطة فى هذه الحياة •

ولا يسمعنى فى النهاية الا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان  
بالجميل لأستاذى العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد أمين  
صالح أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة لتفضله  
بالإشراف على هذه الرسالة وإنارة الطريق لى بتوجيهاته وإرشاداته  
وفتح أمامى مغاليتى ما استعصى من هذا البحث بغزير علمه فجـزاء  
الله عنى وعن طلابه خير الجزاء •

كما أشكر أساتذتى الأفاضل الذين شاركوا فى قراة هذا البحث  
وتحملوا مشقة مناقشتى رغم مشاغلكم وأسأل الله سبحانه وتعالى  
التوفيق والسداد •

انه سميع مجيب الدعاء •

\* \* \*

# الفصل الأول

## الحياة السياسية في بلاد الحجاز



## أولا : الحجاز قبيل حكم الأشراف

### توطئته :

زالت الأهمية السياسية لبلاد الحجاز التي كانت مقر الدعوة الإسلامية ومركز الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في مواجهة الأمصار الإسلامية الناشئة ، فتحولت بلاد الحجاز الى مجرد ولاية تابعة لسلطان الأمويين ثم العباسيين ، ومع كل فقد ظل الحجاز ذا مكانة دينية خاصة في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض الذين يأتون كل عام لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة (١) .

ومع كل فان العلويين من آل الحسن وآل الحسين ابن علي بن ابي طالب سكان هاتين المدينتين المقدستين كانوا يشعرون أنهم أصحاب حق مهضوم لانقلاب الخلافة الى غيرهم من الأمويين ثم العباسيين ، فشهدت أرض الحجاز ثورة ابن الزبير في العصر الأموي وكذا ثورتين علويتين في العصر

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ١٢١ .

القاسي : شفاء الغرام ج٢ ص ١٨٠ القاهرة ١٩٥٦ .

دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ص ٦ القاهرة ١٩٧٧ .

السباعي : تاريخ مكة ج١ ، ص ٧٣ القاهرة ١٩٦٢ .

العباسي تمكن الخلفاء العباسيون الأوائل من اخمادها بالبطش والقوة جعلت العلويين في خوف شديد على حياتهم فلجأوا الى السكون وان عمد الأئمة من آل البيت من نسل الحسين الى أسلوب الدعوة السرية لتحقيق أهدافهم في تولي امامة المسلمين (١) .

ومن ثم شهد القرن الثالث نشاط الدعوة الاسماعيلية في جهات متفرقة من العالم الاسلامي وأثمرت الدعوة باعلان قيام الخلافة الفاطمية في المغرب عام ٢٩٨ هجرية في وقت ضعفت فيه الخلافة العباسية أمام سيطرة العناصر التركية على مقدرات الدولة ، وأتت الحجاز على أبواب تطورات سياسية خطيرة (٢) .

---

(١) الفاكهي : المنتقى في أخبار أم القرى ٧٦ دار الكتاب اللبناني ١٩٦٠ .

- الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ١٨٤ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٦١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧ .  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٧٣ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ١٢٣ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ١٨٤ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٦٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٧٤ .

ففى مطلع القرن الرابع الهجرى قامت ثورة علوية بزعامة محمد  
ابن سليمان من آل الحسن فى مكة المكرمة وأعلن نفسه خليفة على أرض  
الحرمين (١) .

ففى موسم الحج عام ٣٠١ هجرية انتهز فرصة تجمع الحجاج وأستولى  
على الامارة التى كانت بيد الوالى العباسى وأعلن نفسه خليفة فى خطبة  
أوردها ابن خلدون (٢) وقال فيها " الحمد لله الذى أعاد الحق الى  
نظامه وأبرز زهرة الايمان من أكمامه وكمل دعوة الرسل بأسباطه مشير الى  
خلافة بنى العباس كانت غير مشرعية وأنهم اغتصبوا الحق من أهله وهم آل بيت  
النبوة .

غير أن المصادر والتاريخ لم تشر الى تفاصيل كثيرة تبين لنا أهداف  
هذه الثورة فهل كانت قاصرة على الحجاز وحده أم كان محمد بن سليمان  
هذا نيهوى استكمال معداته والقضاء على الخلافة العباسية . بل أن تلك  
المصادر تتجاهلت الحديث عن مصير هذه الثورة فظلت مكة تابعة للخليفة

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ١٣٠ .

ابن خلدون : العبر ج٤ ١١ دار لبنان ١٩٧٤ .

القاسى : شفاء الغرام ج٢ ١٨٥ .

سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ١٩ القاهرة ١٩٧٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٢ .

العباسى الذى كان يعين واليا عليها كما يؤكد ذلك ابن خلدون (١) من أن أميرالركب العراقى كان يتولى أمر الخطبة فى الموسم بمكة .

ولم يلبث أن تعرض الحجاز الى هجوم خطير من جانب القرامطة دعاء الفاطميين فى شرق الجزيرة العربية ففى عام ٣١٧ هجرية دخل القرامطة مكة بقيادة أبى طاهر القرمطى واستطاعوا هزيمة ابن محارب الوالى العباسى على مكة الذى لم يستطع لهم وفقا وانتهى الأمر بقتله واستولى القرامطة على مكة (٢) .

ومتنازع المؤرخون الرأى فى الأسباب التى دعت الى قيام أبى طاهر القرمطى مجملته على مكة فيدعى بعض المستشرقين من أمثال أولبرى دى لاسى (٣) .

- 
- (١) ابن خلدون : العبر ج٤ ٣٨ .  
 الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ١٨٧ .  
 ابن ظهيره : الجامع اللطيف ٧٠ .  
 السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٢١ .  
 (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٠٠ .  
 الفاسى : شفاء الغرام ج٢ ١٨٦ .  
 ابن خلدون : العبر ج٤ ٦٨ .  
 السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٢١ .  
 ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ٩٨ .

ان تلك الحملة كانت بتحريض من عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي في المغرب ويدلل على ادعائه بأن أبا طاهر القرمطي قد دعا للخليفة الفاطمي في خطبته عقب احتلال مكة .

ولا شك أن هجوم القرامطة كان من شأنه أضعاف هيئته الخلافة العباسية ويدلل على عدم قدرتها على حماية الحج في الحجاز وهو ما كان يهدف اليه القرامطة والفاطميون معا ومع أن الدكتور سرور<sup>(١)</sup> ينفي أن يكون هناك علاقة سرية بين القرامطة والفاطميون في القيروان في أول الأمر إلا أنه عاد في موضع آخر وأقر بخضوع القرامطة لسلطان الفاطميين . ونرى أن القرامطة أرادوا التقرب للخليفة الفاطمي بهذا الهجوم الذي شنوه على مكة وكتبوا للخليفة الفاطمي ليبارك لهم هذا العمل غير أن الخليفة الفاطمي استنكر هذه الأفعال الشنيعة التي ارتكبوها من قتل ونهب وسلب وانتزاع الحجر الأسود من مكانه فرد عليهم الخليفة بقوله " والعجب من كتب إلينا مبتلا علينا ما ارتكبه واحترمه باسمنا في حرم الله وجيرانه بالأماكن التي لم تنزل الجاهلين تحريم أراقصة الدماء فيها وإهانة أهلها بل تعديت ذلك وقلعت الحجر الأسود وحملته إلى أرضك ورجوت أن تشترك فلسعنك ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل في يومه ما فعله في حساب غده " (٢) .

---

(١) سرور : سياسة الفاطميين الخارجيين ٤٥ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ٨٩ .

وسهما يكن في أمران الحجاز بات في شبه عزلة ان لم يستطع الركب  
العراقي الحضور للموسم مدة عشرين عاما بسبب اعتداءات القرامطة المستمرة  
على قوافل الحجاج علاوة على غارات الأعراب المعتادة في وقت غياب السلطة  
الرادة .

ومع كل فان الخلافة العباسية سرعان ما أعدت العدة للقضاء على القرامطة  
مذ لك عاد نفوذ العباسيين وأقيمت الخطبة فيها للخليفة الراضى عام ٣٣٧هـ (١)  
ولأن الخليفة غير قادر على استمرار حماية الحج والحرمين فقد أسند ولاية  
الحرمين الى والى مصر محمد بن طنج الاخشيدى الذى يقيم الدعوة فى  
المنابر المصرية للخلافة العباسية وان كان يذكر اسمه مع الخليفة فأصبحت  
تقام لابن طنج أيضا فى مكة والمدينة مع الخليفة ولم يعارض المستقضى  
أخو الراضى هذا الاجراء بل أيد به ضم الحجاز كله الى ولاية الاخشيديين (٢) .

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ٣٤٠ .  
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ٣٨ .  
المقرئى : الخطط ج ١ ٢٣٠ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٣٧ .  
دحلان : خلاصة الكلام ٢٧ .  
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ٣٤٨ .  
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ٤٨ .  
سُرور : سياسة الفاطميين الخارجيين ٢٠ .  
سيد كاشف : مصر زمن الاخشيديين ١٥٣ .

على أن ولاية الحجاز لم تدم طويلا أيضا للاخشيديين فعندما  
حاز بننسو بويه على السلطة في مقر الخلافة العباسية وصارت الأمور اليهم  
حاولوا ذكر أسمائهم مع اسم الخليفة في الخطبة في بغداد وسائر  
الأصاار الإسلامية ، وظهر بوضوح هذا النزاع في الحجاز سنة ٣٤٢ هـ  
حيث حاول كل من أمير الحج المصري وأمير الحج العراقي أن يذكر اسم  
صاحبه فقط ولم ينته الأمر الا بعد قتل عنيف انتصر فيه الجانب العراقي  
ودعى لأل بويه مع الخليفة على مثابر مكه (١) .

\*\*\*

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ٥٠٦ .  
الفاسي : شفاء الخوام ج ٢ ١٨٩ .  
الجزيري : درر القوائد ٢٤٤ .  
سيده كاشف : مصر من الاخشيديين ١٥٥ .

### الحجاز بين الخلافتين الفاطمية والعباسية

من المعلوم أن الخلافة الفاطمية كانت تعتقد في سيادتها الشرعية الوحيدة على العالم الاسلامي دون العباسيين في المشرق أو الامويين في الأندلس ، وأن تمسكها بشرعيتها هذه دفعها الى عدم اقتناعها بيسط سيادتها على بلاد المغرب فحسب بل مواصلة سياسية الحرب لاختطاف جميع العالم الاسلامي تحت سلطاتها المباشرة . ومن هنا كان اهتمامها بأمور المشرق منذ البداية سواء تم ذلك بنشاط الدعوة الاسماعيليه أو بتوجيه حملات مباشره في اتجاه الشرق بدءا ببرقه ومصر (١) .

ولا شك أن بلاد الحجاز كانت ضمن برنامج الخلافة الفاطمية اذا كانت مركز الحج ومقر الحرمين الشريفين .

والرغم من أن القرامطة دعاة الاسماعيليه قد غزوا مكة ودعوا للخليفة الفاطمي فان ما اقترفوه من آثام وقتل ونهب بل ونزع الحجر الأسود من مكانه . جعل الخليفة الفاطمي يرفض أن تأتي سيادته على الحجاز بهذا

- 
- (١) المقرئى : اتعاظ الخلفاء ج١ ١٠١ .  
الجزيري : درر الفوائد ٢٤٠ .  
البرادى : الدور السنيه ١٠ .  
السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٧٠ .



الطريق الدموي • ومن ثم فانه ندد بأعمال القرامطة وناشدهم باعادة  
الحجر الأسود الى مكانه • وكانت استجابتهم لندائه واعادة الحجر الى  
مكانه في عهد الخليفة المنصور الفاطمي قد رفعت ومن شأن الفاطميين دون  
العباسيين الذين فشلوا في هذا المعن وهناك عامل آخر رفع صصيت  
الفاطميين بالحجاز حينما نجحت سفارة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي  
لحل المنازعات الأسرية بين العلويين من بني الحسن (١) ونجحت هذه  
السفارة بم عقد الصلح بين العلويين في المسجد الحرام وتحمل الخليفة الفاطمي  
ديات القتلى منهم جميعا (٢) .

واذا كان المعز لدين الله الفاطمي قد أنهى مشاكله في القرب وتفرغ  
لفتح الشرق فاننا نعتقد أن هناك هدفا سريا من وراء هذه السفارة الفاطمية

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢١٧ •  
الجزيري : درر الفوائد ٢٤١ •  
البرادعي : الدرر السنية ١٢ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٧١ •  
(٢) الجزيري : درر الفوائد ٢٤٣ •  
الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ١٨٩ •  
سرور : سياسة الفاطميين ٢٤ •  
البرادعي : الدرر السنية ١٣ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٧٢ •

للحجاز لإبرام الصلح بين أفراد العلويين هناك وهو الاتفاق على توقيت إعلان تبعية الحجاز للخلافة الفاطمية وارتباط ذلك بنجاح الفتح الفاطمي لمصر • ولاشك أن عامل القرابة قد لعب دوراً في إبرام هذا الاتفاق الذي يحقق المصلحة المشتركة لكلا الفريقين على أساس منح العلويين ولاية الحرمين الشريفين علاوة على مساعدات مالية •

فما أن تم الفتح الفاطمي لمصر عام ٣٥٨ هجريه حتى أعلن كبير الأشراف الحسينيين جعفر بن محمد بن الحسن بن بنى سليمان من آل الحسن بن عيسى ابن أبى طالب استقلاله بأمانة مكة والدعوة للخليفة الفاطمي فى خطبة الجمعة (١) وما لبث أن هذا آل الحسين الفاطنيين المدينة المنورة حذو بنى الحسن بأن أعلن طاهر بن مسلم الحسينى استقلاله بأمانة المدينة عام ٣٦٠ هجريه وخطب أيضاً للخليفة المعز (٢) الفاطمي •

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢١٨ •  
المقرئى : اتعاط الحنفاء ج ١ ١٠٤ •  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٢٤ •  
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ٢٤ •  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢١٩ •

- (٢) الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ١٩٠ •  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٤٤ •  
البرادعى : الدرر السنيه ١١٣ •  
سرور : سياسة الفاطميين الخارجيه ٢٤ •  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٠ •

وهكذا تولى السادة من آل البيت<sup>(١)</sup> أمانة المدينتين المقدستين بالحجاز وأصبح يطلق لقب الأشراف على العائلة التي تحكم مكة أو المدينة نسبة الى تشرفهم بأمانة مكة أو المدينة تمييزاً لبقية الاثرات العلوية الذين لم يتولى الامارة .

وظهرت بوادر الخير بالنسبة لأهل الحجاز عندما بدأت الخلافة الفاطمية بإرسال الأموال والخلق الى أشراف الحجاز وأصرائهم وكذلك شحنات من الحبوب والبقول لسكان مكة والمدينة والقرى المجاورة لهما<sup>(٢)</sup> .

ومما تجدد الاشارة اليه أنه منذ بداية النفوذ الفاطمي في الحجاز بدأت

---

(١) آل البيت هم العلويون آل الحسن وآل الحسين ولدى علي بن أبي طالب كم الله وجهه من زوجته السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم واستقرت هاتان الأسرتان في مكة والمدينة واستطاعت بمناصرة الفاطميين الاستقلال بأمانة مكة والمدينة وحينما تولت أمانة مكة والمدينة أطلق عليهما الأشراف لتشريفهم أمانة مكة أو المدينة وأما الأسر التي لم تتولى منها حكم مكة أو المدينة فيسمونهم السادة آل البيت انظر البرداعي : الدرر السنية ص ٤ .

(٢) الجزيري : درر الفوائد ٢٤٥ .

سرور : سياسة الفاطميين الخارجي ٢٤ .

البرداعي : الدرر السنية ص ١٤ .

ظاهرة جديدة في التاريخ الاسلامي وهي التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على اقامة الخطبه لأى منهما على منابر الحرمين الشريفين وقام هذا التنافس على مبدأ أن السيادة الشرعية على العالم الاسلامي تكون لم يدعى باسم على منابر الحرمين الشريفين دون الآخر وما يؤكد هذا ما يرسل سنوا من أموال وأعطيات وهدايا وخلع الى الحكام والأهالي حتى اذا ما انقطع ارسال هذه الأموال فان السيادة تصبح في خطر (١) .

ولعبت هذه الأعطيات دورا بالغ الأهمية في تحديد واستمرار العلاقة المذهبية والسياسية في الحجاز لكل من الخلافتين العباسية أو الفاطمية . فقد واطب المعز لدين الله على ارسال هذه الأعطيات سنوا مع موسم الحج دون انقطاع . فاستمر الدعاء له على منابر الحرمين طوال عهده . وما أن انقطعت هذه الأعطيات في عهد ابنه العزيز تحولت الخطبه للخليفة العباسي الذي أنتهز هذه الفرصة وادربا ارسال أموال كبيره لقمان تبعية مكة له . فاضطر الخليفة العزيز بالله الى ارسال باديس بن زيري الصنهاجي اميلا على

- 
- (١) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٢ .  
الجزيري : درر الفوائد ٢٤٧ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج٤ ٢٩٤ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١٨٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٢٤ .

ركب الحاج المصري عام ٣٦٧ هجرية وأمره بالاستيلاء على الحرمين فما  
مرت هذه الحملة مكة وضيق الحصار على أهلها وأسفرت نتائجها عن إعادة  
الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمي بدلا من الخليفة العباسي (١).

ولم تتأثر المدينة بانقطاع إعطيات الخليفة العزيز الى شريفها بسبب  
ما في أرضها من خيرات زراعية فظل الأمر فيها مستقرا بالولاء للفاطميين  
حتى توفي أميرها طاهر بن مسلم الحسيني وخلفه ابنه الحسن الذي سار  
على نهج والده باعلان تبعيته للخليفة الفاطمي (٢).

وفي سنة ٣٨٤ هـ تولى أمر مكة الشريف أبو الفتح الحسن بن جعفر  
الذي بدأ عهده مخلصا في ولائه باقامة الخطبة لهم على منابر المسجد  
الحرام بمكة (٣).

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢١٩ .
  - ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٠ .
  - دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .
  - سرور : سياسة الفاطميين ٢٤ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٧٣ .
  - (٢) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠١ .
  - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ٣٣٨ .
  - سرور : سياسة الفاطميين ٢٥ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٧٣ .
  - (٣) ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٤ .
  - الجزيري : درر القوائد ٢٤٧ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ١٩٥ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٧٤ .

وما لبث أبو الفتح أن خرج عن طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٤٠٠ هجرية وتم هذا باغراء من الوزير أبي القاسم حسين بن عيسى المغربي الذي خرج عن طاعة خلفاء البيت الفاطمي وجعله ينتحل لقب الخلافة وأخذ له البيعة من قبائل بني سليم وبني هلال وبني عوف وبني عامر<sup>(١)</sup> وقد شد أبو الفتح رحاله بقوة عسكرية لازمة وانتهى به المطاف الى منازل بني الجراح بالرملة بفلسطين واتحد مع أمير طي<sup>٢</sup> وما يمهال الجراح وأقيمت الخطبة له له في منازلهم وفي مدن كثيرة من بلاد الشام أيضا<sup>(٢)</sup>.

ومخرج أبي الفتح وانتحاله لقب الخلافة ومناخدة كل من الامير حسان ابن الجراح والوزير أبو القاسم جعلت الخليفة الحاكم بأمر الله يصدر أوامره

- 
- (١) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٥٤٠  
 ابن خلدون : العبر ج٤ ١٠٨٠  
 دحلان : كرامة الكلام ٢٥٠  
 سرور : سياسة الفاطميين ٢٦٠  
 ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٣٠  
 البوادعي : الدرر السنية ١٩٠  
 (٢) ابن خلدون : العبر ج٤ ١١٣٠  
 المقرئ : اتعاظ الحنفا ج٢ ٩٥٠  
 الجزيري : درر الفوائد ٢٥١٠  
 سرور : سياسة الفاطميين ٢٧٠  
 السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٢٥٠

بعزل أبي الفتوح عن ولاية مكة وعين بدله ابن عمه أبي الطيب داود وشجعه على التخلي عن نصرة أبي الفتوح . والتالى انصرف عامة الاشراف فسي مكة عن خلافة أبي الفتوح ودخلوا فى طاعة الحاكم بأمر الله واستمر الحاكم بأمر الله فى تسليم أظافر أبي الفتوح باستمالة حلفائه فى بنى طى \* مما جعلهم ينحرفون عن أبي الفتوح الذى شعربحرج مركزه وذهب الى الوزير أبي القاسم وقال له " أنت أوقعتنى وأخرجتنى من بلدى وجعلتنى فسى أيدى هؤلاء وأوقعت بينى وبين الخليفة الحاكم والواجب عليك أن تخلصنى كما أوقعتنى " وذهب الى والد حسان رأس المتخلين عنه ، وأعلن التجاءه اليه فأكرمهم فخرج ذلك وأخذ على عاتقه تسوية الأمور فتوسط بينه وبين الخليفة الفاطمى بالصلىح وتنازل أبو الفتوح عن دعوته بالخلافة لقاء عزل أبي الطيب عن ولاية مكة وأخلائها من خصومه وعودته الى حكمها عام ٤٠٣ هجرى (١) .

- 
- (١) ابن خلدون : المعبر ج٤ ١١٥ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٣ .  
مسرور : سياسة الفاطميين ٢٧ .  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٤ .  
السباعى : تاريخ مكة ج١ ١٨٦ .

وهكذا عالج الحاكم بأمر الله تلك الحركة الانفصالية عن خلافتـــــــــــــــــه  
ولم يحاول أبو الفتوح الخروج على طاعة الفاطميين وظل مواليا الى الخلفــــــــــــــــاء  
الفاطميين مدعنا الخطبة للحاكم ثم الظاهر ثم المستنصر حتى توفــــــــــــــــى  
سنة ٤٣٠ هـ . (١)

ثم خلفأبا الفتوح ابنه شكر الذي لقب بتاج المعدالى لما تمتع به من  
شجاعة وقوة لتأديبه القبائل المتمردة عليه حتى لقب بملك الحجاز ، واستمر  
فى ولائه للبيت الفاطمى حتى توفى سنة ٤٥٣ هـ . (٢)

وبوفاة شكر ابن أبى الفتوح دون أن يترك وريثا يتولى أمر الشرافــــــــــــــــه  
بجانب النزاع بين بنو سليمان أنفسهم لاتيحدأُتيحت الفرصة لأحــــــــــــــــد

- 
- (١) القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٦٩ .  
الفاسى ، شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٦ .  
ابن ظهيره ، الجامع اللطيف ص ٨٣ .  
السباعى ، تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٠ .
  - (٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١٩٦ .  
ابن ظهيره ، الجامع اللطيف ، ص ٨٤ .  
الجزيرى ، درر الفوائد ، ص ٢٥٤ .  
ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٦٠ .  
السباعى ، تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨١ .



عبد شكر ليتحكم في أمر مكة ولا يدعو لأى من الخليفتين في خطبة الجمعة  
ما أوجد فراغا سياسيا وأصبح أمير كل ركب يدعو باسم الخليفة التابع  
لـه ، وهذا زاد الأمر سوءا حينما انتزع الشريف محمد بن جعفر من  
الهواشم حكم مكة من بنى سليمان ودعا للخليفة القائم العباسى ٤٥٤ هـ  
والتجأ بنو سليمان الى اليمن ومعهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور  
وصفائح الذهب من الباب والميزان .<sup>(١)</sup> الأمر الذى تطلب تدخلا حاسما  
من جانب الخلافة الفاطمية .<sup>(٢)</sup>

فكان أن عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الى داعيه على بن محمد  
الصليحي حاكم اليمن بمهمة التى تمكن من إعادة النفوذ الفاطمى فى مكة عام

- 
- (١) الفاسى ، شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .  
سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٨ .  
ماجد ، ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٥ .  
(٢) ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ١ ص ٢٣٠ .  
الفاسى ، شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .  
محمد أمين صالح ، علاقة الفاطميين بالصليحيين فى اليمن ص ٦٢ .

٤٥٥ هـ • وناقلا لمنصب الشرافة الى بدأ أسرة جديدة المعروفة  
بالمهواشم • وأوجد بجانب الشريف محمد بن جعفر قوة عسكرية مدربة  
لتوطيد حكم المهواشم وضمان السيادة الفاطمية على مكة وخصص لهم  
المرتبات وجعل قيادتهم بأمر أمير مكة (١)

---

(١) علي بن محمد الصليحي هو الملك الكامل أبو حسن علي بن محمد بن علي  
ابن يوسف بن عبد الجبار الصليحي كان والده قاضيا سني المذهب يقيم  
في حراز وكان له شهرة عظيمة أرسل ابنه عليا الى سليمان بن عبد الله  
الزواجي وتعلم ابنه علي يد هذا الداعية الذي استطاع أن يجنب هذا  
الابن بعد وفاته مذهب السنة وفقهه في مذهب الشيعة الاسماعيلية  
وقبيل وفاته أوصى اليه بالدعوة وأوصى له بكتبه وعلومه ولقد عكف الصليحي  
على هذه الكتب لأنه كان يتمتع بنصيب وافر من الذكاء وحسن الدراية  
وهذا استطاع أن يكون داعي الخليفة الفاطمي في اليمن والحجاز  
لابل في الجزيرة العربية واستطاع أن يوحد اليمن سياسيا وطبيعيا  
وامتد سلطانه الى سواحل البحر الهندي والى عمان شرقا والى مكة  
شمالا والى عدن جنوبا وأحمد عليه خلفاء الدولة الفاطمية بأن  
يكون داعيهم في الجزيرة العربية • انظر :

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٥١ •

ابن الديبع ، قوة العيون ج ١ ص ٣٩ •

عمارة اليمنى ، المفيد ، ص ٩٩ •

خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٠٩ •

واختلفت سياسة الهواشم عن بنى سليمان فى علاقاتها مع الخلافتين  
السنية والشيعة • وان لعبت الاعطيات دورها فى خدمة تلك السياسة •  
فقد ظل الهواشم يحكمون مكة طوال العصر الفاطمى الثانى الذى يمتد  
بضعف الدولة الفاطمية سياسيا واقتصاديا • فكان الهواشم يعرضون نفس  
الاعطيات الواردة من مصر بقبول اعطيات أخرى ترسلها الخلافة العباسية •  
وبالتالى تذبذبت علاقتهم المذهبية والسياسية مع الخلافتين كما مارسوا  
بعض المظاهر الشيعية فى الخطبة وقت تبعيتهم للخلافة الفاطمية (٢) •  
ويوضح ذلك ما ذكره المؤرخون عن عيد الهواشم الشريف محمد بن جعفر  
الذى انقطعت عنه اعطيات مصر بسبب ما حل بها من أزمة اقتصادية أيام  
المعتصم الفاطمى فقبل اعطيات العباسيين والدعوة لهم مع استمرار ذكر

- 
- (١) القرىزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٥ •  
القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٦٤ •  
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٢٠٧ •  
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٨٤ •  
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٦ •  
محمد أمين صالح : علاقة الفاطميين بالصليبيين ص ٦٤ •

عبارة "حتى على خير العمل" بالآذان رغم طلب الخليفة العباسي حذف تلك العبارة الشيعية من الآذان . يريد ذلك الاحتفاظ بعلاقته المذهبية مع الخلافة الفاطمية حتى تحين له الفرصة لإعلان تبعية السياسة أيضا كما حدث عام ٤٦٧ هـ مما جعل أبا المحاسن يصفه بالتلون أو التآرجح<sup>(١)</sup>.

وعلى أثر وفاته سنة ٤٨٦ هـ خلفه ابنه قاسم بن محمد الذي بدأ عهده بولائه للخليفة العباسي واستمر خلفاء الدولة العباسية يواصلون إرسال أعطياتهم إلى أمراء مكة لينالوا ولاءهم<sup>(٢)</sup>.

وحينما قطعت الخطبة عن الخليفة العباسي وأعلن ولائه للخليفة الفاطمي اضطر الخليفة العباسي إلى إرسال حملة عسكرية بقيادة أصميد بن سارنكيين واستطاع إجلاء أمير مكة عنها ولكن أميرها عاد وأجلى أصميد عنها بمنصرة القبائل العربية له مما جعل أمير مكة يحتفظ بولائه للفاطميين واستمر خلفاء الدولة الفاطمية اتفاد أعطياتهم إلى أمير مكة حتى نهاية عهده.

---

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٩ .

الجزيرى : درر القوائد ص ٢٥٩ .

سرور : سياسة الفاطميين ص ٣٥ .

السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٩ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ١٤٢ .

المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٥ .

الجزيرى : درر القوائد ص ٢٦٨ .

القاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ .

السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٢ .

وبوفاته أسندت إمارة مكة إلى الأمير فليته بن قاسم الذي امتاز عهده بإقامة الخطبة للخليفة العباسي ، مع بقاء وده للخليفة الفاطمي بأن جعل الأذان مستمرا كما هو بـ " حتى على خير العمل " وبهذا كسب ود الخلافتين العباسية والفاطمية وهو الأمير الذي استطاع أن يجمع علاقات طيبة بين الخلافتين في مكة . (١)

وفي سنة ٥٢٥ هـ توفي فليته وخلفه ابنه هاشم الذي بدأ عهده بأعمال الخطبة للخليفة الفاطمي الحافظ الذي لم ينهج سياسة والده ، إذ أصبح متأرجحا في علاقته بين الخلافتين حسب وفرة الأعطيات قلة وكثرة . (٢)

ومن الثابت أن أمراء مكة لم يقطعوا جبل المودة مع الخلافة الفاطمية وما يزيد ذلك وضوحا السفارات التي قام بها الشاعر عماره اليمني بين

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ، ٢٥١ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٠ .  
الغساني : المسجد المسبوك ص ٢١٠ .  
القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .  
(٢) المقرئ : اتعاظ الخفيا ج ٣ ص ٢٥ .  
الغساني : المسجد المسبوك ص ٢١٤ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٢ .  
محمد أمين صالح : العلاقة بين الفاطميين والصليحيين ص ٧٢ .

أمير مكة والخليفة الفاطمي سنة ٥٥٠ هـ إذ أن الخليفة الفائز ووزيره الصالح  
طلائع بين رزك الذي أرسله أمير مكة الأمير هاشم برسالة إلى الديار المصرية  
ونظم قصيدة في مدح الخليفة والوزير توضح أنه سيسير من مكة إلى القاهرة  
واستقبله الخليفة في قصره وعاد إلى مكة ومعه الأعطيات والخلع من الخليفة  
حتى أن والى قوص أعطاه مائة أردت من القمح ليوزعها على فقراء مكة (١)  
ثم توجه إلى زيد وفي السنة التالية أتى عمارة اليمنى من زيد إلى مكة حيث  
أدى مناسك الحج فأوفده أمير مكة إلى الوزير الفاطمي طلائع بن رزك يعتذر  
فيها عما ارتكبه الأعراب مع حجاج مصر والشام ، واستطاع أن يمتص غضب  
الوزير وغا عن الوزير والأعراب الذين نهبوا الحجاج (٢).  
وأقام عماره في مصر حتى آخر أيامه وأصبح من أشهر شعراء  
البلاط الفاطمي في عهد الخليفين الفائز والعاقد بالرغم من أنه كان

- 
- (١) المقرئ : اتعاظ الخفا ج ٣ ص ٢٢ .  
القاس : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٩ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٣٠ .  
ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٦ .  
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ص ٢٨٦ .  
ذوالنون المصري : عمارة اليمن ص ٤٢ .  
محمد أمين صالح : العلاقة بين الدولة الفاطمية ص ٧٢ .

سنى المذهب ..... ب . (١)

ومما تجدر الاشارة اليه أن السفارتين اللتين قام بهما عماره اليمنى توضح لنا حرص أمراء مكة على التغرب من الخلافة الفاطمية وكسب رضاهم بالرغم مما تبذله الخلافة العباسية من استمالة هو لا أمراء لصرفهم عن الخلافة الفاطمية (٢) ويعود السبب إلى أن أمراء مكة والمدينة ينتمون إلى البيت العلوى بالإضافة إلى أن الخلفاء الفاطميين هم الذين وطفوا سلطان هذه العلاقات في الحجاز بالرغم من اعتمادهم على الموارد الاقتصادية لهذا فقد التزموا بالحفاظ على السيادة الفاطمية .

وما أن بدأ نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز يضمحل حتى واكبه ضعف الخلافة الفاطمية في مصر وبحلول عام ٥٦٧ هـ تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من إزالة نفوذ الخلافة الفاطمية في مصر وستالي انتهاء فترة الصراع أو التنافس بين هاتين الخلافتين في العالم الاسلامي . (٣)

- (١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ ص ١٠٩ .  
ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٨ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٤٧ .  
الفساني : المسجد المسبوك ص ٣٢٠ .  
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام العباسي ج ٤ ص ٢٩٠ .  
ذى النون المصري : عمارة اليمن ص ٤٤ .
- (٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ ص ٢٤٠ .  
الفاشي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٩ .  
سرور : سياسة الفاطميين ص ٣٦ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٨ .
- (٣) ابن فهد : اتحاف الوري : ورقة ٢٣٧ .  
الفاشي : تحصيل المرام ورقة ٨٥ .  
ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٢٢٩ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٩١ .

### النفوذ الايوبي في الحجاز

بعد أن أنهى صلاح الدين الايوبي الخلافة الفاطمية في مصر عام ٥٦٧ هـ أخذ يتطلع الى مد نفوذه الى بلاد الحجاز ويعيدها الى نطاق الخلافة العباسية السنية حتى يبدو في نظر المسلمين أنه حامى حى الحرمين الشريفين مما يتيح له فرصة بسط سيادته على العالم الاسلامى من ناحية والسيطرة على تجارة البحر الاحمر من ناحية ثانية ، وكذا من أجل الحرب ضد الصليبيين بالشام من ناحية ثالثة (١) .

وقد شجع صلاح الدين على تحقيق ذلك عدم استقرار الامور ببلاط الحجاز وانتشار الاضطرابات والفوضى في أواخر العصر الفاطمى بالاضافة الى ضعف امراء مكة وانحيازهم تارة الى الخلافة العباسية السنية في بغداد وتارة أخرى الى الخلافة الفاطمية الشيعية بالقاهرة . وسبق القول أن ولاية مكة كانتوا يخطبون باسم الخليفة الذى غيرهم بالمال ويدفع أكثر من الآخر (٢) .

- 
- (١) حسنين ربيع البحر الاحمر في العصر الايوبي ندوة تاريخ البحر الاحمر جامعة عين شمس ص ٢ ٤ ص ٣ .
  - (٢) ابن الاثير الكامل ج ١١ ٣٩٦ .
  - ابن واصل فتح الكروب ج ١ ٢٣٧ .
  - القاسى شقاء الغرام ج ٢ ١٩٨ .
  - ابن ظهيرة الجامع اللطيف ١٢٢ .
  - باقاسى بلاد الحجاز ٤٢ .



ومن المعلوم أيضا أن صلاح الدين أخذ يتطلع الى بلاد اليمن  
التي اشتهرت آنذاك بكثرة مواردها ووفرة خيراتها وكذلك ثغر عدن ومذلك  
يستطيع السيطرة على تجارة البحر الاحمر .

ووصلت حملة صلاح الدين الى الحجاز ثم اليمن بقيادة أخيه توران  
شاه عام ٥٦٩ هـ فدخل مكة دون قتال اذ رحب الشريف عيسى بن فليته  
وأعلن دخوله في طاعة صلاح الدين وتعهده بالخطبة له بعد الخليفة العباسي  
(١) ولم يعمد الايوبيون الى تغيير نظام الحكم القائم بالحجاز أو استبدال  
الامراء بغيرهم انما أقروا الهاشم ثم بنى قتادة من بنى الحسن على التوالي  
في أمانة مكة ، وكذلك بنى مهني من آل الحسين في حكام المدينة من قبل  
ورحل توران شاه من الحجاز لفتح اليمن ولم يكن هناك من شرط بين الايوبيين  
والاشراف سوى وقف تحصيل الكوس من الحجاج والتجارة الامر الذي أدى الى  
تدخل الايوبيين أو الخلافة العباسية بسبب الكوس . مما أوجد بعض  
الاضطرابات الداخلية التي ستتعرض لها فيما بعد (٢) .

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٤٢٠ - ابن جبير الرحلة ٥٥ .  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٣ - البتانوني الرحلة الحجازية ٦٨  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ٨٩ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٣٩ - الطبري : الايج المسكي ٣٦٤  
القاسي : العقد الثمين ج ٤ ٣٥٠ - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩١

ولم تحدث خلافات خطيرة بين الايمنين وأشراف مكة الا ما حدث فى  
فى مناسبتين منفردتين : الاولى عام ٥٨١ هـ عندما أرسل صلاح الدين أخيه  
سيف الاسلام طغتكين حاكما على اليمن وكلفه بتنفيذ بعض الاوامر فصار سيف  
الاسلام الى اليمن عن طريق الحجاز فى القى فارس وخمسائة رجل وخلال مسيرته  
مريكة المكرمة ودخلها فى شهر رمضان المبارك فى نفس السنة ثم استأنف مسيره  
الى اليمن (١) .

ف ( وأول عمل قام به فيها حذف الجمل الزائدة من الاذان ( ص على  
خير العمل ) وأيضا استطاع تأديب العبيد الذين كانوا يفسدون فى مكة المكرمة  
وقتل المتمردين منهم ) غير أن خلافا حدث بين سيف الاسلام طغتكين حين  
عودته لاداء فريضة الحج وبين مكث بن عيسى أمير مكة الذى أصدر أمره الى  
سادن الكعبة بخلق بابها أمام سيف الاسلام . وترجع أسباب هذا الخلاف  
الى أن أمير مكة كان يرغب فى استمرار فرض الكوس على الحجاج لانها تعتبر  
المورد الرئيسى لامارة مكة (٢) . لذلك لم يكن هناك مفر من تحصيلها

- 
- (١) ابن فهد اتحاف الورى ورقة ٢٤٣  
الغسانى المسجد المسبوك ٢٦٥  
يحيى بن الحسين غاية الامانى ج ٢ ٣٢٨ .  
(٢) الطبرى الاربع المسكى ورقة ٢٤٤  
ابن الجوزى مرآة الزمان ج ١ ٣٧٠ .  
الفاسى شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٣ .  
أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج ٦ ١٠٣ .  
الجزيرى درر الفوائد ٢٦٥ .  
السلیمان العلاقات الحجازية ١٤

ولا يمكن الغاؤها وكان الشريف مكثر بن عيسى أمير مكة يأخذ المكوس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب أو جده • ولم يرغب أمراء مكة الغاء المكوس عن الحجاج الا بعد أن ضمن السلطان صلاح الدين الايوبي ارسال اموال الامير مكة وسلعاً و مواد غذائية ولهذا الغيت المكوس فترة من الزمن ثم أعيدت بعد ذلك على يد الشريف مكثر بن عيسى ولم يكف عن ظلم الحجاج مما جعل سيف الاسلام طفتكين يعمل على تأديبه باسم السلطان صلاح الدين (١) • وأقيمت بعد ذلك الخطبة على منابر مكة باسم الخليفة الناصر لدين الله العباسي ثم يذكر بعده اسم السلطان صلاح الدين الايوبي (٢)

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ١١٠ •  
القاسي : العقد الثمين ج ٧ ٢٧٤  
البتانوني : الرحلة ٢٠  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ٩٢ •  
السليمان : العلاقات الحجازية ١٤  
(٢) القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٣ •  
دحلان : خلاصة الكلام ٢٢  
البتانوني : الرحلة الحجازية ٨٤

وفي سنة ٦١١ هـ بدأت علاقة الشريف قتادة بن ادريس فـسـى  
الاستياء مع الملك عيسى بن العادل الايوبي حيث غزم الملك عيسى في هذا  
العام على آداء مناسك الحج وقام بتوزيع الاموال على الاعراب وموصله السـى  
المدينة استقبله اميرها استقبالا حافلا وأقـزله في داره تكريما وصـبحه في سفره  
الى مكة المكرمة وسأل الملك عيسى امير مكة قتادة عن المكان المعد لاقامته  
فأجابه قتادة مشيرا بأصبه هناك ( يريد الابطح ) . فشعر الملك عيسى  
الايوبي بأن الامير قتادة يستهين به فأسرهما في نفسه وبعد عودته الى دمشق  
أرسل جنـدا من الشام لمساعدة الامير سالم بن قاسم في نزاعه القائم بينه وبين  
الشريف قتادة فاستطاعوا ايقاع الهزيمة به واستولوا على كثير من أسلحته وعتاده  
وفي اثناء تتبع هذا الجيش توفي الامير سالم بن قاسم امير المدينة فانسحب  
الجيش عائدا الى المدينة ثم الى الشام (١) .

غير أن قتادة بن ادريس قتل على يد ابنه الحسن عام ٦١٧ هـ وقام  
النزاع بين الاخوين الحسن وراجح اللذين التجأ الى مساعدات خارجية (٢) .  
فلقد التجئ الحسن الى الخلافة العباسية والتجئ راجح الى الملك المسعود

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ١٠١ .  
أبو المحاسن : النجوم ج ٧ ٢٥٠ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٥ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٧٩ .  
باقاسي : بلاد الحجاز ٦٠ .  
(٢) انظر العلاقات بين الاشراف في هذا الفصل .

الايهى صاحب اليمن الذى بادر بارسال قوة عسكرية انتزعت امرة مكة مسـن  
الحسن (١) .

وقد وصل النفوذ الايهى ذروته بمكة على يد الفرع الايهى باليمن  
اذ قام الملك المسعود الايهى بتولية نورالدين عمر بن رسول نائبا عنه فى  
مكة . وجعل له ولاية الجند ومدير أموالها وهى نفس المملطات التى اعطيت  
الى نائبه الثانى ياقوت المسعودى . حتى حينما تولى عمر بن رسول  
ملك اليمن صارت مكة تابعة لنفوذه دون الايهميين فى مصر والشام وبدأ حكم  
بنى رسول فى اليمن ومكة (٢) .

- 
- (١) انظر تفصيل ذلك فى فصل النزاع بين الاشراف .  
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ٢٠٥ .  
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ١٧٩ .

### حماية الايوبيين للبحر الاحمر :

على أن أهم ما قام به الايوبيون هو حماية الأماكن المقدسة من الاعتداءات الصليبية . فقد تعرضت بلاد الحجاز لخطر الصليبيين أكثر من مرة وفي عام ٥٧٢ هـ قامت المحاولة الأولى بقيادة أحد الأمراء الصليبيين يدعى أرناط (١) صاحب إمارة الكرك الواقعة شرق البحر الميت بحملة صليبية في صيف هذا العام . وكان الغرض منها غزو بلاد الحجاز ومسط سيطرة الصليبيين على البحر الاحمر وتحويل التجارة الى الموانئ الصليبية في خليج العقبة ، والهدف الاساسي من ذلك هو ضرب المسلمين في مقدساتهم (الحرمين الشريفين) والاستيلاء على طريق الحج البحري والسيطرة عليه (٢) .

- 
- (١) أرناط : كان يحكم إمارة الكرك شرق البحر الميت وكان شابا مغامرا متحمسا لتحقيق اغراض الصليبيين في الاحتفاظ بالامارات اللاتينية ومن طبعه الغدر وعدم الوفاء بالعهد انظر عاشور : الايوبيون والمماليك ص ٩٤ ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٧٠ ، ربيع ١ : البحر الاحمر ص ٤٠٥ .
- (٢) الفسافي : المعجم المصبوك ٢٤٦ .
- دحلان : خلاصة الكلام ٢١
- عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٨٤ .
- عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين ١١٠
- سعاد ماهر : البحرية الاسلامية ١٠٥ .
- السليمان : النشاط التجاري ٣٣ .

وتتلخص حملة أرناط أنه أحضر الاخشاب من عسقلان وحملها على  
الجمال الى ميناء اسنة على خليج العقبة ثم بنى أسطولا يتألف من خمس  
سفن كبيرة وعدد أكبر من السفن الصغيرة حملها آلاف من الفرسان ثم أبحس  
في البحر الاحمر بقصد الاستيلاء على مكة والمدينة (١) .

وقد منيت هذه الحملة بالفضل الذريح لاسباب عدة من بينها تعرض  
رجالها للحر الشديد ، وافتقارهم للماء الخير ما جعلهم يتوقفون مجهدين  
عند واحة تيماء ، وفي الوقت نفسه استغل القائد العربي المسلم عز الدين فرخشاه  
ابن أخى صلاح الدين ونائبه في دمشق هذا الموقف ، اذ أسرع بقواته وحاصر  
حصن الكرك ونهب امواله ، مما اضطر أرناط الى التخلي عن استمراره في حملته  
المذكورة وطاد مسرعا لحماية امارته من السقوط وقام خلال عودته بالاعتداء على  
قافلة اسلامية كبيرة ونهب معظم ثروتها وهي في طريقها من دمشق الى مكة  
المكرمة (٢) .

(١) القوصى : تجارة مصر ١٥٣ ، ١٥٥ .

عزیز سوربال : العلاقة بين الشرق والغرب ٦٥ .

Kammerer Lamer Rouge p. 23 .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٤٩٠ .

ابن واصل : فوج العرب ج ٢ ١٢٩ .

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٥ .

القوصى : تجارة مصر ١٥٦ .

السليمان : العلاقات الحجازية ١١ .

وكانت محاولة أرناط الثانية في العام الثاني مباشرة أن جهز أسطولاً وأعد سفناً مفككة الأجزاء وحملها على ظهور الدواب وأوصلها إلى خليج العقبة ثم ربط أجزائها وركبها بعد أن ملأها بالرجال وما يلزمهم من معدات حربية وقاد الحملة بنفسه وهاجم جزيرة أيله بسفینتين حربيتين (١) . بينما استأنف بقية الأسطول إبحاره ملتزماً جانب الساحل الأفريقي للبحر الأحمر وذلك من أجل غزو والموانئ الواقعة على هذا الجانب ونهبها . فأثارت غزواته العرب والفرع بين سكانها وبعثت فيهم العجب والتساؤل لأنه لم يسبق لهم قبل هذا الوقت أن شاهدوا سفناً فرنجية في حوض بحر القلزم (٢) . وكانت أول الموانئ التي هاجمها أسطول أرناط الصليبي ميناء عيذاب المواجه لميناء جدة ثم هاجم سفناً تجارية وهي في طريقها بين جدة وعدن والهند (٣) .

---

(١) ابن الأثير الكامل ج ١١ ٥٥٠٠ ، ابن واصل : مغن الكروب ج ٢ ١٣٣

أبو شامة : الروضتين ج ٢ ١٤٥ ، عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٦

العريفي : مصرفي عصر الأيوبيين ٦٩ ، ربيع : البحر الأحمر ٥

محمود رزق : العلاقات بين أرناط ١١٠ .

(٢) ابن واصل : مغن الكروب ج ٢ ١٣٩ .

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٦ .

دراج : عيذاب ٥٨ .

(٣) ابن واصل : مغن الكروب ج ٢ ١٣٩ .

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ٧٨٧ .



ويخبرنا ابن جبير والمقريزي أن هؤلاء الصليبيين قد استولوا على  
مركبين من مراكب تجار اليمن ، كما أنهم أشعلوا النيران في كليات كبيرة من  
الطعام الملقاة على ساحل عيذاب . وكان الهدف من تخزينها في هذا الميناء  
الاستعداد لنقلها الى بلاد الحجاز (١) .

ثم واصل اسطول الصليبي أعماله العدوانية متنقلا من عيذاب  
الى ساحل بلاد الحجاز فأشعل النار في السفن الراسية في ميناء المدينة  
وهما ميناء الحوراء وينبع (٢) .

ثم نزل رجال الاسطول الصليبي على ساحل الحوراء قرب ينبع  
وأخذوا في غزو المناطق المجاورة والاغارة على القوافل العارة وأغلقوا في المسير  
حتى أصبحوا على بعد مسيرة مرحلة واحدة من المدينة المنورة . يريدون دخولها  
ونهب قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأخراج جثمانه الطاهر من الضريح المقدس  
ثم نقله الى بلادهم ودفنوه عندهم ، حتى لا يستطيع المسلمون زيارته الا بعد  
دفع ائاة باهظة . غير أنهم لم يحققوا اهدافهم وحلت بهم الهزيمة والاسر (٣) .

(١) ابن جبير الرحلة ٥٧ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ٧٩ .

دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .

(٢) الحوراء ينبع هما ميناءان يقعان قرب المدينة المنورة على ساحل البحر الاحمر  
ترسو فيهما بعض السفن التجارية وسفن الحجاج انظر

ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤١٠ ، ج ٣ ص ١١٥

حمد الجاسر : بلاد ينبع ص ٢٨ .

(٣) ابن واصل : مغزى الكروب ج ٢ ص ١٤٠ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ٧٩ .

ابن جبير : الرحلة ٥٩ ، سعاد ماهر : البحرية الاسلامية ١٠٧ .

عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٨٦ ، ربيع : البحر الاحمر .

سوريال : العلاقات بين الشرق والغرب ٦٥ .

ذلك أن طاح الدين الايوبي وهو في الشام آنذاك كان قد أمر نائبه  
على مصر أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب أن يجهز أسطولا كبيرا بالمعدات  
والرجال ويسير به لقتال اسطول الصليبيين في البحر الاحمر من ناحية مصر  
الصليبيين عن غزو المدينة المنورة من ناحية أخرى (١) .

والقد استجاب الملك العادل لأمر أخيه صلاح الدين وعهد إلى  
حسام الدين لؤلؤ بأعداد الحملة المذكورة فنقل حسام الدين لؤلؤ أجزاء  
السفن المفككة على الجمال إلى ميناء السويس حيث تم تركيبها و ربط بعضها  
 ببعض حتى غدت اسطولا يتألف من سفن كثيرة وقام بتقسيمه إلى قسمين الأول توجه  
إلى ميناء ايله واستولى على المراكب الصليبية التي كانت راسية هناك وأسر من  
كان في الميناء من الرجال (٢) . أما القسم الثاني من الاسطول الايوبي فقد  
أبحر جنوا خلف سفن الاسطول الصليبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ فوجد

---

(١) ابن واصل : مغز الكروب ج ٢ ص ١٤٠ .

المقريزى : السلوك ج ١ ص ٢٩ .

أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٥ .

ربيع : البحر الاحمر ٧

القوصى : تجارة مصر ١٥٦ .

(٢) ابن واصل مغز الكروب ج ٢ ص ١٤١ ، المقريزى الخطط ج ٢ ص ٨٥

ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ١ ص ٢٦٩ ، ابن جبير : الرحلة ٦٣

جزء منها في عذاب واستولى عليها وأطلق سراح أسرى المسلمين وأعاد اليهم ما سلبه الصليبيون منهم • ثم أبحر الى رايخ واستطاع الاستيلاء على بعض السفن الخاصة بالاسطول الصليبي الراسية في هذا الميناء فاخذهم على حين غرة وأسر بعضهم • وفر البعض الآخر واحتصوا بالجبال • الا أن رجاله قد تابعوهم وألقوا القبض عليهم • ولحقوا بالباقيين برا على بعد مرحلة واحدة من المدينة وكان عددهم ثلاثمائة رجل • فأسروهم • وأرسل اثنان نحرا في مسنى يوم عيد الاضحى المبارك كما تنحر البدن التى تساق هديا للكعبة • اما بقية الاسرى الصليبيين فقد عاد بهم الى مصر (١) •

وما تجدر الاشارة اليه أن السلطان صلاح الدين أمر بقتل هؤلاء الاسرى ليكونوا عبرة وعظة لمن تسول له نفسه الاعتداء على حرم الله في مكة وحسرم رسوله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة • وقد تم تنفيذ امره بقتل جميع الاسرى بعد أن استعرض بهم في شوارع مدينة الاسكندرية وذلك في اواخر شهر

- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٥١٠ •  
ابن واصل : مغز الكروب ج ٢ ص ١٤٣ •  
أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٧ •  
أبن اييك : كنز الدرر ج ٢ ص ٧٢ •  
ربيع : البحر الاحمر ٨

ذى الحجة عام ٥٧٨ هـ • وقد ظل صلاح الدين يعمل جاهدا على حماية  
البحر الاحمر وبلاد الحجاز من الخطر الصليبي كما ظل حريصا على أن تبقى  
تجارته في أيدي التجار المسلمين دون غيرهم (١) •

\* \* \*

- 
- (١) أبو شامة الروضتين ج ٢ ص ٣٨ •  
أبن أيك : كنز الدرر ج ٢ ص ٧٥ •  
ربيع : البحر الاحمر ٨  
السليمان : العلاقات الحجازية ١٢  
باقاسى : بلاد الحجاز ٥٥ •

### الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف :

يكاد الباحث في الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف أن يقرر عدم فاعلية هذه الطبقة الجديدة التي حكمت كلا من مكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل استقلال ذاتي • فلم تشاهد أية اصلاحات جذرية أو حركة عمران تنصب اليهم • وأيضا عدم القدرة أو النجاح في تأمين الحجاج بتأليف العربان ومنعهم من الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار اثناء موسم الحج وغيره من الاوقات • خذا بالاضافة الى سياسة فرض المكوس والنزاع المستمر بين الاسرات المختلفة منهم على منصب الشراقة • وأدى هذا الى انتقال الشراقة الى ثلاث بيوت في الفترة موضع البحث • وكذا الاحتكاك بين اشراف مكة من آل الحسن واشراف المدينة من آل الحسين في مناسبات شتى (١) •

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١١٠

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٠٥ •

السليمان : العلاقات الحجازية ١٦ •

باقا مسي : بلاد الحجاز ٦٢ •

De Goury, G, Rulers of Mecca, p.30,1972.

فقد حكم بنو سليمان مكة المكرمة من سنة ٣٥٨ هـ الى سنة ٤٥٣ هـ  
ثم تلاهم أسرة الهواشم من سنة ٤٥٥ : ٥١٢ هـ ثم بنو قتادة بن ادريس  
من ٥١٢ حتى نهاية حكم الاشراف (١) .

اما المدينة فقد تولى امرها أسرة واحدة من أبناء الحسين بن عيسى  
ابن أبي طالب وهم أحفاد طاهر بن مسلم الحسيني الذي أعلن قيام حكم  
الأشراف بالمدينة سنة ٣٦٠ هـ وعرفت هذه الأسرة فيما بعد بأسرة بني مهدي  
ولم تنتقل الإمارة الى غيرهم طوال الحقبة الزمنية لهذا البحث (٢)

وفي دراستنا للأحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم هؤلاء الأشراف  
سوف نعرض أولاً الى العلاقة بين أفراد الأسرة الحاكمة ودون غيرها من البيوت

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٩

ابن خلدون : المعبر ج ٤ ٩٩

ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٤٩

المباغى : تاريخ مكة ج ١ ٢٠٦ .

De Gaury Rulers of Mecca. p.44.

(٢) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ١٠٠

ابراهيم العياشي : المدينة بين الماض والحاضر ٣٠

عبد القدوس الانصاري : أثار المدينة ٤٣ .

العلوية الاخرى • وهل كان هناك نزاع بينهم على منصب الشرافة بما يؤدى الى تدخل قوى خارجية تذييل الحكم من أسرة الى أخرى • وثانيا العلاقة بين أشـراف مكة وأشـراف المدينة وهل كانت طيبة ودية يظهر فيها التعاون والاخاء بمـا يقتضيه واجب القرابة القريبة من الـ الحسن والـ الحسين وكلهم عليون • وثالثا تعرض الى سياسة الاشراف بصفة عامة فى حكم الحجاز وهل حققوا نواطة منـ الامن والامان من اعتداء الاعراب على طرق القوافل فى موسم الحج والتجارة ثم أخيرا سياستهم الضريبية فى قضية المكوس التى كانت سببا للاحتكاك والصدام مع القوى الخارجية أصحاب السيادة على الحجاز (١)

\* \* \*

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٢٠ •  
دراج : ايضاحات ١٩٥ •  
القصى : تجارة مصر ١٠٤ •  
السباعى تاريخ مكة ج ١ ١٢٠ •  
باقاسى : بلاد الحجاز ٨٢ •

أولا : العلاقة بين الاشراف حكام مكة :

بالنسبة للأسرة الاولى من بني سليمان التي قامت في ظل التبعية

الفاطمية لم نلاحظ تنافسا يذكر بين أفرادها على منصب الشرافة في الفترة الست

حكمت فيها ولغيت قرنا من الزمان الا خمسا ٣٥٨ - ٤٥٣ هـ اللهم الا في

الفترة الاخيرة (١) من عهدها اثر وفاة شكر ابن أبي الفتح عام ٤٥٣ هـ الذي

لم يترك وريثا فتنازع بنو سليمان فيما بينهم مما أدى الى سيطرة أحد عبيد

شكر على امر مكة فضلا عن عدم رضا أهل مكة عن سياستهم (٢) .

ما أتاح الفرصة لظهور أبو هاشم محمد بن جعفر حميد الهواشم لتولى

منصب الشرافة ويدعو باسم الخليفة بالعباسي عام ٤٥٤ هـ . فالتجأ بنو سليمان

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢٠ .

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٧٣ .

البرادعي : الدرة السنية ١٢

(٢) ابن خلدون : المعبر ج ٤ ١٠٢ .

المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ٩٥ .

المقريزي : الخطط ج ٢ ١٥٧

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٨٢ .

البرادعي : الدرة السنية ١٤ .



الى اليمن كما ذكرنا من قبل حاملين معهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور وصفائح  
الذهب من الباب والميزاب • فكان ان عهد الخليفة المستنصر الفاطمي الى  
الصليحي الداعي والحاكم في اليمن بمهمة إعادة النفوذ الفاطمي الى مكة (١) •

وشيد المؤرخون بما قام به الصليحي من أعمال طيبة في مكة عام  
٤٥٥ هـ بدأ بكسوة الكعبة ثيابا بيضا • ورد أمتعة الكعبة بعد ان اشتراها  
من بني سليمان كما أنه أظهر العدل في الاهالي برفع الظلم

كما أدب القبائل التي كانت تعتدي على الحجاج حتى رخصت الاسعار  
وساد الامن والطمأنينة • هذا فضلا عن نجاحه في إعادة النفوذ الفاطمي  
الى مكة • اذ انضم اليه محمد بن جعفر الملقب بأبي هاشم وأعلن التبعية

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢٣ •  
القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ٢٧٠ •  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠١ •  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩١  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٨٤ •  
سرور : سياسة الفاطميين ٢٦  
ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٢٢٨ •

- والدعوة للفاطميين وبدأ بذلك حكم الاسرة الثانية وهي الهواشم من آل الحسن (١)  
وأصاب هذه الاسرة الثانية آفة الصراع بين جماعات الاشراف سواء من  
أفراد الاسرة السابقة او من الهواشم انفسهم (٢) .

ففي عام ٤٥٧ هـ ثار حمزة بن دهاش احد بني سليمان على الشريف  
محمد بن جعفر سنة ٥٥٦ هـ فوقع اضطرابات بين أفراد الاسرتين من بني  
الحسن ما يقرب من عام كامل . حتى تمكن الشريف محمد بن جعفر من القضاء  
على مناوشيه من بني الحسن . واستمرت آثار هذه الاضطرابات بين الاشراف  
حتى تولى الشرافة قليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٧ هـ فاستطاع اصلاح الامور بين  
جماعات الاشراف كي يعيد الامن المفقود في مكة (٣) .

- 
- (١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٤٣ .  
الفساني : المسجد المسبوك ٢٨٦  
ابن الديبع : قرة العيون ج ١ ص ٣٩ .  
عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ٩٩  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٢ .  
محمد أمين صالح : العلاقة بين الفاطميين ٧٢  
(٢) القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٣ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٣  
القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٧١ ، السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٥ .  
(٣) القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٦ ، دحلان : خلاصة الكلام ٣٦  
البرادعي : الدرة السنية ١٨ ، السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٦ .

كذلك أدت المظالم التي أحدثها الشريف القاسم بن هاشم ٥٤٩ هـ -

٥٥٧ هـ واستتجاد الاهالي بعمه عيسى بن فليته ، الى قيام هذا الاخير  
بالثورة ضد الشريف وتوالى امرة مكة دونه (١) .

ثم ظهر النزاع على منصف الشرافة بين الاخوة . نجدها اولاً في ثورة  
مالك بن فليته ضد أخيه عيسى عام ٥٦٥ هـ ، وتولى مالك حكم مكة مدة عام  
واحد . ثم عاد الامر مرة اخرى الى عيسى بن فليته حتى توفي فخلفه ابنه داود  
وبيدو ان الخلافة العباسية قد دخلت طرقاً اخرى هذا النزاع بين أفراد الهواشم  
بالتدخل المباشر في شئون البلاد بالعزل والتولية بما أدى الى تفاقم النزاع  
واشتداد التنافس وبالتالي تعرضت مكة الى اخطار جسام (٢) .

ورغم ان داود بن عيسى بن فليته كان حسن السيرة والعدل الا أنه

- 
- (١) انظر تفصيل ذلك في فصل المكوس .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٥٢ .  
ابن الاثير الكامل ج ١١ ٢٧٩ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٤  
القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٢  
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ٤٨٦ .

تعرض لانقلاب اخيه مكثر بن عيسى عام ٥٧١ هـ نتيجة تحريض الخليفة  
العباسي له ضد اخيه واغرائه بأمانة مكة . فأخرج مكثر اخاه داود من مكة  
فالتجأ الى وادي نحلة (١) .

وفي نفس الوقت كانت الخلافة العباسية تقرب اليها أبناء عمومة الشريف  
عيسى بن فليته . فاعتبر مكثر بن عيسى بن فليته هذا التقرب عملا عداثيا ضده .  
فأخذ يستعد لبشراء الاسلحة والذخائر ويدرب الرجال . وكذا بناء قلعة  
في أعلى جبل قبيس واتخذها حصنا منيعا يلجأ اليه اذا حاول أمير الحج المراقى  
عزله (٢) .

ومن الطبيعي ان هذه الاجراءات والاستعدادات التي اتخذها  
مكثر أمير مكة لم توافق هوى الخليفة العباسي وعزم على خلعه . فقد جهز  
الخليفة جيشا كبيرا زوده بالمنجنيات والات النفط وعهد بقيادته الى أمير

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٢٨٩ .
  - القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٨ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٨٩ .
  - (٢) القاسي : تحصيل المرام ورقة ٨٠ .
  - الجزيري : درر القوائد ٢٧١ .
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٧٦ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٨٩ .

الحج المرقى طاشتكين في موسم ٥٧١ هـ وكلفه بعزل مكر وهدم الحصن الذي بناء في أعلى جبل أبي قبيس • ودار قتال بينهما عنيف بعد انتهاء الحج وأسفرت النتائج عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى (١) •

وفي ظروف هذه الفتنة أمر مكر بن عيسى بنهب الحجاج والاستيلاء على أموالهم وأموال التجار المقيمين في مكة وأحرق كثيرا من دورها • وعندما حلت الهزيمة بالشريف التجأ إلى حصنه بأعلى جبل قبيس حيث حاصره طاشتكين واستولى على الحصن فهرب مكر من مكة وحل محله أخوه داود بن عيسى (٢) •

وأغلب المصادر التاريخية لا توضح مدة ولاية داود على مكة • بعضها يذكر أن مكرا وأخاه داود ظلا يتداولان حكم مكة رغم عداوة الخليفة العباسي وكذا إصلاح الدين لمكر بن عيسى بصفة خاصة بسبب سياسته في فرض المكوس

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ٣٠١ •  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٠٩ •  
الجزيري : درر الفوائد ٢٧٣ •  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٧ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩٠ •  
(٢) الجزيري : درر الفوائد ٢٧٢ •  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩٠ •  
ياقاسي : بلاد الحجاز ٥٣ •

\* انظر فصل المكوس بهذا الفصل \* ومع كل فقد انفراد مكتر بن عيسى بأمانة مكة طوال عشرة سنوات ٥٨٧ : ٥٩٧ هـ حيث انتقلت الامارة الى اسيرة  
ثالثة من أسرات الحسينين (١) .

وقد جاء انتقال الامارة الى هذه الاسيرة الثالثة نتيجة عداء الخلافة  
العباسية المستمرة لشريف مكة مكتر بن عيسى (٢) .

ولم تلجأ هذه الخلافة هذه المرة الى القوة العسكرية بل الى تحريض  
من يدعى قتادة بن ادريس من بنى الحسن صاحب ينبع الذى استطاع ان يجمع  
الاشراف الحسينيين حوله ويوحد كلمتهم تحت لوائه وكذلك الاعراب الذين انضموا  
حوله . فانترع امرة مكة من مكتر فتهرب هذا الى وادى نخلة قرب الطائف حيث  
توفي هناك ٥٩٩ هـ (٣) .

- 
- (١) ابن فهد اتحاف الورى ورقة ٢٣٩ .  
القاسى : تحصيل المرام ورقة ٨٤  
القاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٠ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٤  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٨  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩١  
البرادعى : الدرر السنية ٢٣ .  
(٢) الطبرى : الايج المسكى ورقة ٢٢٠ ، ابن فهد : اتحاف الورى ٢٤٢  
القاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٠ ، دحلان : خلاصة الكلام ٤١ .  
(٣) القاسى : تحصيل المرام ٨٨ ، الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٥ .  
دحلان : خلاصة الكلام ٤٢ ، السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩١ .

وهكذا بدأ حكم الاسرة الثالثة من ال الحسن هي اسرة بنى قتادة  
التي اصابهم أيضا افة الصراع بين رجالها حول منصب امرة مكة علاوة على  
احتدام الصراع بينهم وبين اشراف المدينة المنورة .

ويبدو ان قتادة هذا كان ذا شخصية قوية ففي عام ٦٠٧ هـ وقعت  
فتنة كبيرة بين الحاج العراقي واهل مكة وسببها ان احد الحجاج العراقيين  
قتل احد عبيد الشريف قتادة يدعى بلال مما أدى الى نشوب القتال بين  
الطرفين واجبر الشريف قتادة امير الركب العراقي على دفع اموال بلغت قيمتها  
ثلاثين الف دينار ويؤكد الفاسي (١) ان هذه الاموال دفعت للشريف قتادة  
مقابل خسائره في هذه المعركة .

في سنة ٦١٢ هـ وجه اهانة الى الملك عيسى بن المعادل الايوبي  
صاحب الشام وتغلب على محاولة عزله من امرة مكة (٢) .

وجاء مقتل عبيد اسرة بنى قتادة الذي شن حربا متواصلة ضد امراء  
المدينة المنورة بقصد ضمها الى امارته على يد ابنه الحسن . وكان كسل من

---

(١) انظر فصل المكوس .

(٢) انظر النفوذ الايوبي على الحجاز .

الاب والابن يريد قتل الآخر • فاستغل الحسن فرصة مرض ابيه قتاده وقتله  
عام ٦١٢ هـ ونادى بنفسه أميراً على البلاد (١) •

وأدى مقتل قتادة بن ادريس على يد ابنه الحسن وتولى امره  
مكة الى خلاف شديد مع الابن الثاني راجع • فدخل الاخوان في صراع  
مهر تدخلت فيه عدة قوى خارجية (٢)

فقد انتهز راجع بن قتاده فرصة قدوم الحج العراقي عام ٦١٨ هـ  
بقيادة اقباشى الناصرى فاستنجد به ضد اخيه • فهاجم الحسن سرادق  
امير الحج العراقي للفتك باخيه راجع الذى نجح في الهرب بينما قتل اقباشى  
الناصرى (٣) •

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٤ يه الطبرى : الارج المسكى ٢٢٣  
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٠ • دحلان : خلاصة الكلام ٤٢  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٦ • البرادى : الدرر السنية ٢٧

(٢) الفسانى : المسجد المسبوك ٢٦٥  
دحلان : خلاصة الكلام ٤٣ •  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩٣

(٣) الجزيرى : درر الفوائد ٢٧٥ •  
الفاسى : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٢ •  
البرادى : الدرر السنية ٢٨ •  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ٢٠٨



ولا شك ان هذا الاعتداء على امير الحج العراقي ادى الى غضب

ال خليفة وعزم على الانتقام من الحسن . غير ان الحسن استطاع ان يمتص  
غضب الخليفة بتقديم الاعتذار وطلب العفو . فاجابه الخليفة الى طلبه (١) .

اما بالنسبة لراجح ابن قتادة فانه اضطر الى الذهاب الى اليمن

للاستجداد بالملك السعود ابن الكامل الايوبي صاحب اليمن وانتهر الملك

السعود هذه الفرصة لمد نفوذه الى مكة عن طريق مساعدة راجح ضد اخيه

الحسن . وبالفعل وصلت قوة عسكرية استطاعت طرد الشريف الحسن بن قتادة من

مكة فولى ذاهبا الى بغداد . بينما تولى امرة مكة نور الدين عمر بن رسول

نائبا عن الملك السعود الايوبي صاحب الدين وبجانبه الشريف راجح بـ

قتادة (٢) .

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢١٢ .  
المقريزي : الذهب المسبوك ٧٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ٢٠٩ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٥٢ .  
الغساني : المسجد المسبوك ٢٣٠ .  
ابن الربيع : قرّة العيون ج ١ ١٩٨ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ١٢٣ .

وبينما كتب الخليفة المباسى الى الملك الكامل الايهى سلطان مصر  
يعتبر فيها ما فعله ابنه صاحب اليمن فى مكة ، كان الحسن بن قتادة قد عاد  
الى القرى المجاورة الى مكة يستميل اليه بعض القبائل وكذا انضم اليه امير  
المدينة لاستخلاص مكة من نائب صاحب اليمن ياقوت السعوى (١) . وأخيه  
راجع غير أن هذه المحاولة فشلت عام ٦٢٢ هـ وظل ياقوت السعوى أميرا  
على مكة حتى عام ٦٢٥ هـ (٢) .

\* \* \*

- 
- (١) كان الملك السعوى صاحب اليمن قد استدعى عمر بن رسول عام ٦٢٠ هـ وعين  
مكانه الامير صارم الدين ياقوت السعوى الذى اطلق على نفسه امير الحج  
والحرمين ومتولى امر الجند بمكة ومدير احوالها .
- (٢) الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٥ .
- الناس : تحصيل المرام ورقة ٨٩
- المقرئى : السلوك ج ١ ٢١٣ .
- ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ١٢٤ .
- محمد بهجت : الصلات السياسية والحضارية ١٨٥ .

ثانيا : العلاقة بين اشراف مكة واشراف المدينة :

اعلن امراء المدينة من آل الحسين بن علي بن أبي طالب استقلالهم  
سنة ٣٦٠ هـ وارتبط معهم أمراء مكة بصلة القرابة ولم تحدث أية فتن فيما بينهم  
سوى الحملة العسكرية التي قام بها أبو الفتح سنة ٣٩٠ هـ بأمر من الخليفة الفاطمي  
الحاكم بأمر الله ولان أمراء المدينة قطعوا الخطبة سنة ٣٩٠ هـ أعد أبو الفتح  
حملة لاعادة بني مهني الى طاعة الخليفة الفاطمي (١) .

ويؤكد ابن خلدون (٢) والقاسي ان أبا الفتح حكم مكة  
والمدينة عامين كاملين حتى استجاب له بنو مهني وعلانهم واعلنوا الطاعة للخليفة  
الحكم بأمر الله .

وقد وقع خلاف في سنة ٤٤٣ هـ بين بني هلال وبين عامر وبين بني مهني  
اشراف المدينة الذين حرضوا الشريف شكر باعداد حملة عسكرية ضد بني مهني

- 
- (١) القاسي : شفاء الغرام ، ١٩٨/٢ .  
الجزيري : درر الفوائد ٢٤٨ - ٢٤٩ .  
(٢) ابن خلدون : العبر ١٠٢/٤ .  
القاسي : شفاء الغرام ١٩٩/٢ .

ومناصرة هاتين القبيلتين استطاع شكر الاستيلاء على المدينة ولذلك لقبه ابن  
خلدون والقاسي بملك الحجاز ، واستمرت ولايته حتى سنة ٤٥٠ هـ وأعاد  
بنى مهني الى امرة المدينة بعد أن عقد الصلح بينهم (١) .

وعلى أثر انتهاء دولة بنى سليمان وقيام اسرة الهواشم ارتبط محمد بن  
جعفر ارتباطا وثيقا مع اشراف المدينة ولم تحدث اية اعتداءات طوال فترة حكمه  
ولابنائهم وأحفاده من بعده حتى تولى امرة مكة مكشربن عيسى وعلى اثر  
الحروب التي جرت بينه وبين طاشتكين أمير الركب العراقي اسند الخليفة  
المستنصر بالله العباسي امانة مكة الى الامير هاشم بن مهني الحسيني على  
اثر عزل مكشربن ولكنه لم يستطع ادارة الامور في مكة وطلب من طاشتكين ان تكون  
ولايتها بيد داود بن عيسى فاسندت اليه عام ٥٧١ هـ (٢) .

وحيثما تولى الشريف قتاده ابن ادريس امير ينبع امر مكة سنة ٥٩٧ هـ

- 
- (١) الجزيري : درر الفوائد ٢٥٠ .
  - المباني : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
  - (٢) الطبري : الاصح المسكى ، ورقة ٢٤٤ .
  - سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ٢٤٨/٨ .
  - بن جبير : الرحلة ، ص ٤٨ .

أراد أن يعد سلطانه إلى المدينة المنورة فبدأ في سنة ٦٠١ هـ يعد عدته لغزو المدينة ولكن أميرها تصدى لحملته والحق بها الهزيمة وبذلك استمرت الحروب بين أمير المدينة سالم بن مهني وقواده بن ادريس مدة زادت عن ثلاثة أعوام دارت فيها أربعة حروب كان النصر فيها متساويا وانتهى أخيرا بعقد صلح بينهما (١) .

وفي آخر هذه المعارك قتل الحسن بن قتاده عمه مطاعن ، لهذا نجد أن قتاده أنهى الخلاف بعقد الصلح بينه وبين أشراف المدينة وتوعد بقتل ابنه الحسن (٢) .

وما لبث قتاده أن وقع في خلاف مع أمير الركب العراقي استحصل خطره حينما أرسل الخليفة العباسي جيشا يقوده سالم بن مهني أمير المدينة سنة ٦٠٩ هـ الذي هزم بانتصار قتاده عليه (٣) .

---

(١) بن الاثير : الكامل ٢٠٥/١٢

السلیمان : العلاقات الحجازية ١٢

(٢) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٢٥

(٣) بن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٦ .

الجزيري : درر الفوائد ٢٦٨ .

وعلى اثر وقوع الخلاف الذى حدث بين قتاده وبين الملك عيسى  
ابن الحبادل الايوى سنة ٦١١ هـ أرسل الملك عيسى جيشا من الشام  
لمساعدة الامير سالم بن قاسم امير المدينة لقتال الشريف قتاده وفى اثناء المعركة  
توفى الامير سالم مما ادى الى تفكك الجيش فاستطاع قتاده ايقاع الهزيمة  
به . وعلى اثر مقتل قتاده دخلت اماراة مكة فى نزاع بين الاخوة ابناء قتاده (١)

اما امراء المدينة فلم تحدثنا المصادر عن أى خلاف حدث بينهم وبين  
ابناء قتاده بن ادريس سوى انهم كانوا موالين للايوبيين .

وعلى اثر سقوط الدولة الايوبية فى مصر وقيام دولة بنى رسول فى اليمن  
أعلن امراء المدينة فى سنة ٦٤١ هـ دخول طاعتهم تحت سلطان بنى رسول  
سلاطين اليمن .

وبخلاصة القول ان اشراف المدينة الحسينيين امتاز حكمهم بعدم  
تدخلهم فى شئون اماراة مكة اللهم الا ما حدث فى عهد أبى الفتح وابنه شكر  
فى عهد مكثر وفتاده ولم تحدث اية خلافات بعد ذلك فيما بينهم وبين اشراف  
مكة حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

\* \* \*

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام ٢/٢٣٢ • الجزيرى : درر الفوائد ٢٦٩  
السباعى : تاريخ مكة ١/١٨٢ • انظر تفصيل ذلك فى النفوذ الايوى .

### القبائل العربية

من المعلوم أنه بعد انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر بدأ القرامطة التابعون للخليفة الفاطمي يهددون طريق ركب الحاج العراقي حتى استطاعوا سنة ٣٦٠ هـ منع حاج المشرق الدخول الى مكة . وقد سار على منوالهم بعض القبائل التي تقطن هذا الطريق فأصبحوا يطالبون الحاج بالكوس كما يفعل القرامطة . (١)

وقد ظل القرامطة يملأون طريق ركب الحاج العراقي بالرعب والمخاوف حتى سنة ٣٩٨ هـ ان استطاع الخليفة العباسي اعداد حملة عسكرية لايقـطـاف القرامطة عن اعتداءاتهم .

ومنذ سنة ٤٠٣ هـ بدأت قبائل بني سليم وطي ، وبنى هلال تخرج لاعتراض ركب الحاج العراقي حتى سنة ٤٢٤ هـ ان استطاع الامير أبو الفتوح محاربة هذه القبائل التي تهدد طريق أمن الحاج العراقي . (٢)

وعند ماتوفى أبو الفتوح خلفه ابنه شكر بدأت اعتداءات القبائل السالفة

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٥٣٠ .  
القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٧ .  
الجزيري : درر القوائد ص ٢٤٤ .  
(٢) الجزيري : درر القوائد ص ٢٤٤ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٧٠ .

الذكر على طرق الحاج ولكن شكر استطاع أن يرد عصيان هذه القبائل  
تارة باللين وأخرى بالشدة حتى أنه ألقى القبض على مشايخ هذه القبائل  
لهذا يصفه أكثر مؤرخي مكة بأنه كان يتمتع بياس شديد . (١)

على أثر انتقال الحكم الى أسرة الهواشم تلاحظ أن السليمانيين اتحدوا  
مع قبائل حرب وخرجوا على أبي هاشم محمد بن جعفر ولكنه استطاع  
تأديبهم وقضى على بني سليمان بقيادة حمزة بن دهاش . ولقد ظل أبو هاشم  
يحارب هذه القبائل حتى استطاع القضاء عليهم سنة ٤٦٨ هـ ويؤكد هذا  
القول ابن الأثير وابن فهد حيث يقولان أن أبا هاشم ظل يحارب هذه  
القبائل ما يقرب من أربع سنين . (٢)

ومسح بداية ولاية القاسم بن هاشم سنة ٤٨٤ هـ اعتدت القبائل

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢٠ .  
القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٠ .  
المساعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٧٣ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢١ .  
ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ١١٠ .



على الحجاج أثناء خروجهم من مكة فعاد الحجاج الى أمير مكة يخبرونه —  
بما حدث فلم يستجب لهم وحينما بلغ الخليفة العباسي بذلك أرسل السى  
مكة حملة بقيادة اصيهيد بن سارتيين الذى استطاع أن ينتزع مكة من  
القاسم (١).

ولقد استطاع القاسم بمناصرة القبائل له أن يعود مرة ثانية الى مكة  
ويجلى عنها الاضيهد القائد العباسي فى سنة ٤٨٧ هـ ومن هذا التعاون  
الذى تم بين القاسم والقبائل يتضح لنا تشجيع القاسم للقبائل العربية لتعتدى  
على الحجاج وزيادة الفوضى والاضطرابات المختلفة داخل مكة وخارجها (٢).  
وعندما تولى خليفة بن القاسم أمر مكة قضى على فتن الاعراب  
المختلفة وأصلح بين الاشراف وهدأت الاضطرابات فى مكة ويعتبر

- 
- (١) القاسم : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٤ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف : ٩٣ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٥ .  
(٢) الجزيري : درر الفوائد ص ٢٦٨ .  
دحلان : خلاصة الكلام ص ٣٦ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٦ .

عنده العصر الذهبي لحكومة الأشرف عموا وقد توفي سنة ٥٢٧ هـ<sup>(١)</sup>  
وما أن تولى أمر مكة هاشم بن فليته حتى عادت الفوضى والاضطرابات  
مرة أخرى لأنه بدأ عهده بمناصرة القبائل العربية حتى اعتدت هذه القبائل  
على قافلة من التجار أتت من مصر وحينما علم الأفضل وزير الديار المصرية  
بذلك أراد أن يقض على الأمير هاشم ولكنه أرسل وفداً للاعتذار بقيادة عمارة  
اليمنى الشاعر ثم مالبث أن عاد وحرض القبائل على نهب التجار مما زاد الأمر  
سوءاً<sup>(٢)</sup>.

ولقد حرض الأعراب في سنة ٥٤٣ هـ على أن يأخذوا من الحج—حاج  
مكسين أحدهما له والآخر لهم مما ساعد على زيادة نشوب الاضطرابات والفتن<sup>(٣)</sup>  
ولقد توفي هاشم بن فليته في سنة ٥٤٣ هـ وخلفه ابنه القاسم وفسى

- 
- (١) الجزيري : درر القوائد ص ٢٦٢ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٢ .  
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ١ ص ٢٢٠ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٩٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٨ .  
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٢٨ .  
القاسي : العقد الثمين ج ١ ص ١٨٤ .

عنده عادت القتن الى الظهور وانتهت بخروجه من الامارة نتيجة لتغلب  
عنه عيسى عليه ولكن القاسم عاد مرة أخرى سنة ٥٥٧ هـ وظل على الامارة  
الى أن انتهى الأمر بتولية عمه مالك بن فليته سنة ٥٦٥ هـ ثم تغلب عيسى  
على مالك وأخيرا استقر الأمر الى مكثربن عيسى الذي تولى أمر مكنة  
بأمر من الخليفة العباسي الناصر لدين الله ولقد قضى مكثربن فليته  
ولايته على القبائل التي كانت لها سيطرة كاملة في البلاد . (١)

وعند ما حلت سنة ٥٨٢ هـ أوقع الأعراب فتنة بين الحجاج العراقيين  
والشاميين يوم عرفه ووقف أمير مكنة مناصرا للحجاج الشامي ضد طاشتكين  
أمير الحج العراقي وانتهى اليوم بوقوع معركة دامية بينهم وقد أخبر طاشتكين  
الخليفة العباسي بما حدث من مكثربن فليته بجيشه في سنة ٥٨٦ هـ من  
أجل القضاء على مكثربن ولكن بمناصرة القبائل العربية استطاع مكثربن التصدي  
لهذا الجيش فلجأ الخليفة العباسي الى تحريض الأشراف ضد مكثربن حتى  
استطاع الشريف قتاده بن ادريس أن يجمع جموعه وينتزع امارة مكنة

---

(١) القاسم : تحصيل المرام ورقة ٨٤ .  
الجزيري : درر الفوائد ص ٢٢٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٩ .

من أسرة الهواشم سنة ٥٩٧ هـ. (١)

من المعلوم أن الشريف قتادة استطاع بمناصرة قبيلتي جهينه والرحله أن يدخل مكة سنة ٥٩٧ هـ ويستتبله الأمر فيها ولقد بدأ عهده بالقضاء على القبائل العربية التي كانت تناصر الشريف مكثراً وأخاه داود ووطد أمور إمارته حتى أنه ذهب بحملة عسكرية لرد القبائل العربية التي كانت تقطن طريق مكة المدينة واستطاع تأديبهم. (٢)

ولقد ذهب في سنة ٦١٣ هـ إلى الطائف لتأديب قبائل ثقيف وهوازن واستطاع أيقاع الهزيمة بهم وأيضاً دار قتال غنيف بينهم وبين قبائل عوف خارج الطائف وبهذا استطاع قتاده أن يلقي الرعب في قلوب القبائل التي تقطن القرى والمدن المجاورة لمكة وانتهت حياته بقتله على يد ابنه الحسن. (٣)

- 
- (١) الجزيري : درر الفوائد ص ٢٧٢ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٩ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٠٨ .
  - الجزيري : درر الفوائد ص ٢٧٣ .
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٩٨ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٩٠ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٩ .
  - الجزيري : درر الفوائد ص ٢٨٣ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٠٤ .

وبعد أن قتل الشريف قتاده دب النزاع بين ولديه الحسن وراجه حيث  
حاول كل واحد منهما استمالة مجموعة من القبائل اليه للقضاء على أخيه  
وظل الصراع مستمرا بين الأخوين إلى أن استتب أمر مكة إلى محمد أبى  
نصير الأول سنة ٦٦٧ هـ الذى استطاع أن يوحّد جميع القبائل  
العربية ويسيطر عليهم ليضمهم تحت لوائه وقد سبق التحدث عن هذه  
الخلافاة فى الصراع بين الأيوبيين وبين رسول فى الحجاز فى هذا  
الفصل •

\* \*

### المكوس :

إذا كان الفاطميون قد أعطوا أقرانهم من العلويين حكم الحجاز لكي يقوموا بالدعاء باسم الخليفة الفاطمي على منابر الحرمين الشريفين ليعطيهم بذلك صفة السيادة الشرعية على العالم الاسلامي . فان تسلك السيادة تعرضت الى مناقشة الخلافة العباسية كما سبق بحثه تفصيلا من ناحية ، كما أنها من ناحية أخرى ارتبطت تماما بما تعهدت به الخلافة الفاطمية من ارسال الاعطيات السنوية التي تمكن أشرف مكة بالذات من توطيد حكمهم .

وعلى هذا فقد تحدد ولاء الأشرف لأي من الخلافتين على أساس ورود تلك الأعطيات أو انقطاعها . كما أعطاهم الحق في فرض المكوس على الحجاج والتجار الوافدين في الموسم لتعويض من ينقطع من مال . تلك السياسة التي جلبت كثيرا من الاضطرابات من جراء فرض المكوس أو الغائها . وتستدل على ذلك بما جاء من أخبار تربط بين تلك المظاهر الثلاثة ، الدعوة لأي من الخليفتين على أساس ما يرد من أيهما من عطاء أكثر اغراقا ، وفرض المكوس على من هم تابعين لمن انقطع من قبله ذلك العطاء .

ولقد بدأ تلك السياسة أول الحكام الأشرف من بني سليمان . فلقد

فرض الشريف جعفر بن محمد على الدعاة باسم الخليفة العباسي دون  
الفاطميين التي انقطعت أعطيتهم وعوض ذلك فرض المكوس على حجاج  
وتجار مصر والشام دون غيرهم من الركب العراقي . مما دفع الخليفة  
العزیز الفاطمي الى ارسال حملة عسكرية بقيادة باديين بن زيري الصنهاجي  
عام ٣٦٧ هجرية لاعادة الخطبة ورفع المكوس (١) .

وسبب انقطاع الاعطيات لعدم ورود الحاج العراقي لجأ الشريف  
أبو الطيب بن داود الى فرض المكوس عام ٤٠٢ هجرية (٢) . ثم ألغاهما  
الشريف أبو الفتح بن جعفر بعد عودته الى منصب الشرافة ، وسار مسيرة  
حصنة بين الناس . غير أنه اضطر الى فرض المكوس في الفترة في عام  
٤٢٢ وحتى وفاته سنة ٤٣٠ هجرية واستمر ابنه الشريف شكر في فرض  
فرض هذه المكوس حتى ألغاهما عام ٤٤٩ هجرية نظرا للرخاء الذي أصاب

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢١٩ .

ابن خلدون : العبر ج٤ ص ١٠٠ .

دحلان : خلاصة الكلام ٢٢ .

الجزيزي : درر القوائد ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) دحلان : خلاصة الغلام ص ٢٤ .

مكة بوصول الاعطيات له وللاهلالي من كلتا الخلافتين العباسية والفاطمية (١) .

كذلك نرى مما ذكره المؤرخون عن أعمال علي بن محمد الصليحي حاكم اليمن الذي أتى عام ٤٥٥ هجرية وتم على يديه نقل الحكم الى عميد الهواشم محمد بن جعفر ، أن هناك مظالم على الحجاج والتجار رفعها الصليحي ومكوسا ألغاها باتفاق مع ذلك الشريف (١) ومع ذلك فقد أعاد الشريف محمد بن جعفر وفرض المكوس عام ٤٦٢ هجرية لانقطاع أعطيات الخليفة الفاطمي ثم ألغاها في السنة التالية بوصول أعطيات الخليفة العباسي (٢) واستمر في هذا الاضطراب في فرض المكوس حتى نهاية عام ٤٨٤ هجرية (٣) حيث فرض الشريف القاسم بن محمد بن جعفر المكوس على الحجاج والتجار بسبب

- 
- (١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٠٣٥  
القصاني : العجسد المسبوك ٠٢١٠  
ابن الربيع : قرة العيون ج١ ٠١٤٣  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٠١٨٩  
(٢) الجزيري : دور الفوائد ٠٢٥٥  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٠١٩٠  
(٣) الجزيري : دور الفوائد ٠٢٥٦



نقص الاعطيات وقيل أن ركب الحاج المراقى لم يفد فى عهده لعدة سنوات مما أدى الى ازدياد الأزمنة واستمرار المكوس حتى رفعها عام ٥١٤ هجرية عند وصول أعطيات الخليفة الفاطمى (١) .

ومع كل فان المصادر تشير الى ما قام به الشريف فليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٢ هجرية من اصلاحات استمرت طوال عهده وهى إلغاء جميع المكوس التى فرضها آباؤه وأجداده من قبل ، وأحسن معاملة الاهالى عموماً ، وسار فيهم سيرة حسنة ، كما أصلح شئون الامارة وعمل على نشر الأمن والاستقرار فيها (٢) وعلى العكس من ذلك كان ابنه هاشم بن فليته الذى استهزل عهده بفرض المكوس على الحجاج والتجار مما أدى الى اضطراب الأمن فى مكة . وكذلك كانت سياسة خلفه القاسم بن هاشم فى فرض المكوس على الحجاج والتجار . وزاد عام ٥٥٢ هجرية الاعتداء

- 
- (١) المقرئى : الفاظ الحنفا ج ٢ ٢٢٤ .  
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ٨٤ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٦ .  
(٢) المقرئى : الفاظ الحنفا ج ٢ ٢٢٩ .  
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ٩٣ .  
الجزيرى : درر الفوائد ٢٥٧ .  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ١٩٣ .

على التجار وأعيان مكة ومصادرة أموالهم مما ألجأ هؤلاء إلى الاستنجاد  
بعمه عيسى بن فليته الذي قام بطرد القاسم من مكة وأعادة الأموال المصادرة  
والغاء جميع المكوس التي فرضت على الحجاج والتجار، وتولى عيسى بن فليته  
أمر مكة (١) .

ومن العجل أن نسمع عن قورة ضد هذا الشريف المصلح من جانب  
أخيه مالك عام ٥٦٥ هجرية بغرض إعادة المكوس على الحجاج والتجار واستمر  
في ذلك عاماً واحداً حيث عاد عيسى بن فليته عام ٥٦٧ هجرية إلى ولايته  
ودخل في طاعة الأيوبيين (٢) .

ومع كل فان أشرف مكة كانوا يعتبرون المكوس موارد مالية رئيسية لهم  
يتعذر إلغاؤها بسبب ما ينقطع أو ينقص من أعطيات وارده من بغداد أو القاهرة .  
ولم يقبل عيسى بن فليته مبدأ صلاح الدين في إلغاء المكوس كافة إلا على

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ٢٣٩ .

الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٣٣ .

ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٠ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ٢٣٣ .

دحلان : خلاصة الكلام ٣٨ .

السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩٦ .

أساس تعهد صلاح الدين بضمان ارسال أموال وسلع غذائية لشريف مكة كل عام (١) .

غير أن تدخل الخلافة العباسية في شئون التولية والعزل بين داود ومكثر ابن عيسى بن فليته مما أدى الى عزل داود تولية مكثر والتجاء الأخير أمام هذا التدخل العباسي أو توقعاته ضد ه الى اجراءات عدة تحصينات للدفاع عن امارته كلفته أموالا كثيرة فعمد الى مخالفة اتفاق أبيه السابق مع الايوبيين وفرض المكوس (٢) .

وجلبت تلك المخالفة لاتفاقية الغاء المكوس الى تعرض مكثر بن عيسى الى عداة سافر من جانب كل من الخلافة العباسية وصلاح الدين ، فلما أرسلت الخلافة العباسية حملة بقيادة طاشتكين أدت الى قتلى وجرحى من الطرفين ، ونهب الحجاج ومصادرة أموال التجار ، وانتهت بعزل مكثر وإعادة أخيه داود عام ٥٧١ الى امارة مكة مرة أخرى فألغى المكوس ،

---

(١) ابن قهده : اتحاف الوري ورقه ٢٢٣ .

الفاسي : العقد الثمين ج١ ١٢٠ .

(٢) دحلان : خلاصة الكلام ٣٤ .

السباعي : تاريخ مكة ج١ ١٩١ .

وأعاد الحجاج آمين كما سبق ذكره \* انظر الهامش فصل النزاع بين  
الاشراف \* فان مكشراً فافس اخاه وتولى منصب الامارة مرة ثالثة وما لبثت  
أن عاود سياسته في فرض المكوس (١) .

كذلك جاء سيف الاسلام طغتكنا أخو صلاح الدين حين عودته الى  
اليمن لآراء فريضة الحج موسم ٥٨١ هجرية فاصدر مكشراً وأمره الى سادن  
الكعبة بغلقه بابها أمام سيف الاسلام بسبب ما كان بينها من خلاف حول  
أخذ المكوس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب جده . فتعرض  
مكشراً للتأديب وأعيد أخوه داود لامرة مكرة فترة الى أن تغلب عليه مكشراً  
مرة أخرى عام ٥٨٧ هجرية وانفرد بامارة مكة مدة عشر سنوات حتى عام  
٥٩٧ هجرية حيث انتقلت الامارة الى اسرة ثالثة من اسرات الاشراف  
بتحريض من الخلافة العباسية ورضى من الايوبيين (٢) .

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٢٣٥ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ٩٤ .  
(٢) الطبري : الأبح المسكى ورقه ٤٤ .  
الجزيري : درر الفوائد ٢٥٨ .  
دحلان : خلاصة الكلام ٤١ .

وإذا كان قتاده بن ادريس أول أشراف هذه الاسره الحاكمة الجديدة قد ألغى المكوس حسب سياسة الايوبيين . فانه على أثر حدوث خلاف بينه خلافا حدث بينه وبين أمير الحج العراقي سنة ٦٠٧ هـ جريسه أدى الى نشوب قتال بينهما (١) .

وفي العام التالي حصل الشريف قتاده بن ادريس من الركب العراقي مكوسا بلغت جملتها ثلاثين الف دينار واستمر في فرض المكوس على الحاج العراقي فقط (٢) .

وقد حاول الخليفة العباسي التقرب الى شريف مكة بأن أرسل اليه الخلع والاموال وطلب منه التقدم الى بغداد وغير أن قتاده رفض هذا الطلب ان شك في الأمر وتوقع الشر . وبدأ في أخذ الاستعدادات الحربية للدفاع ان توعده الخليفة بارسال جيش لقتاله . ووصل جيش الخلافة العباسية في العام التالي الى المدينة المنورة فتصدى له ال مهني أشراف المدينة بناء على اتفاق مسبق مع شريف مكة . وكان أن حلت الهزيمة

---

(١) انظر فصل العلاقة بين الاشراف .

(٢) الفاسي : عقيل المرام ورقه ٨٤ .  
الجزيري : درر الفوائد ٢٦٠ .

بجيش الخليفة فانسحب عائدا الى بغداد دون التوجه الى مكة (١) .

ومعد أن تعرض الشريف قتادة بن ادريس بالقتل على يد ابنه الحسن عام ٦١٧ هجره في ظروف صراعه مع أشرف المدينة ، وتولى الحسن بن قتادة أمرة مكة بإدر بالغاء المكوس على الحجاج والتجار . واستمر هذا الغلاء ساريا مع بداية النفوذ اليمني بالحجاز حتى عهد عمر بن رسول ثم ياقسوت المسعود ثم الشريف واجع بن قتادة . ثم طادت هذه المكوس في ظروف الصراع بين الايوبيين وبنى رسول حول السيادة في الحجاز حتى عام ٦٣٩ هجره حين أمر شور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة الرسولية باليمن الى الغاء المكوس والجبايات عن الحجاج والتجار حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

\*\*\*

- 
- (١) ابن الاثير : الكامل ج ١٢ ٢٩٠ .  
ابن واصل : مفتح الكروب ج ٣ ٢١٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ١٩٤ .

التنافس بين الاييمين وبنى رسول حول النفوذ

### فى الحجاز

لم يتعرض النفوذ الايوى للحجاز لأى منافسه خارجيه فترة من الوقت حتى بدأ التدخل اليمنى . وجاء ذلك فى ظروف الخلاف بين الاخوين من بنى قتاده فاستنجد أحدهما بالفرع الايوى الحاكم باليمن فأرسل الملك المسعود الايوى قوة عسكرية استطاعت السيطرة على مكة عام ٦١٩ هجرية وتولى الامارة فيها نور الدين عمر ابن رسول ومعه الشريف راجح بن قتاده (١) .

ويبدو أن سلطان هذا الشريف لم يكن شيئاً مذكوراً أمام سلطان عمر بن رسول نائب الملك المسعود ملك اليمن بل ان هذا الاخيه رأى يأخذ مباشرة سلطة العزل والتولية عام ٦٢٠ هجرية حين استدعى نائبه عمر بن رسول وعين مكانه الامير صاهم الدين ياقوت المسعودى الذى أطلق عليه نفسه أمير الحج والحرمين ومتولى أمر الجند بمكة

---

(١) الطبرى اتحاف فضلاء الزمن ورقه ٣٩ .

ابن الربيع : قره العيون ج٢ ٨ .

الخرزجسى : العقود اللؤلؤيه ج١ ٤٩ .

يحيى بن الحسين : غايه الامانى ج١ ٤١٠ .

عليان : الحياه السياسيه ٣٠ .

محمد بهجت : الصلات السياسيه ١٨٩ .

ومدير أموالها (١) .

وفي عام ٦٢٦ هجره عزم الملك المسعود الأيوبي الذهاب الى مصر وعين  
على اليمن نور الدين عمر بن رسول ورحل الى مصر عن طريق الحجاز وفسى  
طريقه أصيب بمرض أدى الى وفاته ودفن بمكة المكرمة بناء على وصيته وعلى أثر  
وفاته أعلن نور الدين عمر بن رسول نفسه ملكا على اليمن وولى ياقوت المسعودي  
نائبًا عنه على مكة وبدأ عهد جديد في بلاد الحجاز كي يبدأ حكم بني رسول  
باليمن والحجاز دون الأيوبيين (٢) .

ولم يكن السلطان الكامل الأيوبي يرضى عن ضياع النفوذ الأيوبي بالجزيرة  
العربية فكان أن جهز جيشا بقيادة طفتكين عام ٦٢٧ هجره أرسله الى

- 
- (١) الطبرى : اتحاف فضلا الزمن ورقه ٤١ .  
المقريزى : السلوك ج١ ٣٠٠ .  
القاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢١٤ .  
القلقشندي : صبح الأعشى ج٥ ٨١ .  
عليان : الحياه السياسيه ٣٣ .  
(٢) الغساني : المسجد المسبوك ٢٩٥ .  
الخرزجى : العقود اللؤلؤيه ج١ ٥٠ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ج١ ٤٢١ .



الى مكة للاستيلاء عليها والقضاء على اليمنيين فيها فاستطاع طغتكين أن يحقق  
هذا النصر معلنا الخطبة للسلطان الكامل الأيوبي (١) .

ولم يهبط طغتكين طويلا ذلك أن ابن رسول أعد جيشا سنة ٦٢٧ هجرية  
لاستعادة مكة وجعل قيادته بين الشريف راجع بن قتادة الذي استمال اليه  
رؤساء مكة لتذكيرهم بما فعله نور الدين عمر بن رسول من أعمال حميدة حينما  
كان واليا على مكة وحين أحسن طغتكين بقرب هذا الجيش وأنه لن يستطيع  
له دفعا ، فضل تجنب الهزيمة فترك مكة هاربا الى ينبع ودخل راجع مكة وخطب  
فيها لسلطان اليمن نور الدين عمر بن رسول الذي بعث له على أثر ذلك الاعطيات  
والخلع وجعله واليا على مكة (٢) .

أما طغتكين الأيوبي فقد أرسل مبعوثا الى مصر أبلغ السلطان الأيوبي  
بما حدث له ووصلت النجدة فأعد السلطان جيشا كبيرا بقيادة الأمير فخر الدين

- 
- |               |                |       |
|---------------|----------------|-------|
| (١) القاسى :  | شفاء الغرام ج٢ | ٢١٤ . |
| السباعى :     | تاريخ مكة ج١   | ٢٠٩ . |
| باقاسى :      | بلاد الحجاز    | ٧٠ .  |
| (٢) الفسانى : | المسجد المسبوك | ٢٩٧ . |
| المقرزى :     | السلوك ج١      | ٣١٠ . |
| السباعى :     | تاريخ مكة ج١   | ٢٠٩ . |

شيخ الشيخ وطلب من أمير ينبع أبو سعيد ومن أمير المدينة شـيـخـه  
ابن قاسم الانضمام الى الامير فخر الدين وطغتكين ومساعدتهما في استرداد  
مكة وتمكن هذا الجيش الايوبي من دخول مكة ومحاصرة قوات بني رسول فيها  
وانزل بهم الهزيمة وخطب فيها للملك الكامل سنة ٦٢٧ هجرية بألقاب  
سلطان القبلتين وخادم الحرمين الشريفين أبو المعالي محمد الملك الكامل  
ناصر الدين خليل أمير المؤمنين (١) .

غير أن الحرب استمرت سجالات بين الايوبيين وبين رسول حول السيطرة  
على المحجاز ففي شهر ربيع الثاني سنة ٦٢٨ هجرية جهز الملك المنصور  
نور الدين عمر بن رسول صاحب اليمن جيشا بقيادة أبي عبد الله ومعه الأمير  
واجح للاستيلاء على مكة فاستطاعوا محاصرة الجيش الايوبي فيها مما أدى  
الى فرار قادة الجيش الايوبي الى وادي نخله في طريق مكة الطائف ،  
وانتهز الأمير واجح بن قتاده هذه الفرصة ودخل مكة واحتلها بالجيش

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٢١٥ .  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ٢١١ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ٣٤ .  
ياقاسي : بلاد الحجاز ٧٠ .  
عليان : الحياة السياسية ٥١ .

اليمنى وأعلن سكانها الولاء والطاعة وخطب فيها لصاحب اليمن الملك المنصور نور الدين ابن رسول للمرة الثالثة (١) .

وفى السنة التالية جهز الايوبيون جيشا فى شهر جمادى الآخرة بقيادة الامير طغتكين أيضا وأستولى على مكة وفرضها الشريف راجع وأبو عبدالله قائد الجيش اليمنى وهرب باقى الجيش معهم (٢) .

وما أن بلغت أخبار هذه الهزيمة صاحب اليمن الملك المنصور حتى بادر باعداد حملة عسكرية كبرى فى نفس السنة لكنها لم تستطع مواجهة جند الايوبيين المرابطين فى مكة فعادت الى اليمن دون أن تحقق أهدافها (٣) .

- 
- |     |           |                    |       |
|-----|-----------|--------------------|-------|
| (١) | الفسانى : | المسجد المسبوك     | ٢٩٧ . |
|     | الخزرجى : | العقود اللؤلؤيه ج١ | ٥١ .  |
|     | المقرزى : | السلوك ج١          | ٣١٤ . |
|     | الجزيرى : | درر الفوائد        | ٢٧٩ . |
|     | الفاسى :  | شفاء الغرام ج٢     | ٢١٣ . |
| (٢) | ابن فهد : | اتحاف الورى ورقه   | ٢٥٤ . |
|     | الفاسى :  | شفاء الغرام ج٢     | ٢١٣ . |
|     | السباعى : | تاريخ مكة ج١       | ٢١٥ . |
|     | ياقاسى :  | بلاد الحجاز        | ٧٢ .  |
| (٣) | الفسانى : | المسجد المسبوك     | ٣٠١ . |
|     | الخزرجى : | العقود اللؤلؤيه ج١ | ٥٣ .  |
|     | الجزيرى : | درر الفوائد        | ٢٧٩ . |
|     | الفاسى :  | شفاء الغرام ج٢     | ٢١٥ . |

ومذ لك عادت أمانة مكة معلنة ولاها لطاعة الايوبيين وطاد السي

(١)  
امارتها الامير طغتكين جعلنا الخطه للسلطان الايوبي حتى ٦٣٠ هجره .

وفي السنة التالية جهز صاحب اليمن حملة عسكرية بقيادة الشريف

راجح بن قتادة الذي تمكن من القضاء على الجيش الايوبي فيها وقد رأى

الملك المنصور أن سيطرته على مكة لا بد وأن تأخذ الصبغة الشرعية لذلك

بعث في نفس السنة الى الخليفة العباسي طالب منه أن يقلده بلاد اليمن

والحجاز ويرسل له كتب التقليد والخلع فاستجاب الخليفة له وأرسل له تقليدا

بولاية اليمن والحجاز في العالي التالي (٢) .

وعلى أثر ذلك أخذ الملك المنصور نور الدين بن رسول صاحب

اليمن يقوم ببعض الاعمال التي تمكنه من السيطرة على مكة اذ بدأ في ارسال

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢٥٥ .

الطبري : اتحاف فضلا الزمن ورقه ٣٦ .

الغساني : المسجد المسبوك ٣٠٢ .

عليان : الحياة السياسية ٥١ .

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ج١ ٤٢٢ .

الخرزجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٥٢ .

ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ٨ .

الفاصي : العقد الثمين ج٦ ٢٤٤ .

أعطياته الى أمير مکه وأجع بن قتاده كما أرسل اليه الخلع من اليمن  
وأغدى فى توزيع الاموال على سكان مکه ليكسب ولاءهم له (١) .

وفى سنة ٦٣٢ هجره أرسل الأيوبيين قوة عسكرية بقيادة خمسة من  
الأمراء يرأسهم القائد أسد الدين جفريل فاستطاعت هذه القوة من محاصرة  
الأمير وأجع بن قتاده فى شهر رمضان مما جعله يترك مکه ومعه جند اليمن  
متجهين الى اليمن .

وتولى أمر مکه الأمير جفريل نيابة عن السلطان الأيوبي الكامل ولكن  
أماره مکه لم تستقر أمورها له دون متاعب وحينما علم نور الدين صاحب اليمن  
استعد بقوة عسكرية لاسترداد مکه (٢) .

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٥٣ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ١٠ .  
المقريزى : السلوك ج١ ٢٥٠ .  
القاسى : العقد الثين ج١ ٢٤٥ .  
عليان : الحياة السياسية ٥٦ .  
(٢) المقريزى : السلوك ج١ ٢٥٤ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ج١ ٤٢٣ .  
بهبهت : الصلات السياسية ١٨١ .

وفي السنة التالية جهز نور الدين جيشا بقيادة الشهاب بن عبدالله  
يرافقه الامير راجح وأرسل معهم الاموال ليستميلوا أهل مكة ضد جيش  
الايوبيين المرابط في مكة . وحينما بلغت مسمع هذا الجيش جعفريل هج  
لملاقاته ودارت معركة حامية الوطيس أسرف فيها القائد اليمنى الشهاب  
ابن عبدالله ومعث به الى القاهرة وفي الامير راجح (١) .

وفي السنة التالية عاد الملك المنصور صاحب اليمن بارسال حملة عسكرية  
أخرى من اليمن واستطاع جعفريل أن يخرج لملاقاتها والقضاء عليها وأنزل بهم  
هزيمة تكرا . وحينما علم المنصور بهزيمة الجيش أعد حملة في سنة ٦٣٥ هـ  
قادها بنفسه ويرافقه الامير راجح ومعهم ألف فارس واستطاع الامير راجح أن  
يدخل مكة وعسكر الملك المنصور نور الدين بجزء من الجيش خارج مكة في مكان  
يقال له السرين (٢) . وذلك تمكن راجح من القضاء على الامير

---

(١) ابن واصل : مفتح الكروب ج٣ ٢٢٢ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٥٦ .

يحيى بن الحسين : غاية الاماني ج١ ٤٢٥ .

ابن الربيع : قررة العيون ج٢ ١٢ .

(٢) السرين مكان يقع بين مكة واليمن ويوجد به أسواق وهي محطة من محطات

طريق ركب الحاج اليمنى .

انظر ياقوت : معجم البلدان ج٣ ١٢٠ .

ابن الربيع : قررة العيون ج٢ ١٨ .

الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٧٨ .

جفريل نائب الايوبيين فى مكة وأجلى عسكر الايوبيين عن مكة (١) .

وعلى أثر هذا الخبر الذى وصل الملك المنصور وهو فى السرين دخل مكة معتمداً مع باقى فرقة جيشه المرابطة معه فى شهر رجب . أما الامير جفريل فقد فر حتى وصل المدينة المنورة واختبأ لدى أمير المدينة اذ بلغه أن السلطان الملك الكامل الايوبي قد توفى وخلفه على سلطنه مصر والشام ابنه السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذى أمره بالبقاء عند أمير المدينة وأرسل له جيشاً يتقدمه ألف فارس فى سنة ٦٣٢ هجرية وعلى رأسه الامير شيخه أمير المدينة وتمكن هذا الجيش من دخول مكة بدون قتال بعد أن أخليت عن عسكر المنصور صاحب اليمن حينما وأوا قوة الجيش الايوبي وضخامة اذ خافوا من الهزيمة وخرجوا من مكة وعلى أثر ذلك خطب على منابر مكة للسلطان الملك الصالح نجم الدين ابن الملك الكامل الايوبي (٢) .

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ٥٩ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج ٢ ١٣ .  
القوصى : تجارة مصر ١٦٩ .  
بيهجت : الصلات السياسية ١٨٣ .  
(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ١٨٩ .  
ابن واصل : مفتح الكروب ج ٣ ١٠٢ .  
المقرئى : الخطط ج ٢ ٨٦ .  
أبو شامة : الروضتين ج ٢ ٩٥ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ٣٥ .

وقد بلغت هذه الاخبار مسامح الملك المنصور نور الدين فغضب  
وقرر أن يسترد أمانة مکه بقيادة الامير واجح أيضا وأن يقود الجيش بنفسه  
هو وحينما رأى الامير شيحه هذا الجيش والامير جفريل فروا من مکه وعادوا  
الى السلطان الصالح فجهزهم الملك بقوة كبيرة كثيرة العدد والعدة بقيادة  
الامير شيحه ومعه قائدين آخرين هما علم الدين الكبيره وعلم الدين  
الصغير وتم ذلك سنة ٦٣٨ هجره (١) .

ومن المفيد ذكره أن هذا الأمر لم يرض السلطان نور الدين ففى العام  
التالى جهز جيشا جوارا الى مکه ولما بلغت مسامح وصوله الى رجال  
الايميين فى مکه أرسلوا الى سلطانهم بمصري يطلبون منه النجده فأرسل  
اليهم مائة وخمسين فارسا بقيادة مبارز الدين برطاس وعسكر رجال الملك  
المنصور فى السرين ومعثوا الى الملك المنصور بخبرونه بتجهيزات الايميين  
ويطلبون منه النجده والمعون فقاد الجيش الملك المنصور بنفسه حتى تمكن

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٥ .  
الغسانى : المسجد المسبوك ٣٠٥ .  
المقرىزى : السلوك ج١ ٣٠٢ .  
القاسى : العقد الثمين ج١ ٣٤٦ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٠ .



من دخول مكة بقواته الضخمة ولأن الجيش الايوبي بالفرار من مكة وعلى  
أثر هزيمتهم في شهر رمضان سنة ٦٣٩ هجرية دخل الملك المنصور صاحب  
اليمن مكة وصام بها رمضان وألغى المظالم التي انتشرت بسبب التنافس  
والحروب التي حدثت في هذه السنوات بين القوتين الايوبيه والرسوليه (١).

وهذا استطاع الملك المنصور صاحب اليمن أن يثبت حكمه في مكة  
ويعلم اسمه على منابر المسجد الحرام كما أنه أصلح دار أمانة مكة لأن الايوبيين  
قد خربوه ونى على بئر زمزم قبة مقابلة للحجر الأسود وولى على مكة  
ابن المسيب (٢).

وقد فضل الأمير مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس قائد القوات

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقه ٢٥٥ .  
المقريزي : السلوك ج١ ٣١٠ .  
" : الذهب المسبوك ٨٠ .  
الفاسي : شفاء الغرام ج٢ ٢١٧ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٣ .  
(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٨ ١٧٦ .  
" : شفاء الغرام ج٢ ٢٢٠ .  
الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٥ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١١٣ .

الايميين أن يبايع الملك المنصور نور الدين لتغلبه على جيشهم فأنعم عليه  
الملك المنصور وعلى باقى الجيش الايمى حتى أن باقى القوات الايمية المرابطة  
فى ينبع باتعب الملك المنصور وأيضا قدم والى مدينة ينبع أبو سعد عيسى  
يمن قتاده ولاءه للسلطان المنصور وهذا انتهى التنافس الايمى فى  
الحجاز وأصبحت مكة ونبع تابعة لنبي رسول (١) .

وفى السنة التالية أمر الملك المنصور بعزل ابن المسيب عن ولاية  
مكة وعين مملوكه الامير لخوا الدين بن شلاج نائبا عنه فى مكة . أما القسرى  
المجاورة لمكة ونبع فأُسند امارتها للشريف أبى سعد على بن قتاده صاحب  
ينبع وطاد فى آخر هذه السنة الى اليمن (٢) .

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٦ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٥ .  
القاسى : شفاء الغرام ج٢ ٢٢١ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ١٨ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ١٣٢ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقه ٢٥٧ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٦ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ٢٠ .

وفي سنة ٦٤٦ هجرية عزل الملك المنصور الامير فخر الدين الشلاج  
أمير مکه وأعاد ابن المسيب أميراً عليها الذي عاهد الملك على أن يلتزم بتطبيق  
جميع التعليمات التي يأمر بها السلطان المنصور غير أنه لم يلتزم به—  
المعاهدة واستبد بالأمر واستولى على الصدقات التي كانت تصل لفقراء  
مکه وشيد حصناً منيعاً لحماية نفسه واستطاع أن يوجد قبائل هذيل تحت لوائه  
كما أنه هدم الاسطوانة التي بناها الملك المنصور وكتب فيها أمره بالغناء  
المكوس والجبايات عن الحجاج وأعاد فرض المكوس (١) .

وقد حرك سلوك الامير ابن المسيب السخط والغضب لدى سكان  
مکه والحجاج فطلب سكان مکه من الامير ابي سعد علي بن قتاده فأتى الى  
مکه واستطاع القضاء على ابن المسيب وألقى القبض عليه واجتمع بأعيان مکه  
فقال لهم " اني قد تخففت انه يريد الهرب بمال السلطان الى العراق  
فالمال عند محفوظ والخيل والرجال محاصرون برجالى حتى يصل مرسوم السلطان" (٢)

- 
- (١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٧ .  
يحيى بن الحسين : غاية الاماني ج١ ٤٣١ .  
المقريزي : السلوك ج١ ٣٣٢ .  
(٢) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ج١ ٤٣٣ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ٢٦ .  
الفاسي : شفاء الغلام ج٢ ٢١٩ .

غير أنه بعد أيام يسيرة من هذه الاحداث وصلت الاخبار بوفاة  
الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة الرسولية في اليمن في  
قصر الجند بمدينة المنصوره ليلة التاسع من ذى الحجه سنة ٦٤٧ هجرية  
ونقل جثمانه ودفن بتعرا (١) .

كان الملك المنصور يتمتع بصفات جمه منها الكرم والشجاعه وحسن  
المواقف وحسن التصرف في اوقات الشده . وكان عظيم المياسة وقد قدر  
له أن يحكم مكه باسمه سبع سنوات دون منافسة واثنى عليه لكثرة صدقاته في  
الحرمين الشريفين وازدهرت الاحوال الاقتصادية في عصره ، وشيدت القصور،  
وبنيت المحطات المختلفة في أمكنة المشار ليتطلل الحجاج تحت ظلها فتسرة  
الموسم (٢) .

وتولى الملك ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن رسول في سنة  
٦٤٧ هجرية وفي عهده سقطت الدولة الايوبية في مصر وقامت دولة المماليك

- 
- (١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج١ ٨٧ .  
يحيى بن الحسين : غاية الاماني ج١ ٤٣٤ .  
ابن الربيع : قرة العيون ج٢ ٢٧ .  
(٢) المقرئ : السلوك ج١ ٤٦٨ .  
عليان : الحياه المياسية ١٠٧ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ٤٣ .

وقد عاصر أباءه في السنوات الاخيرة من حكمه ، ووطد سلطانه على  
مكة في أول حكمه بسبب انشغال سلاطين الماليك الاوائل المعز اييك وقطرز  
في تثبيت دعائم دولتهم ضد الاخطار الداخلية والخارجية (١) .

ثم تلا ذلك سقوط الخلافة العباسية على المغول سنة ٦٥٦ هجرية  
وهي صاحبة السيادة الشرعية على الحجاز . وخلا الجو للملك المظفر  
للعمل على تدعيم سيادة بني رسول على بلاد الحجاز وربما أودعه أمل  
تولى خلافة المسلمين بعد سقوط الخلافة العباسية مستندا على ما تحقق لاييه  
وله من سيادة على بلاد الحجاز (٢) .

■ ■ ■ ■

- 
- |       |                              |
|-------|------------------------------|
| • ٢٢٧ | (١) الفاسي : شفاء الغرام ج٢  |
| • ٢٢٨ | السباعي : تاريخ مكة ج١       |
| • ٤٧  | السليمان : العلاقات الحجازية |
| • ٦٨  | ياقاسي : بلاد الحجاز         |
| • ٤٢٠ | (٢) المقرزي : السلوك ج١      |
| • ٢٣٠ | الفاسي : شفاء الغرام ج٢      |
| • ٢٢٧ | السباعي : تاريخ مكة ج١       |
| • ٥٦  | السليمان : العلاقات الحجازية |
| • ١٩٢ | بهبخت : الصلات السياسية      |

## الفصل الثاني

### إمارة الحج وخدماته

## الحج

قال الله تعالى :

( واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق )  
فالحج هو الركن الخاص والآخر من أركان الاسلام واستلزم الأمر تنظيم أمر جماعة المسلمين المسافرين للحج بتولية أحدهم أميراً عليهم كما فعل النبي ( صلى الله عليه وسلم - إذ أسند إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه أمره الحج عام ٩ هـ وتولاها هو بشخصه الكريم في حجة الوداع عام ١٠ هـ التي أبان فيها مناسك الحج والشرعية الإسلامية والتي لا يزال يتبعها المسلمون إلى ما شاء الله . وسار على نهج الخلفاء الراشدين وبعض الخلفاء الأمويين والعباسيين . وإذا لم يذهب الخليفة للحج فإنه ينيب أو يولى رجلاً من أهل بيته أو رجال دولته . ( ١ )

ولقد كان رجال البلاط في الخلافتين العباسية والفاطمية يتسابقون لتولى امسرة الحج التي أصبحت من أهم الوظائف وأهم الواجبات الدينية . ( ٢ )

ومن الثابت أن هناك شروط لابد من توفرها في أمير الحج ، كونه عالماً بأمور الشريعة لإرشاد الحجاج في مشاعر الحج والعمرة . إلى جانب ما يتميز به من العدل والامانة والرأى والشجاعة والقدرة على تطبيق الأحكام وتوفير الخدمات للحجاج والذين في الطريق . ( ٣ )

- 
- ( ١ ) المالكي : الشافي الصغير ، ص ١ ، الجزيري : درر الفوائد ، ص ٨٣ .  
الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠ .  
( ٢ ) الجزيري : درر الفوائد ، ص ٨٥ . الماوردي : الأحكام ، ص ٣٣ .  
( ٣ ) المقرئ : الذهب المسبوق ، ص ٤ ، ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٤ .  
البتانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٢٩ .

### وظائف امانة ركب الحج :

يوجد مع أمير كل ركب من ركب الحج أشخاص يقومون بمساعدته في تقديم الخدمات للحجاج طوال الطريق ، ولكل شخص عمل منوط به يتولى الاشراف عليه ويكون مسئولا في حالة تقصيره ويتأقرب من قبل أمير الحج ( وهذا سمي فيما بعد بديوان الحج في عهد المماليك ) (١) .

وتتخصر هذه الوظائف في مناصب مختلفة سوف نبينها فيما يلي :

#### أمير الركب :

يعين هذا الأمير من قبل الخليفة أو الوالي على أن يتصف بالورع والصلاح وأن يكون عالما بأمور الدين والدنيا . (٢)

ولم تكن مسئولية أمير الركب بسيطة وسهلة فالحجاز يبعد عن امهار الدول الاسلامية مسافات بعيدة ، وبعض الركبان تمر بأماكن جدباء لا زرع فيها ولا ماء . لذا فقد كان عليه أن يعرف الطرق والاماكن معرفة تامة ، وأن يحوط بالعناية والرعاية عموم الركب في سيره خشية عيث المفسدين من العربان الذين يقطنون الصحراء حتى لا يتعرض الحجاج لمكروه . (٣)

كما كان يتحتم على أمير الركب أن يكون يقظا معتمدا على أهل الدراية بالطرق ليكون على بصيرة بها وأن يقوم بترتيب الركب في المسير والنزول واعطاء كل طائفة

---

(١) الجزيري : درر القوائد ، ص ٨٦ . القاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٢) ابن القران : تاريخ ابن القرات ، ج ٨ ، ص ٢٢٤ . المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ص ١١٨ ، النهر والى : الاعلام ، ص ١٠٣ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٧ . القاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ . الجزيري : درر القوائد ، ص ٨٩ .



من الحجاج مكانا معروفا لهم في اقامتهم حتى لا يتنازعو فيما بينهم ويقوم بالتعقيب عليهم خصوصا أن ركب الحجاج لم يكن له التنظيم مما يؤدى الى بطلان السير وعدم وجود الراحة والأمن في الوقت نفسه . (١)

وعلى أمير الركب أيضا أن يسلك بالحجاج مناطق المياه وأماكن وجود المراعى حيث تستوطن القبائل العربية في هذه الأماكن .

ولابد عليه أن يكون عالما ببطون هذه القبائل لاستخدامها في توفير هذه المياه والبحث عن وجود الماء للحجاج . وعليه أيضا أن يتولى حراسة الحجاج في هذه الأماكن ووضع الحراس المرافقين له لصد هوءلاء الاعراب الذين يفسدون ويقطعون الطريق ، وتحالهم في حالة اعتدائهم على الحجاج (٢) ، أو استرضاهم بما يعطونه من مال وطعام . (٣) وكان عليه أن يكون على اتصال دائم بالحجاج أنفسهم لاستمعا شكواهم ومعاينة الجاني منهم وإقامة الحد الشرعى بواسطة القاضى . (٤)

هذا ولم تذكر المصادر شيئا عن جملة الأموال أو الانفاقات من قبل أمير الركب أو ما يخص له من نفقات خاصة أو عامة على الركب ، سوى ما ذكر أن الوالى يقوم بتقديم هذه الأموال لأمير الركب ثم يقوم هذا الأمير بانفاقها حسب الحاجة . (٥)

- (١) الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى اماره الحاج ، ورقة ٢٢ .  
الجزيرى : درر الفوائد ص ٩٠ .
- (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٢٠ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٩١ .  
الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .
- (٣) الرشيدى : حسن الصفا ، ورقة ٣٢ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١١١ .  
الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .
- (٤) الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١١٢ . الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .
- (٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٧١٠ . الجزيرى : درر الفوائد ، ص ١١٢ .  
الفاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

وهناك موظفون تابعون لأمير الركب من أهمهم (١)

### (١) قاضي المحمل :

ظهر هذا المنصب لأول مرة في صحة الركب المصري في أواخر القرن السادس الهجري . (٢)

ومن قبل كان أمير الركب يتولى تلك المهام ثم صار لبعض الركبان قاضيًا عرف بقاض الركب الذي أقر له مخصصات وأعطيات وأرزاق ودابة يركبها على أن يكون القاضي صاحبًا ومراقبًا لأمير الركب موجهًا له ناصحًا مرشدًا . (٣) ويتسلم عمله مع بداية ترك الركب في الذهاب والعودة ويتقصر عمله على فني الخصومات واستماع الشكاوى وإقامة الحدود على الجنة .

### (٢) مفتش الخيول والجمال :

وكان يتركز عمله في مباشرة الخيول والجمال ويكون مسئولًا

(١) الجزيري : درر القوائد ص ١١٢-١٢٣ .

على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) القاضي عبد الله بن علوان الأسدي تولى أمر قاضي المحمل سنة ٥٧٢ هـ ولم

تذكر المصادر اسمًا لقاضي قبل الشيخ عبد الله تولى أمر قضاء ركب الحاج .

انظر الرشيد حسن الصفا ورقة ٤٨ ، المقرئ ، الذهب المسبوق ص ٣٣ .

(٣) الجزيري : درر القوائد ص ١٢٥ .

حج عام	اسم القاضي	المصدر
٥٨٠ بغداد	يحيى الغياني	الجزيري ص ٢٦٥ .
٥٩٢ مصر	الشراف اسماعيل بن تغلب المصري	المصدر السابق ص ٢٦٧ .
٦٠٨ الشام	القاضي الشجاع / علي ابن سلار	المصدر السابق ص ٢٦٩

عن اطعام الخيول والجمال والاشراف عليها في طريقها على الا تحمل أكثر من طاقتها ويتولى هذا المنصب رجالان :

أحدهما : يقوم بالمتابعة والتفتيش والآخر : يتولى أمر العلف . (١)

ويسمى متولى العلف وكانت أعطياتهما دائما تؤخذ من الحجاج ، ويتحدد قدر هذه الاعطيات حسب قوة الأمير فان كان قويا فهو الذى يحدد الأجر وان كان ضعيفا فهما اللذان يطلبان ما يريدان من أجر والا فانهما يسيئان تغذية الحيوانات ، ولا يتسابعان احمالها ، مما يؤدى الى موت عدد كبير منها . (٢)

### (٣) الطباخون والسقاة :

وهم الذين يتولون أمر الطبخ للحجاج وسقايتهم وأخذ الجلود الخاصة بالذبائح وديغها لعملها قربا للسقيا . (٣)

والطباخون يشرفون على الطبخ وعليهم أن يختاروا أنواع المأكولات التى تناسب الحجاج لتوفير الغذاء لهم على طول مراحل الطرق . (٤)

- 
- (١) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٢٢ .
  - (٢) المصدر السابق ص ١٣٢ .
  - ابن جيد : الرحلة ص ٨٠ . — الفاس : العقد الثمين ج ٢ ص ٥٨ .
  - القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ .
  - (٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ١٣٤-١٣٦ . — القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٠ .
  - (٤) المصدر السابق ص ١٣٦ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٨٩ .

أما السقاة : فيشرفون على رفع الماء من الآبار وتخزينه في القرب ولهم اسم جمال خاصة تستخدم لنقل المياه طيلة السفر . (١) كما كانوا يـ احواضا تحمل بواسطة الجمال لسقيها الدواب . (٢)

ومما تجدر الإشارة اليه أن السقاة في بعض السنوات كانوا يستغلون ضعف أمراء الحج فيبيعون الماء للحجاج ذلك لأن طرق الحج تفتقر الى أمكنة وجود الماء من جهة وأن الاعراب الذين يقطنون الطرق ربما يعيثون في هذه الآبار بقذف الحنظل في مائها حتى يودي الى مראה الماء فلايستطيع الحجاج الشرب منها من جهة أخرى ، مما جعل السقاة يستغلون هذه المواقف في رفع قيمة سعر الماء المحمول معهم . (٣)

#### (٤) مقدم الضوئية :

عرف هذا الاسم كوظيفة ولقب فخري على الآثار العربية ومعناه كبير القوم ، أو الطائفة أو الجماعة وهو بمثابة المرشد واقتصر عمله في اشارة الحج على عدة جمال محمول عليها الخشب والزيت والمشاعل بأنواعها ، فالخشب خاص بالطباخين للاستفادة منه كوقود للطبخ ، وأما الزيت والمشعل فللاضاح ليلا ليهتدى

- 
- (١) الفاسي : شفاء الخرام ص ٢٢٣ .
  - (٢) الجزيري : درر القوائد ص ١٣٧ .
  - (٣) الفاس : شفاء الخرام ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٩ .
  - الجزيري : درر القوائد ص ٢٤٧ - ٢٥٢ .

- الركب به في الطريق وليتعارفوا على كل ما يلزمهم في أماكن إقامتهم . (١)
- ولم تقتصر وظيفته على الاضامة فحسب ، بل ربما حمل معه السلاح لصد غارات الأعراب في حالة خروجهم على الركبان . (٢)
- لذا يتضح لنا من اللقب أنه يتولى الاضامة للركب علاوة على حماية الركب من غارات الأعراب ويحمل معه الأعشاب والعقاقير التي يحتاجها المرضى ، وكان مسئولاً أيضاً عن توزيعها على الحجاج عند احتياجهم لها . (٣)

#### ٥) المبقيات والمؤذن :

- تولى الأول التوقيت لأداء الصلوات الخمس ، ويحدد أيضاً جهة القبلة .
- وتولى الثاني الأذان والإقامة .
- وكنا نحافظان معاً على أوقات الصلاة ، واتجاه القبلة ويخطان الحجاج في المناسك ويلقنهم الدعاء . (٤)

- 
- (١) - المصدر السابق : ص ١٣٩ .
- ابن جبير : الرحلة ص ٨٢ .
- ابن بطوطة : الرحلة ص ٤٨ .
- البتانوني : الرحلة الحجازية ص ٦٨ .
- (٢) السباعي : تاريخ مكة ص ١٨٠ .
- (٣) الجزيري : درر الفوائد ص ١٤٨ .
- (٤) المالكي : الشفاقي الصغير ص ٣٨ .
- الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٦ .
- ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ، ص ٢٨٢ .

## (٦) مبشر الحاج :

وكانت وظيفته التبشير بسلامة الحاج من ناحية أمنه وعدد وفياته ، وماحدث له أثناء الطريق في مكة وأمكنة المشاعر ، وربما يكون عالما بأحوال الحجاج كبيرها وصغيرها ، ويتقدم أمير الحج في اسراعه للوصول الى الكوفة أو دمشق أو القاهرة أو صنعاء ليشرعن أحوال الركب وماحدث له في ذهابه وإيابه<sup>(١)</sup> .

وهذا النظام كان متعارفا عليه طيلة الحقبة الزمنية التي تخص هذا البحث ، وبعد هذه الفترة زادت هذه الوظائف وأصبح لها ديوان خاص يسمى بديوان إمارة الحج . (٢)

ومما ساعد على ذلك سلاطين المماليك الذين وضعوا لها واجبات وزادوا الوظائف حتى أصبح عددها مايقرب من ثلاثين وظيفة يتولى أمر الاشراف عليها أمير المحمل ، وأصبح هذا التقليد متعارفا عليه ، زمن المماليك والعثمانيين \* . (٣)

- 
- (١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .
  - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ .
  - أبوالمحاسن : النجوم ، ج ١٠ ، ص ١٨٠ .
  - (٢) الجزيري : درر القوائد ، ص ١٦٩ .
  - (٣) سعد عاشور : العصر المملوكي ، ص ٤١٦ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٩٢ .

### كسوتا الكعبة والحجرة الشريفة :

أول من كسا الكعبة في الجاهلية ( تبع ) ملك اليمن قبل الهجرة بقرنين من الزمن .

وقد كساها الانطاع ، والمعافر ، والعصب ، والمسوح ، والبرود (١) ، وحينما تولت قريش أمر مكة كست الكعبة بعدة كساءات وأنواع متعددة من الثياب حتى كان زمن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي فقال لقريش أنسا أكسو الكعبة عاما وأنتم تكسونها عاما آخر فلقبوه بعدل قريش وسموه عدلا . (٢)

واستمر الأمر على ذلك حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة . فأمر بأن تكس الكعبة من المطارف الخز الخضر ، وشقائق الشعر ، وأكسية من أدسية الأعراب وقوار الخز ، والوصائل ، والنمارق

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٨٠ : والانطاع جمع نطع وهو بساط من الأديم أي الجلد ، المعافر : بلد باليمن فيقال برج معافري ، أي منسوب إلى معافر اليمن .

العصب : برود يمانية يعصب غزلها أي يجمع ويشد ثم يصبغ بعضه وينسج من غير المصبوغ فيؤتى موشى .

المسوح : مسح تجمع على أمساح وهو كساء من شعر .

البرود : ثوب مخطط : انظر : لسان العرب لابن منظور المواد

( نطع ، غر ، عصب ، مسح ، برود ) .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٥٣ .

جواد على : الفصل ، ج ٤ ، ص ١٠٢ .

على حسنى : تاريخ الكعبة ، ص ٣٤ .

العراقية ، والجبرات اليمانية وأنماط أخرى من المنسوجات .  
وحيثما تم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة أصبحت كسوة الكعبة من  
اختصاصات بيت مال المسلمين (١) التي تصنع في اليمن حتى عهد الخليفة  
أبي بكر الصديق .

وحيثما تم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر سنة ٢١ هجرية أمر  
واله على مصر بصنع كسوة الكعبة والحجرة الشريفة من القباطي المصرية (٢) .  
واستمر أمر الكسوة يرسل من مصر في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى  
عهد معاوية بن أبي سفيان إذ قام بصنع كسوة الكعبة من نوع القباطي المصرية  
والديباج وكانت تكسى بالقباطي في آخر شهر رمضان وتكسى بالديباج يوم  
عاشوراء واستمر الحال على ذلك طوال حكم الدولة الأموية ثم العباسية حتى  
عهد الخليفة المأمون إذ أخبره حجاب الكعبة وسدنتها بأن الديباج ييلس  
ويتمزق لأن حياكته رديئة الصنع الأمر الذي جعله يختار أجودها فكانت القباطي  
المصرية وأصبح دار الكسوة والحجـرة الشريفة مقرها منذ ذلك  
(٣)  
الوقت مصر .

- 
- (١) ابن هشام : السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ .
  - الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
  - الفاص : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١١٢ .
  - على حسن الخربوطلي : مصر الاسلامية ، ص ٤٣ .
  - (٢) القباطي نسبة الى المنسوجات القطنية التي يشتهر بصناعتها أقباط مصر .
  - انظر حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
  - (٣) الازرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ، ص ١٨٦ الى ١٨٩ .
  - الفاص : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .
-



وكان الكساء توضع فوق بعضها البعض حتى أخبر الخليفة المهدي العباسي عام ١٦٠ هـ أن أذسية الكعبة قد كثرت وأصبح بناؤها ضعيفا يخشى عليه السقوط فأمرهم بتجريد الكعبة وألا يبقى عليها سوى كساء واحد (١) وهذا أصبح تجريد الكعبة كل عام مرتين وبعد وضع الكسوة الجديدة عليها. وفي عهد الخليفة المتوكل على الله زيد ازاران آخران لكسوة الكعبة حتى لا ينتابها البلاء اذا تمسح وتبرك الحجاج بها (٢) ولما انتقلت الخلافة الفاطمية الى مظهر ظهر التنافس بين الخلافتين واضحا فكان له أثره على كسوة فتارة تأتى من مصر وتارة أخرى تأتى من بغداد (٣) . وفي بعض السنوات أحضرت الكسوة من كلتا الخلافتين (٤) .

- 
- الفاكهى : اتحاف الورى ص ٤٨ • النهروالى : الاعلام ص ٧٩  
 المقرئى : الخطط ج ١ ص ١١٣ •  
 ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٥٠ ، الى ص ٥٣ •  
 ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج ٥ ، ص ١٣٠ •  
 الطبرى : القسرى لقاض أم القرى ص ١١٥ •  
 المقدس : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ •  
 محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ ، ٦٠ •  
 على حسن الخربوطلى : مصر الاسلامية ، ص ٦٨ •  
 (١) الأزرقى : ج ١ ، ص ٢٥٤ •  
 (٢) المرجع السابق : ج ١ ، ص ٢٥٥ •  
 الفالهى : النتقى ص ٤٥ •  
 (٣) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٢٧ •  
 النهروالى : الاعلام ، ص ٧٩ •  
 (٤) الجزيرى : درر القوائد ، ص ١٧٩ •  
 ابن الفرات : تاريخ الفرات ج ٥ ، ص ١٣٠ •

وفي سنة ٤٥٥ هـ أسر الخليفة الفاطمي واليه على اليمن على بن محمد الصليحي بأن يكسو الكعبة الشريفة ثيابا بيضا\* من الحرير ، وقام بتوزيع الأعطيات على سدنة الكعبة ، وسبب عدم ارسال الكسوة من مصر هذا العام انشغال مقر الخلافة في مصر بالفتن الداخلية بالبلاد . (١)

وكان للكسوة ركب خاص بها تعداده ثمانية جمال تحمل على ظهرها كسوة الكعبة الشريفة والحجرة النبوية من مقر صنعها حتى مكانها ، ويتقدم هذا الركب أمير الحج الذي يحيط به الحراس لحماية ركب الكسوة ، وتسلم هذه الكسوة لسدنة البيت من بنى شيبية في مكة المكرمة . (٢)

ومن الثابت أن عدد ركب الكسوة بدأ يزداد عاما بعد عام حتى أصبح عدد جماله في أواخر هذه الحقبة من هذا البحث ما يقرب من عشرين جمالا ، وأصبح هذا التقليد متعارفا حتى زمن سلاطين المماليك . (٣)

- 
- (١) محمد أمين صالح : العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية ص ٦١-٦٢ .
  - (٢) الرشيدى : حسن الصفا ورقة ٢٠ .
  - ابن مهند : اتحاف الورى رقم ١٨٩ .
  - القاس : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٠ .
  - (٣) القاس : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢٠ .
  - النهر والى : الاعلام ص ٨٢ .
  - السخاوى : التحفة اللطيفة ج ١ ص ٤٠ .
  - البتانوى : الرحلة الحجازية ص ١٣٠ .

### نفقات الكسوة :

من المعلوم أن نفقات الكسوة مصدرها الرئيسى بيت مال المسلمين ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بكسائها من بيت مال المسلمين وصار على نهجه الخليفة أبوبكر الصديق رضى الله عنه وباقى الخلفاء من بعده ، وتميزت مصر بصنع كسوة الكعبة لشهرة المنسوجات المصرية . وأوضحت الآثار والمصادر أماكن صنع الكسوة فى دور الطراز بسطا ونونه فى جزر بحيرة المنزلة ، يشير ذلك إلى النص التالى :

\* بسم الله بركة من الله لعبد الله هارون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه . مما أمر به الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه فى طراز شطا كسوة الكعبة سنة ١٩١ هـ . \* (٢)

- 
- (١) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٢٩ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٨٥ .  
ابن جريد : الجامع اللطيف ص ٥٤ .  
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦٠ .
  - (٢) شطا مدينة تقع عند تنيس ودمياط ، وتنسب إليها الثياب الشطوية ، وأما تونس فهى قرية من أعمال تنيس ، انظر ياقوت ج ٢ ص ٥٢ ، حتى ص ٥٩ .  
المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٣ .  
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ .  
على حسن الخربوطلى : تاريخ الكعبة ص ٣٨ .
  - (٣) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٢٥ .  
النهر والى : الأعلام ص ١٣٢ .  
زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ج ١ ص ٨٦ .  
محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ص ٦١ .

ويذكر لنا المقرئ أن مكان صناعة الكسوة انتقل الى ثغر تنيس بمصر مع بداية القرن الرابع الهجري لشهرتها العظيمة في صناعة المنسوجات .  
اذ أنشأ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي دار الكسوة بها حتى أواخر  
الحقبة الزمنية لهذا البحث . (١)

ثم أنشأ بتورسول ببلاد اليمن في مدينة صنعاء دار لصناعة الكسوة  
استمرت فترة وجيزة من الزمن حتى استطاع السلطان الظاهر بيبرس من  
اعادة ارسال كسوتى الكعبة والحجرة الشريفة من مصر . (٢)

ويذكر لنا الصباغ (٣) أن أول من أوقف أوقافا على كسوة الكعبة يصرف  
ربعها على دار صناعة الكسوة هو السلطان الناصر محمد قلاوون .  
أما ما ذكره السخاوي (٤) في كتابه التحفة اللطيفة بأن أول من أوقف  
أوقافا على كسوة الكعبة هو صلاح الدين فهو غير ثابت وهنا التباس فى  
الاسمين من الصالح ، وصلاح الدين ، وخلاصة القول : أن أول من أوقف  
على كسوة الكعبة أوقافا هو الناصر محمد قلاوون ، أما صلاح الدين فانه أوقف  
أوقافا على خدم الحرمين الشريفين .

- 
- (١) المقرئى : الخطط ج ١ ، ص ١٨٥ .  
النهر والى : الاعلام ص ١٣٩ . الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٣٦ .  
أحمد عبد الغفور عطار : الكعبة والكسوة ص ١٣٨ .  
(٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ١٠٧ .  
ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٦٢ .  
المقرئى : السلوك ج ١ ص ٤٦٨ . ابن خلدون ، العبر ج ٥ ص ٤٨٩ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٩ .  
(٣) تحصيل المرام : ورقة ٢١٠ .  
(٤) السخاوى : التحفة اللطيفة ج ١ ص ٩٨ .

وجملة هذه الأوقاف تتركز بصعيد مصر ومحافظة القليوبية غير أن صلاح الدين أوقف قرية نفاده<sup>(١)</sup> في صعيد مصر وثلاث قرية ببيسوس<sup>(٢)</sup> بالقليوبية وأن ريسع هاتين القريتين يصرف على خدم الحرمين الشريفين .<sup>(٣)</sup>

ومن الواضح أن الملك الناصر محمد قلاوون أوقف مدينتي بيسوس وسند بيس على أن يصرف ريعها على دار كسوة الكعبة . ويحدد لنا الفاس<sup>(٤)</sup> في كتابه أن قرية سند بيس تقع بظاهر القاهرة طرف القليوبية ويؤكد لنا أيضا أن ريسع هذه القرية يصرف على دار كسوة الكعبة .

ويضيف لنا<sup>(٥)</sup> صاحب كتاب مرآة الحرمين قرية ثالثة وهي أبو الغيط ويذكر بأن ريع هذه القرية يصرف على دار الكسوة ويؤكد هذا القول النهروالي<sup>(٦)</sup> في كتابه الأعلام ، والفاس<sup>(٧)</sup> في كتابه تحفة الكرام فيقولان انهما من ضواحي القاهرة ويحدد لنا القلقشندي<sup>(٨)</sup> والبخانوني<sup>(٩)</sup> فيقولان ان بيسوس وسند بيس وأبى الغيط من قرى القليوبية أوقفت ليكون ريعها مصروفا على دار الكسوة للكعبة

- 
- (١) نفادة تقع بصعيد مصر ، انظر ياقوت ج ٥ ص ٢٩٥ .
  - (٢) تقع هذه القرية في محافظة القليوبية ، انظر ياقوت ج ١ ص ٥٢٧ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٣٣ .
  - الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٢٤٦ .
  - ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٤٨ .
  - ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٢٨ .
  - أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٨ .
  - (٤) الفاس : العقد الثمين ج ٣ ص ٣٠٦ .
  - الفاس : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٦٩ .
  - (٥) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٨٤ .
  - (٦) النهروالي : الأعلام ، ص ٢٤١ .
  - (٧) الفاس : تحفة الكرام ، ورقة ٢٧ .
  - (٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٥٧ .
  - (٩) البتانوني : الرحلة الحجازية ص ١٢٦ .

والحجرة الشريفة وأن واقفها هو الملك الصالح دين الناصر المملوكى . (١)

### أنواع الكسوة

للكعبة كسوتان : خارجية وداخلية ، فالخارجية تجد دكل عام مرتين ولونها أسود وتصنع من الحرير الأسود وبطانتها من الكتان ومكتوب عليها اسم الملك أو السلطان ، وكانت تحلى بالقصب المطلق بالذهب ، وتكتب عليها آيات قرآنية ، فالجزء الأمامى وهو الذى يسمى بالبرقع مكتوب عليه الآية القرآنية الكريمة : " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا " (٢) وعلى الجزء الجنوبى مكتوب بعد البسملة : " جعل الله الكعبة البيت الحرام مثابة للناس وأمناء واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيوتى للطائفين والعاكفين والركع السجود " . (٣)

وفى الركن الشرقى : " وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " (٤) وبين الركن الغربى والشامى مكتوب بعد البسملة : " واذ يرفع ابراهيم القواعد الى قوله التواب الرحيم " (٥) .

- 
- (١) الفاس - العقد الثمين ج ١ ص ٥٩ .
  - النهر والى : الأعلام ص ١٤٤ .
  - السخاوى : التختة اللطيفة ج ١ ص ٣٠٥ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٨٦ .
  - (٢) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٧ . القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٧ .
  - ابن بطوطه : الرحلة ص ١٠٦ . البستانونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٨ .
  - (٣) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٨ . الرشيدى : حسن الصفا ورقة ٢٧ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٩١ .
  - (٤) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٩ . ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ١٠٣ .

وأما الكسوة الداخلية فانها لاتجدد كل عام وغالبا تجدد بعد أن تبلى ثم تصنع من الحرير الأحمر الموشى بالذهب ومكتوب عليها كلمة " لا اله الا الله محمد رسول الله " وفى حواشيتها آيات قرآنية أخرى وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

ومما تجدر الإشارة اليه أن الكسوة كان لها طابع دينى وسياسى اذ تعتبر علامة هامة من علامات الفترة السياسية للدولة ، فالخليفة التى تصل كسوته قبل الآخر يعتبر هو الفائز فترة الصراع السياسى الذى تم بين الخلافتين العباسية والفاطمية . (٢)

لذا فان الفاطميين كانوا حريصين على ارسال كسوة الكعبة قبل العباسيين وان اضطهرهم الأمر فى بعض السنوات بتكليف الصليحيين حكام اليمن لارسال الكسوة على الموقف السياسى (٣) وبعد سقوط الخلافة الفاطمية وسيطرة الأيوبيين

- 
- (١) الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٤٠ .  
ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ١٠٤ .  
الرشيدى : حسن الصفا ، ورقة ٣٠ .  
القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٥٩ .  
حسين باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ١٢٨ .
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ١٠٥ .  
الطبرى : الأرجح المسكى ، ورقة ٣٢ . القاس : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ١٩٧ .  
ابن تغربرى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٠٧ .
  - (٣) ابن الأثير : ج ١٠ ص ٣٠ . الخزرجى : اللؤلؤة ، ج ١ ص ١٣٢ .  
الفسانى : المسجد المسبوك ، ص ٤١٠ . يحيى بن الحسين : غايصة الامانى ، ج ١ ص ٤٣٠ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(١)  
على اليمن أصبح أمر الكسوة يفد من مصر باسم الخليفة العباسي والسلطان الايوبي  
وعند ما انتقل بنورسول باليمن بدأ الشامس مع الايوبيين فتأتى كسوتان احدهما  
من مصر والثانية من اليمن . ويتوقف الاخذ باحدى الكسوتين حسب أسبقية وصول  
وحسب اتجاه

لاى من السلطتين (٢)

وبذلك سيطر الماليك على بلاد الحجاز وظل التنافس فى أمر الكسوة  
بين الماليك والرسوليين فى المراحل الاولى من بداية حكم الماليك حتى تـم  
لهم السيطرة على الحرمين الشريفين . (٣)

#### طرق الحج :

استجابة لدعوة أبو الانبياء ابراهيم عليه السلام ( وأذن فى الناس بالحج  
ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم  
ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام  
فكلا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا  
بالبيت العتيق ) . (٤)

- 
- ١) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٧٦ .
  - الجزيرى : درر القوائد ص ٢٧٣ .
  - محمد عبد العال : الايوبيون فى اليمن ص ١٠٨ .
  - ٢) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٩ .
  - الطبرى : اتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ٢٣ .
  - المقرئى : الذهب المسبوك ص ٧٩ .
  - عليان : الحياة السياسية ص ٩٧ .
  - ٣) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٠ . المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٨٠ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ص ٢٩٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٠٧ .
  - عليان : الحياة السياسية ص ٩٨ .
  - ٤) القرآن الكريم : سورة الحج ، آية رقم ٢٧ .



وتلبية لهذا النداء يخرج عشرات الألوف من جميع أقطار العالم الإسلامي في أشهر معلومة من السنة الهجرية ملبيين ومتجهين الى مهوى فؤاد كل مسلم الى مكة المكرمة ليؤدوا الركن الخامس من أركان الإسلام مهللين مكبرين لله الواحد القهار . (١)

ومن المعلوم أن هذه الطرق الرئيسية هي أربع :

طريق ركب الحاج العراقي ، المصري ، الشامي ، اليمني . (٢) وتتجمع هذه الركبان من المدن المختلفة لكل إقليم يجمعهم أمير واحد حتى يدخلوا مكة . ثم يتولى إمارتهم في مكة لقضاء مناسكهم أمير مكة من الأشراف الحسينيين . (٣)

#### (١) طريق ركب الحاج العراقي :

هذا الطريق يخرج منه الحاج العراقي من بغداد الى صصر في مرحلة واحدة . ثم الى فراشه في مرحلتين ، ثم الى الكوفة في ثلاث مراحل ، اذ تتجمع فيها ركبان الحجاج من خراسان والديلم ، وبخارى ، وسمرقند ، فرادى وجماعات يتحدون تحت أمير الحج المعين من بغداد (٤) ، فمنهم من ينزل مشهد

- 
- (١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٨٤ .
  - الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٤٨ .
  - (٢) الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٦٥ .
  - (٣) ابن فهد : اشبان الوري ، ورقة ٢٥٣ .
  - الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٦٣ .
  - البتانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٧٩ .
  - (٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٣٦ .
  - الجزيري : درر القوائد ، ص ٤٦٥ .

الامام على رضى الله عنه ثم يرتحل من الكوفة الى القادسية فى مرحلة كاملة ويقسم فيها يوما كاملا ، ثم الى العذيب ، ومساحتها مرحلة كاملة . وهى أول المنازل البرية ، فيردون ماءها بعد أن يتزودوا منه ويرحلون الى الرحبة التى تبعد بمرحلتين ، ثم يردون ماءها ويرتحلون الى سلمى فى أربع مراحل . ثم واقعته التى تبعد بأربع مراحل ، وسها آبار وبرك ، فيتزودون منها بالماء ويرتحلون الى خاديت ، وهى تبعد بأربع مراحل .

ثم يرحلون الى زرود بعد ست مراحل ويتزودون منها بالماء ثم يرحلون الى مرشيت بست مراحل ثم الى فتن وهى تبعد بأربع مراحل وسها أسواق وماء يردها الحجاج ، ويقيمون فيها يوما كاملا ، ثم يرحلون الى تخت سليمان فى أربع مراحل ، ثم الى حاج فى أربع مراحل أيضا ليتزودوا منها بالماء ، ثم الى بويرات فى ثمانى مراحل ليتزودوا منها بالماء ثم يرحلون الى ذات عرق فى ست مراحل ويقيمون فيها مدة يوم كامل ، اذ تعتبرمقات أهل العراق فمنها يحرم الحجاج معلنين التلبية مرتحلين منها الى وادى نخلة ثم يخذلون مكة المعظمة (١) فى مرحلة واحدة وفى عودتهم يسلكون طريق ركب الحاج الشامسى والمصرى ليذهبوا الى المدينة لزيارة المسجد النبوى الشريف . (٢)

- 
- (١) المالكى : الشافى الصغير ، ص ٨٠ .  
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٣٩ .  
الجزيرى : درر القوائد ، ص ٤٦٦ .  
جواد على : الفصل فى تاريخ العرب ، ج ٤ ص ٣١٦ .  
ابن جيد : الرحلة ، ص ٤٩ .  
(٢) ابن جيد : الرحلة ، ص ٥١ .

### خدمات الطريق :

من الواضح أن طريق ركب الحجاج العراقى كان الطريق الذى يهتم به خلفاء البيت العباسى منذ تأسيسه ولتهم . اذ أن الخلفاء الاوائل وفى مقدمتهم أبو جعفر المنصور الذى قام بإنشاء محطات البريد ، ورصف الطريق ، وبناء بعض القصور فى هذا الطريق ثم سار على نهج الخلفاء الاوائل من دولته . (١)

واهتم بهذا الطريق السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد ، فقد قامت بزيارة عدد الابار . كما قامت ببناء البرك التى نشرتها طوال هذا الطريق . حتى أصبح متعارفا فيما بعد باسم درب زبيدة بدلا من طريق ركب الحجاج العراقى . (٢)

وهناك وصف لحدى هذه البرك التى بنتها السيدة زبيدة وتقع هذه البركة جنوب جبل الماوان .  
وهى تقع بين الماوية والريدة ذكرها ابن خرداذبة (٣) وابن رسته . (٤)

- 
- (١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ص ٣٥٢ .  
ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ص ٤٥٨ .  
المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢١٠ .
  - (٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ٦ ص ٥٦ .  
المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٤٩ .  
الجزيرى : درر القوائد ، ص ٢٢٣ .  
القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٢ ص ٢٧٣ .  
دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٤٨ .
  - (٣) ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٢٧ .
  - (٤) ابن رسته : الاعلام النفيسة ، ص ١٧٥ .

فابن رسته يقول بأن هذه البركة تقع بين الماوان والريده ، أما ابن خرداذبه فقد ذكر أن اسمها أورعه ، اذ أصبح هذا الاسم يعرف فيما بعد باسم " أديمه " وذكر ياقوت : (١) فقال ان أديمه جبل بين قلهي بالحجاز وتقع هذه البركة في ثلثي طريق الكوفة مكة .

وتبلغ مساحتها ٤٠ × ٣٠ مترا وقد بنيت من الحجارة المنقوشة وفي داخل البركة اكتاف نصف دائرية في كل ركن من أركانها . ويبلغ سمكا جدار البركة ١ ١/٢ متر ، ولها مصب لمجرى السيل من جهتها الجنوبية الغربية ، وعقبها غير معروف وسبب ذلك كثرة الرمال التي غطت كل البركة . وهذا ماحدث لكل البرك التي بنتها السيدة زبيدة على طول هذا الطريق . (٢)

وخلاصة القول أن ماقامت به السيدة زبيدة من اهتمامها في طريق ركب الحجاج العراقيين لم يقم به باقي الخلفاء سوى اصلاح لهذا الطريق أو ترميم للآبار ، وظلت أعمالها جليلة خالدة لم تقتصر على ركب الحاج العراقي بل أوصلت المياه الى مكة وإلى أمكنة المشاعر وعملها باق للوقت الحاضر (٣)

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٢) حمد الجاسر ، مجلة العرب (تحديد موقع الريده) ج ١ .

شهادي رجب وشعبان سنة ١٣٩٥ هـ ص ٦ .

Arashid's A.A. Cirtical Stuc'y of the pilgrimi Road bet ween kuba and Mecca " Darb Zupaydah " with that aid ab field work P.H.D. thesis Univ-ersity of leeds 1977. pp.170-179.

(٣) المسعودي : مرجع الذهب ، ج ٢ ص ٢١٦ .

ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ص ٥١٠ .

القاسم : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٨٥ .

ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١٠٤ .

السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٤٥ .

وفى سنة ٣٦٦ هـ حجت جميلة بنت الملك ناصر الدولة بن حمدان صاحب  
الموصل وقامت بأفعال جلية فى طريق ركب الحاج العراقى . كما أنها أصلحت  
الطريق وزادت من عدد الآبار فى الأماكن التى لا يوجد بها سوى بئر واحد ،  
وأنفقت أموالا كثيرة على العربان الذين يقطنون الطريق .  
وبعد أن قضت الموسم رجعت الى بغداد . (١)

ومن الملاحظ أنه منذ سنة ٣٦٧ حتى سنة ٤١٢ هـ لم يخرج الركب العراقى  
لأداء فريضة الحج ويعود السبب فى ذلك الى أن الأعراب الذين يقطنون  
الطريق قد أصبحوا بحاجة الى المال والطعام لقلة الأعطيات ولانشغال بسنى  
بويه بالحروب والفتن الداخلية التى عمت العراق . (٢)

---

(١) وبعد قضاء الموسم ووصولها الى بغداد يقال بأن عضد الدولة بن بويه  
صادر مابقى معها من أموال لأنه هزم والدها ناصر الدولة الملقب بابسى  
تغلب بن حمدان والى الموصل لخروجه على طاعة عضد الدولة ابن بويه وحيثما  
عادت صادر مابقى معها من أموال وأراد أسرها الا أنها ألفت بنفسها  
فى نهردجلة تخلصا من الأسر .

- انظر ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٥١٠ .  
ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٠١ .  
المقريزى : اتعاظ الحنفا : ج ٢ ص ١٤٥ .  
القاس : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٢٢ .  
السباعى : تاريخ ج ١ ص ١٥٤ .  
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٥١٢ .  
الجزيرى : درر القوائد ص ٢٤٦ .

وفي سنة ٤١٣ هـ أمر الخليفة العباسي القادر بأمر الله بإصلاح طريق ركب الحاج العراقي . كما أرسل الأعطيات الى سكان الطريق لتوزيعها عليهم وليتمكن الصناع والعمال من اصلاح الطريق ، وازالة ما أحدثه الأعراب من خراب فيه . (١)

واستمر هذا العمل حتى سنة ٤٣٣ هـ . ومع استمرار ارسال هذه الأعطيات لسكان الطرق . ثم تعطل الطريق بعد ذلك حتى سنة ٤٦٢ هـ حين أمر الخليفة القائم بأمر الله والسلطان الب أرسلان السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ بإصلاح طريق ركب الحاج العراقي واستمرار ارسال الأعطيات لسكان الطريق . (٢)

وفي سنة ٥٥٤ هـ أمر الخليفة المستنجد بالله العباسي بزيادة خسر الآبار في طريق ركب الحاج العراقي وإصلاح بعض الآبار التي طمرت معالمها من قبل الأعراب الذين يقطنون هذا الطريق ، كما أنه أرسل المهندسين والصناع والعمال لإصلاحه وأرسل معهم أعطيات ليقوموا بتوزيعها على الأعراب (٣) . ومن المفيد أن نذكر أن هذه الفترة السدي تولى حكمها سلاطين السلاجقة قد بذلوا اهتماما بالغاً في اصلاح طريق

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .  
(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣ .  
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

كما أنغذوا الاعطيات على سكان الطريق واستطاعوا تأمين الطريق . (١)  
ولم تذكر لنا المصادر التاريخية ما قدم من اصلاحات لهذا الطريق  
بعد هذه السنة الا في أواخر خلافة الخليفة الناصر لدين الله العباسي  
سنة ٦٠٦ هـ ان أمر بإصلاح الآبار التي تعطلت في هذا الطريق .  
ثم لم نتحدث المصادر التاريخية عن اصلاحات طرأت في هذا  
الطريق حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

#### ب - الأعراب وقطع الطريق :

اعتاد الأعراب منذ بداية القرن الرابع الهجري قطع طريق ركب  
الحاج العراقي بسبب الفتن التي ظهرت على الخلافة العباسية مثل :  
ثورة الزنج ، وظهور حركة القرامطة وتحالفهم مع الأعراب الذين  
انتهزوا هذه الفرصة واتحدوا مع القرامطة لنهب الحجاج والاعتداء عليهم  
ما بين عام ٣١٠ حتى ٣٣٩ هـ . (٢)

وبعد هذه الفترة لم تعيد القرامطة على الحجاج لاختلافهم مع أعراب  
بنى هلال الذين يقطنون هذا الطريق وارسال الاعطيات ،  
من قبل الخلفاء العباسيين للأعراب ، الأمر الذي توقفت فيه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥٦ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ١٤٤ - ٢٥٣ .

اغداً\*اتهم حتى سنة ٣٦٠ هـ (١).

وفي السنة التالية خرج بنو هلال على حجاج ركب الحاج العراقي ونهبوا أموالهم وفرقوا جمعهم أشتاتا مما اضطر أمير الركب أن يعود بما تبقى معه من الحجاج الى الكوفة (٢) مرة أخرى ولم يحج في هذه السنة الحجاج العراقيون . ويذكر لنا الجزيري (٣) في كتابه أن فرقة بسيطة بقيادة أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرضي لكونه عالماً بممالك الطرق أخذ هذه الفرقة سالكا بهم طريق المدينة وأكمل مناسكهم وفي سنة ٣٧٨ هـ خرج على حجاج ركب الحاج العراقي مفرج بن دغثل بن الجراح من قبيلة بني طي\* مطالباً إياهم بدفع المكوس ولم يتم الافراج عنهم الا بعد أن دفعوا له أموالاً كثيرة (٤).

وتذكر لنا المصادر أن الخليفة العباسي حينما علم باغداً القبائل على ركب الحجاج أرسل أموالاً كثيرة وأمر بتوزيعها على الأغراب الذين يقطنون طريق ركب الحاج العراقي حتى لا يعتدي على الحجاج مرة أخرى . (٥) واستمرت هذه الاعطيات ترسل الى سكان الطرق حتى سنة ٤٠٠ هـ.

- 
- (١) ابن الأثير ، الجامل ، ج ٨ ص ٣٥٧ .  
الجزيري ، درر الفوائد ، ص ٣٤٥ .
  - (٢) الجزيري ، درر الفوائد ، ص ٣٤٥ .
  - (٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .
  - (٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ص ٦٠ .  
الجزيري : درر الفوائد ، ص ٣٤٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٥٦ .
  - (٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ص ٧٥ . الجزيري : درر الفوائد ، ص ٣٤٩ .





ومنذ هذه السنة حتى سنة ٦٥٦ هـ . أصبح الخليفة المباسي يرسل مع  
ركب الحجاج جاليات عسكرية وسقاء ليتمكنوا من صد الاعتداءات التي تكررت  
من القبائل وليتمكن السقاء من توفير الماء للحجاج واستمرت أعطيات الخلفاء  
ترسل الى هذه القبائل ليأمنوا شهرهم وطمأنة لحياتهم . (١)

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ص ٢١٣ .  
الجزيري ، درر القوائد ، ص ٣٥٤ .

## طريق ركب الحجاج الشمام

### أ - وصف الطريق :

يبدأ هذا الطريق من مكان يسمى الكسوة تتجمع فيه قوافل الحج من جميع المدن الشامية يقودهم أمير الركب بعد أن يتزودوا من مائها • ثم يرحلون الى مكان يسمى الصنمين الذى يقع بطرف حوران ثم يرحلون الى مكان يسمى درعا التى تشتهر بعدوة مائها وقيمون بها ثم يرحلون الى بصرى التى تشتهر بكثرة أسواقها فيقيمون بها ثلاثة أيام ثم يرحلون الى الزرقاء • ثم يتجهون الى زبارة التى تشتهر أيضا بأسواقها وبوفرة مائها وبارتفاع مكانها والذى يتميز ببركة عظيمة لشرب الدواب منها •

ومن المعلوم أن هذه المدينة يفدها الحجاج ليقيموا فيها ثلاثة أيام ثم يرحلون الى الكرك ثم الى الحصا وهى قرية تقع بين الكرك ومعـان وبعد ذلك يرحلون الى معان • (١)

ومن الواضح أن معان هذه تقع فى طرف بادية الشام فيتزود الحجاج منها الماء ثم يرحلون الى العقبة التى لا يستطيعون الاقامة فيها لوقوعهم فى جوارى بحر القلزم فيرحلون

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢ ج ٢ ، ص ٤٠٧ •  
ياقوت : معجم البلدان ٤ ج ٤ ، ص ٢٠٦ •  
الجزيرى : درر القوائد ، ص ٤٥٤ •

الى ذات الحج ليتزودوا منها ما يحتاجونه من ماء .

وبعد ذلك يستعدون للرحيل الى تبوك ثم الى العلا ليمكثوا فيها يومين لما يتوفر فيها من كثرة محاصيلها الزراعية . ثم يأخذوا طريقهم بعد ذلك الى هديه ومنها الى عيون حمزه حيث يأخذ الحجاج استعدادهم لدخول المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام <sup>(١)</sup> فيمكثون فيها عشرة أيام ، ثم يرحلون الى الأبواء ثم الى بدر ثم الى رابغ ثم الى ذى الحليفة وهي ميقات أهل الشام ثم الى خليص ثم الى عسفان ثم الى وادي مر ، وأخيراً يدخلون مكة مهللين مكبرين لأداء مناسك العمرة . (٢)

#### ب- خدمات الطريق :

تفتقر المصادر التاريخية الى معلومات كافية عن الخدمات التي قدمت في هذا الطريق ما عدا الخدمات التي قدمها خلفاء الدولة العباسية الأوائل من اصلاحات للطريق وخر للآبار وتشديد للقصور وبناء محطات للبريد <sup>(٣)</sup>

---

(١) الجزيري : درر الفوائد ، ص ٤٥٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٥٦ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٣٥٢ .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ص ٨٢ .



ولم يكتفوا بذلك بل طالبوا بدفع ضريبة سنتين مقدما . (١) وبعد أن أصبحت بلاد الشام تابعة للخلافة الفاطمية .

حوص خلفاء البيت الفاطمي على حماية هذا الطريق بإرسال أعطياتهم لسكانه من الأعراب مع أمير ركب كل عام . (٢)

ولما توقف دفع الاعطيات . خرجت قبائل حرب في سنة ٤١٢ هـ وقطعوا الطريق على ركب الحاج الشامى ، وقاموا بحصر الآبار ومنعهم من شرب الماء ، وطالبوهم بدفع المكوس . (٣)

ويقول الجزيرى : (٤) ان الحاج دفعوا كل ما يملكونه من مال لهم — هذه القبائل للسماح لهم بالتزود بالماء والمرور الى مكة .

ثم استمر اعتداء القبائل بعد هذه السنة يزداد خطرا وأصبحت المكوس تطلب من الحاج . ولم تقدم أعطيات الخلفاء لسكان هذا الطريق حتى سنة ٥٢٢ هـ حينما أمر صلاح الدين بدفع الاعطيات التى طالب بها القبائل . واستمر الأمر على هذا النحو حتى سنة ٥٨٣ هـ وند أسلاطين الدولة الأيوبية بإرسال حاميات عسكرية لأمين وسلامة الحاج وأغدقوا أعطياتهم على

---

(١) الجزيرى : درر القوائد ، ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٦١ .

سكان هذا الطريق . (١)

ولعل قسوة الحياة في هذا الطريق ، وعدم وجود فتوحات وحاصلات  
زراعية فيه جعل هذه القبائل تركز في المطالبة بالأعطيات التي تساعد لها  
في استمرار حياتها . (٢)

### طريق ركب الحاج المصري :

#### أ - وصف الطريق :

تتجمع وفود حجاج شمال أفريقيا والاندلس في مدينة القاهرة ويخرج  
الركب من هذه المدينة باسم ركب الحاج المصري ، والمخري متجهين نحو قرية  
البركة ، ومنها الى السويس على ثلاث مراحل : يخرق صحراء سيناء مارا بنخل  
ووادى سدر ، ويمون موسى . حيث يوجد بها آبار وأسواق قديمة .

ثم يرحلون منها الى ايله ، ومنها الى حقل حيث تقع على بحر القلزم  
ثم الى مدين ، ومنها الى عيون القصب حيث تكثر بها العيون والمزارع  
وبعدها الى الازلم ثم الى الوجه . ثم الى اكدا ثم الى الحوراء ثم الى ينبع

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٨-٣٠ .  
الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٦٢ .  
ابراهيم رفعت : امرأة الحرمين ، ج ١ ، ص ٦٩ .  
(٢) الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٦٤ .







بخفر الآبار ما بين مكة وجده . ليستطيع الحجاج الحصول على الماء في طريقهم الى مكة . (١)

وفي سنة ٥٧٢ هـ أمر السلطان صلاح الدين بتجديد بناء هذه الآبار التي تقع بين مكة وحيره . وأمر بالغاء الكوس التي تؤخذ من الحجاج . (٢)

وفي سنة ٦٤٥ هـ أرادت شجرة الدر الذهاب لأداء الحج وفضلت أن تسلك الطريق البري فأمرت بإصلاح هذا الطريق الذي تعطل ما يقرب من مائتي عام ، وأمرت بخفر الآبار وبناء البرك على طول الطريق ، حيث تعطل الطريق مرة ثانية .

وأصبح الطريق البحري مسلك الحجاج حتى سنة ٦٦٦ هـ الذي أحياه السلطان الظاهر بيبرس . (٣)

- 
- (١) المصدر السابق ص ٢٥٢ .  
أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ص ٤٢ .  
(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص ١١٢ .  
ابن جبير : الرحلة : ص ٣١ .  
الغساني : المسجد المسبوك ، ص ١٦٢ .  
محمد عبد المال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، ص ٧٢ .  
(٣) المقرئ : السلوك ، ج ١ ص ٧٦ .  
البتانوي : الرحلة الحجازية : ص ٣٧ .  
إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٧٢ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٦٣ .

### ج - الاعراب وقطع الطريق

لم يشهد هذا الطريق اعتداءات من القبائل الا عندما ضعفت الخلافة الفاطمية ، وخلال سنوات الشدة العظمى التي شهدتها مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي . (١)

ومنذ سنة ٥١٢ هـ بدأت تنقص أعطيات خلفاء الدولة الفاطمية مما أدى الى أن الاعراب قاموا بفرض المكوس على الحجاج بأخذ أموال باهظة أجورا لمراكبهم البحرية .

فيصف لنا ابن جبير هذه الأفعال حينما حج سنة ٥٢٩ هـ مع كسب الحاج المصرى عن طريق ميناء عيذاب فقال :

ان الحجاج يلاقون أخطارا وأهوالا بسبب قطع الطريق من قبل الاعراب من جده الى مكة . وفي الطريق من قوص الى عيذاب (٢) كما أنه يصف الطريق البحرى فيقول : لقد عانى الحجاج من أهلها الأمرين .

ولأهل عيذاب أحوام الطواغيت ، وذلك لأنهم يشحنون بهم الجلاب حتى يجلس الحجاج بعضهم على بعض . ويستوفى صاحب الجلبة ثمنها في طريق واحد . (٣)

- 
- (١) المقرئى : اتعاظ الخنفا ، ج ٣ ، ص ١١٨ .  
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٥٩ .  
(٢) ابن جيد : الرحلة ، ص ٤١ .  
المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .  
(٣) ابن جيد : الرحلة ، ص ٣٧ .

والوكوب من جده اليها آفة الحجاج لأن الرياح هي التي تتحكم في سير  
الجلاب وذلك لأنهم غالبا ما يمارسون على شواطئ "بعيدة عن الموانئ" (١)  
وازداد تعدد الأعراب على أثر سقوط الخلافة الفاطمية حتى  
سنة ٥٨٢ هـ إذ أمر صلاح الدين أهالي عذاب الذين تحكموا في نقل الحجاج  
بتحديد أسعار ايجار الجلاب ، وقام بتوزيع الأعطيات لهم ، ووزع الأعطيات  
على الأعراب الذين يسكنون جدة ، وطريق جدة مكة ، ورفع المكوس  
عن الحجاج وأمرهم برفع المظالم ، وحدد لهم الأعداء التي يمكن للجلاب  
أن يحملها ، كما أنه أوقف الأعراب الذين يسكنون جدة ويتحكمون في سعر  
نقل الحجاج الى مكة بواسطة دوابهم (٢) . وخلاصة القول أن ضعف  
سلطة الخلافة أو الأمراء أو السلاطين يؤدى الى استغلال الأعراب  
للحجاج .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .  
(٢) ابن جيد : الرحلة ، ص ٤٤-٤٧ .  
المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .  
الجزيرى : درر الفوائد ، ص ٢٦٥ .

## طريق ركب الحاج اليمنى

### أ- وصف الطريق :

يتجمع الحجاج فى تعز حيث يبدأ هذا الطريق منها ثم يرحلون الى وادى الحناء ، ويتزودون منها الماء ثم الى وادى الموز حيث تكثُر زراعة الموز فيه ثم يرحلون الى زبيد وسها تتجمع ركبان باقى المدن . ان ينطلق الوركب من زبيد متجها الى المعاذ به فى أربع مراحل ويتزودون منها بالماء وقيمون فيها يوما كاملا ثم يرحلون منها الى القحمة فى أربع مراحل ثم يرحلون الى جيزان ثم يرحلون الى بياضة فى أربع مراحل الى أن يستعدون للرحيل الى حرض ومنها الى المحالب فى ست مراحل ثم الى ملتقى الواديين فى أربع مراحل ، ثم يرحلون الى يلملم وهى ميقات أهل اليمن ويدخلون أخيرا مكة مهللين مكبرين لأداء مناسك العمرة والحج معا . (١)

هذا هو طريق الأودية والجبال .

أما طريق الساحل ويسمى طريق تهامة فيبدأ من المخنف التى تقع قرب عدن ثم الى العاره ثم الى عبره ، ثم يرحلون الى السقيا وسها سوق ،

- 
- (١) عبارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ٢٧-٢٩ .  
الخزرجى ، العقود اللوئية ، ج ١ ، ص ١٦٩ .  
الفسانى ، المسجد المسبوك ، ص ١٩٨ .  
الجزيرى ، درر الفوائد ، ص ٤٢٠ .  
يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

وأبار يتزودون منها الماء ثم الى السحارة ثم الى الخوهه ثم الى الأهواب ثم الى  
السرير ثم جده ومنها يسلكون الطريق مع ركب الحاج المصرى الى مكة .  
وهذا هو طريق ركب الحاج اليمنى الذى يمر بساحل البحر الأحمر .

#### ب - الخدمات :

من الثابت أن هذا الطريق هو الذى كان متعارفا لدى التجار ، اذ يعتبر  
طريق القوافل التجارية ومن أصعب الطرق مسلكا اذ يمر بمناطق جبلية وأودية  
لهذا كان أخطر الطرق التى يمر بها ركب الحاج . (١)  
ومن الجدير بالذكر أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا أية اصلاحات ، أو  
خدمات قدمت لهذا الطريق سوى ما قام به بعض أمراء اليمن فى الفترة  
الآخيرة لهذا البحث .

وفى سنة ٤٥٥ هـ اهتم على بن محمد الصليحي باصلاح الطريق وبناء  
القصور فيه ، كما أمرت زوجته السيدة الحرة الصليحية ببناء بعض المساجد وأصلحت  
الآبار فيه وأقامت السبل . (٢)

- 
- (١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ .  
عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٨٠ .  
الجزيرى : درر القوائد ، ص ٤٥٥ .  
(٢) عمارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٩٢ .  
ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ١ ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .  
الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٧٢ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

وفي سنة ٤٥٨ هـ استعد الصليحي بالذهاب الى مكة لأداء مناسك الحج حاملاً دنائير الذهب والفضة لاقامة بعض المنشآت في هذا الطريق ولكن تعطل سيره بسبب اعتداء بني نجاح عليه في الطريق والقضاء عليه مما أدى الى توقف هذا المنشآت (١) حتى سنة ٦٢٦ هـ.

اذ أمر نور الدين عمر بن رسول باصلاحه وزيادة حفر الآبار فيه . (٢)  
وفي سنة ٦٤٧ هـ أمر بتجديد بناء المساجد التي تقع في هذا الطريق وأنشأ محطات بريد . (٣)

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أى اصلاحات حدثت في هذا الطريق بعد هذه السنة .

أما عن اعتداءات القبائل فان المصادر التاريخية لم تذكر لنا أى اعتداء حدث للحجاج سوى ما حدث سنة ٦٥٥ هـ وحينما علم المظفر يوسف بن رسول قاد حملة بنفسه لردع وصد هذه القبائل التي تقطن هذا الطريق . (٤)  
\* \* \*

- 
- (١) عبارة اليمن : تاريخ اليمن ، ص ٩٨ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ص ٢٥٧ .  
محمد أمين صالح : دولة الخوارج في اليمن ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .  
المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٨ .
  - (٢) الخزرجي : العقود اللوئية ، ج ١ ص ١٨٤ .  
ابن الديبع : قرة العيون ، ج ١ ص ٤١٦ .
  - (٣) ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ص ١٨ .  
الجزيري : درر الفوائد ، ص ٢٥٦ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ١٨٣ .
  - (٤) ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ص ١٩ .  
الخزرجي : العقود اللوئية ، ج ١ ص ١٨٥ .

## الفصل الثالث

### الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز



## الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز

### أ - النشاط التجارى :

كان لموقع بلاد الحجاز أهمية بالغة بالنسبة للنشاط التجارى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فبلاد الحجاز تقع فى غرب شبه الجزيرة العربية ، وهى تمتد مسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر ، كما أنها تتصل شمالا ببلاد الشام ، وتتصل جنوبا ببلاد اليمن . وكذلك تتصل بمصر برا وبحرا . وساعد هذا الموقع الممتاز على ازدهار النشاط التجارى لبلاد الحجاز منذ أقدم العصور . (١) فقد أخذت القوافل التجارية القادمة من اليمن تسير عبر أراضي الحجاز فى طريقها شمالا الى بلاد الشام وتمر القوافل التجارية فى طريقها بمدن هامة جدا كصنعاء ومأرب ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومنها الى مدائن صالح ثم غزة وجنوب الشام وبعضها يسير الى مصر . وكانت هذه القوافل التجارية والمراكب تحمّل فى ذهابها وإيابها مختلف البضائع المطلوبة آنذاك . (٢)

---

(١) على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٨٣ .  
(٢) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٩٠ .  
على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٨٦ .

أما عن الطريق البحرى لبلاد الحجاز فقد كانت المراكب التجارية تسير الى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الأحمر وفى نفس الوقت كانت هذه الثغور الحجازية على البحر الأحمر تستقبل سفنا تجارية من الحبشة والهند والصين ومصر فضلا عن اليمن . (١)

وتعتبر مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف من أهم المدن التجارية ببلاد الحجاز وكذلك ميناء جدة الذى كان له شهرة تجارية فائقة فى الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز . وترجع أهمية مكة المكرمة الى عاملين :

أولهما : هو موقعها الممتاز على طريق القوافل التجارية القادمة اليها من بلاد الشام الى اليمن أو العكس ، وبذلك غدت مكة المكرمة محطة تجارية هامة تتوقف فيها القوافل للراحة والبيع والشراء من ناحية ، وكى تتزود بالماء والموا من من ناحية أخرى ، لتستأنف رحلتها . (٢)

والعامل الثانى الذى لعب دورا هاما فى تاريخ مكة الاقتصادية هو وجود الكعبة الشريفة فيها حيث يقصدها ألوف عديدة من المسلمين كل عام

- 
- (١) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٤٠ .  
نعيم زكى ، طرق التجارة ، ص ١٣٨ .
  - (٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٣٨ .  
ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ١٢٥ .  
أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

فى موسم الحج (١) . مما يؤدى الى نشاط البيع والشراء بين الحجاج القادمين اليها بمختلف البضائع من كافة أنحاء العالم الاسلامى ، كذلك مما زاد فى أهمية مكة التجارى هو قربها من ميناء جدة الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، فالمسافة بينهما لاتزيد على أربعين ميلا . (٢)

وعلى هذا فلم تكن مكة المكرمة محطة تجارية فقط بل اشتهر أهلها بالتجارة والوساطة التجارية بين البلاد الاسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها .  
ويذكر الرحالة ابن جبير (٣) أن مكة كانت ملتقى الصادر والوارد بالقوافل المحملة بمختلف البضائع ، وهى موسم اجتماع الحجاج القادمين اليها من أنحاء العالم الاسلامى بمختلف النعم والفواكه والتمرات والمنسوجات والبضائع مما يؤدى الى قيام أسواق عامة فى مواسم الحج ، وهذه الأسواق تقام فى أيام معلومة وفى أماكن مستقرة فاصبحت تقليدا من تقاليد الحج . (٤)

---

(١) عبد العزيز الازهرى ، قصص عكاظ ، ص ٤٤ - ٥٠ .

(٢) على السليمان ، النشاط التجارى ، ص ١٠ .

(٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٨٢ .

(٤) حسنين ربيع : وثائق الجميزه ، ص ١١ .

أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ١٨٢ .

فى عام ٢٦ هـ / ٦٤٦ م أمر الخليفة عثمان بن عفان بنقل مرفأ مكة القديم من الشعبية الى جدة لقربها من مكة ( الفاكهى : المنتقى ٤٦ ) وأخذت جدة من ذلك التاريخ تتطور حتى صارت أهم ثغور الحجاز على الساحل الشرقى للبحر الأحمر اليه ترد شتى المراكب القادمة من مختلف البلاد مما جعل أسواقها مقدسة بأنواع البضائع والمنتجات .

وما أن تصل المتاجر الى ميناء جدة حتى تنقلها القوافل التجارية الحجازية برا من ميناء جدة الى مكة المكرمة كذلك كانت الحال بالبضائع الواردة الى مينائى الجار وينبع فهما يعتبران منفذا المدينة المنورة على البحر الأحمر . (١)

وقد زادت أهمية ميناء جدة من الناحية التجارية فلم تعد مرفأ مكة التجارى بل غدت مرفأ الحجاز بأسره (٢) ، ومما ساعدها على ذلك أنها أكثر اتساعا من ميناء ينبع وغيره من الثغور الحجازية ، كما كانت ترتبط بعدة طرق تجارية مع بعض البلدان الأخرى مثل الطريق الذى يربطها بمكة المكرمة شرقا وبلاد الحجاز والشام شمالا وأيضا ببلاد اليمن جنوبا ، وكل هذا جعل ميناء جدة أهم الموانئ الحجازية وأنشطها تجاريا عبر العصور الاسلامية . (٣)

- 
- (١) حسنين ربيع ، وثائق الجنيظه ، ص ١١ .
  - (٢) الشافى : الجواهر المعده فى فضائل جده ، ورقة ٧ .  
القاسم : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٨٨ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٨ .
  - (٣) الشافى : الجواهر المعده ، ورقة ٨ .  
ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٨ .  
السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٧ .

وذكر الرحالة " ابن جبیر " أن مدينة جدة كانت تتبع أمير مكة المكرمة <sup>(١)</sup> ، وكان أمير مكة يحصل المكوس في جدة من الحجاج القادمين إليها ، وحين غدا صلاح الدين الأيوبي سلطانا على مصر والشام أمر بإسقاط المكوس في جدة من الحجاج ، ثم لما أدرك أن موارد مكة لا تفي باحتياجات أهلها دفع لأمير مكة مالا عوضا عن هذه المكوس (٢) .

أخذت جدة تزدهر اقتصاديا نظرا لازدياد مواردها المالية نتيجة تضاعف عدد الحجاج والتجار القادمين إليها من شتى أنحاء العالم الاسلامي .  
ورود في وثائق الجنييزة أن تجارا من المغرب الاسلامي والاندلس اعتادوا بيع بضائعهم من الحبوب والنحاس وغيرها من منتجات بلادهم في مدن مصر والشام ، ولكن اذا حدث ولم يصادف هؤلاء التجار نجاحا أو سوقا رائجة لبضائعهم في بلاد الشام ومصر فانهم يتجهون ببضائعهم

---

(١) ابن جبیر : الرحلة ، ص ٤٨ .

(٢) ابن نهد : اتحاف الوری ، ورقة ٢٤٠ .

ابن جبیر : الرحلة ، ص ٤٩ .

أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ، ص ٧٩ .

المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ .

فورا الى ميناء جدة حيث يجدون فيها أسواقا رائجة لبضائعهم . (١)

أما الجار فكانت مدينة وثغرا عامرا الى أن أصاب بلاد الحجاز بعض الفتن والاضطرابات منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى عندما اقتحم الأعراب وقطاع الطرق ميناء الجار وفاجأوا أهله بالقتل والسلب والنهب . ورغم عدم استقرار أحوال ميناء الجار فإنه ظل يستقبل المراكب الواردة من الديار المصرية وفى الحال على ذلك حتى أواخر القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . (٢) فمنذ ذلك التاريخ أخذت أهمية ميناء الجار تضعف بينما أخذت تزداد أهمية ميناء ينبع وغدا ميناء ينبع يتمتع بالازدهار والنشاط التجارى منذ سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م حين جعله الأيوبيون فى مصر ميناء رئيسيا للمدينة المنورة وبأتى فى المرتبة الثانية بعد ميناء جدة بالنسبة لبلاد الحجاز كافة . فأصبحت أغلب الغلال والموتى التى تصل المدينة المنورة من مصر تصلها عن طريق ميناء ينبع الواقع على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ، وغدا ثغرا رئيسيا للمدينة المنورة .

- 
- (١) حسنين ربيع ، وثائق الجنيزه ، ص ١٥-٢٠ .  
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٩٣ .  
(٢) نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٤٠ .  
على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٢ .

وقد أسهم هذا الميناء في ازدهار المدينة المنورة تجاريا منذ بداية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى . (١)

وتنقسم مدينة ينبع الى قسمين ، ينبع النخل ، وينبع البحر ، وعندما يطلق المؤرخون المسلمون اسم ينبع فانهم يقصدون بها ينبع النخل ، لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة في بادىء الأمر ، ثم صارت ميناء للمدينة المنورة ، ومنفذاً لها على ساحل البحر الأحمر . (٢)

ولقد لعب ميناء " عيذاب " الواقع على الساحل المواجه لميناء جدة دورا هاما في تجارة بلاد الحجاز واليمن . (٣) وكانت عيذاب في العصور الوسطى الاسلامية تعتبر من أعظم وأهم مراسى العالم فقد كان يصلها أعداد كبيرة من مراكب المسلمين بالهند وغيرها وترسو بها فضلا عن أنها كانت الميناء الذى تنتهى اليه قوافل الحجاج الذين يعبرون البحر الأحمر الى جدة . (٤)

وكانت عيذاب بالنسبة لهؤلاء الحجاج تمثل مركز تجمع لهم ولتجار الشرق القادمين اليها بسلع ومضائق من الحبشة واليمن . (٥) وكان البحارة والتجار يفضلون الرسو فيها عند قدومهم اليها أو عند رحيلهم عنها ، وذلك لعمق وغسرة الماء في ميناء عيذاب وخلوه من الشعاب المرجانية التى تعيق الملاحة في بعض شواطئ البحر الأحمر . (٦)

- 
- (١) نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ١٤٢ .
  - على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٥ .
  - (٢) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
  - محمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ١٢٨ .
  - على السليمان : النشاط التجارى ، ص ٩٢ .
  - (٣) أحمد دراج : عيذاب ، مثال ، ص ٥٥ ، حسين ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ٢٢ ، عطية القوصى : تجارة مصر ، ص ١٢٣ .
  - (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٣ . حسين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٧ .
  - (٥) حسين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٧ .

وقد ذكر ابن جبير في رحلته الى الاراضى الحجازية سنة ٥٢٩ هـ / ١١٨٣ م بأن  
عذاب كانت ( من أحفل مراسى الدنيا لأن مواكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها  
على الدوام ) بالإضافة الى مواكب الحجاج التى تقصدها دائما فى مواسم الحج .<sup>(١)</sup>  
واعتمادا على ما جاء فى كتاب " قوانين الدواوين " لابن ممتى يتبين لنا أن الزكاة  
والجزية هى الضريبتان اللتان تتم جبايتهما من التجار فى ميناء عذاب وما يؤيد هذا  
ان التجار المسلمين والتجار من أهل الذمة القادمين من البلاد الاسلامية هم فقط  
الذين كانوا يعملون فى تجارة البحر الأحمر فى العصر الايوبي ولم يكن مسموحا  
لأى تاجر من المدن الايطالية أو من الهند أو الصين أن يسير من عدن فى البحر  
الأحمر شمالا<sup>(٢)</sup> .

وقد لعب تجار الكارمية دورا هاما فى تجارة بلاد الحجاز خلال العصر الايوبي  
وتجار الكارمية هؤلاء هم فئة من كبار التجار المسلمين احتكروا تجارة الهند والشرق  
الاقصى فى التوابل وغيرها من السلع . وقد كان مركز نشاطهم

---

(١) ابن الجبير : الرحلة ، ص ٤٣ .  
ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٢ .

(٢) Hassaneen Rabia: The financial System, of Egypt ,  
A H. 564 -741, p. 166.



الأول في المحيط الهندي ، واتخذوا قواعد لهم في موانئ ساحل الهند الغربي —

وفي موانئ الخليج العربي ، وعند مدخل البحر الأحمر . (١)

ان أول اشارة وردت في المصادر المتداولة عن طائفة تجار الكارمية الذين لعبوا

دورا هاما في تجارة البحر الاحمر ترجع الى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م وذلك حين

اشار ابن ابيك الدواداري الى تأخر التجار وانقطاع الكارم في عهد الخليفة المستنصر

الفاطمي ، بسبب حوادث الشدة المستنصرية ، وهذا دليل واضح على أن نشاط

تجار الكارمية بدأ منذ العصر الفاطمي ، ان لم يكن قبل ذلك ، واستمر طوال العصر

الايوبي وشطرا من عصر سلاطين المماليك . (٢)

وقد زادت أهمية هؤلاء التجار المسلمين عندما نجح الايوبيون في اقرار نفوذهم

في البحر الأحمر وفي تنظيم شئون التجار في اليمن . وقد سبق أن رأينا نشاط هؤلاء

التجار قد تعرض للخطر بسبب امتداد نفوذ الصليبيين الى ميناء البحر الأحمر . كما

رأينا كيف نجح صلاح الدين الايوبي في احباط محاولات البرنس العدائية في البحر

الأحمر لغزو بلاد الحجاز . (٣)

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٢-١٣ .

حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٧ .

(٢) ابن ابيك : الدورة المضيئة ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ ، تحقيق صلاح الدين المنجب ،

١٩٦١ ، حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٣ .

(٣) وقد سبق التحدث عن محاولات أعداء الصليبيين على الأرض المقدسة في

الفصل الأول من هذه الرسالة .

انظر حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ .

وقد احتكر تجار الكارمية تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي خاصة تجارة التوابل وغيرها من البضائع الشرقية التي كانوا يجلبونها عن طريق عدن إلى مصر حيث يبيعونها إلى تجار المدن الإيطالية وغيرهم . (١)

ولقد قام الأيوبيون بمثل ما قام به الفاطميون من العمل على صد خطر القراصنة في مينا البحر الأحمر فرصدوا سفنا من أساطيلهم من أجل هذا الغرض بشكل خاص . (٢)

#### ب - أنواع السلع الواردة والصادرة :

كان يورد بلاد الحجاز أنواع عديدة من مختلف السلع والمنتجات . وتعتبر التوابل خاصة الفلفل من أهم هذه السلع لضرورة استخدامه في الطعام . وجرت العادة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين أن يباع حمل الفلفل في تجارة البحر الأحمر بمبلغ يتراوح بين خمسين دينارا ومائة وخمسين وعشرين دينارا . (٣)

وكانت الدار حيني ( القرفه ) من أهم السلع التي لعبت دورا هاما في تجارة

- 
- (١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ٢٤ .  
القوصي : تجارة مصر ، ص ١٢٦ .
  - (٢) ربيع : النظم المالية ، ص ١٦ .  
ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ٢٥ . السليمان : النشاط التجاري ، ص ٨ .  
نعيم زكي : طرق التجارة ، ص ١٩٢ .
  - (٣) حسنين ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ٢٣ . القوصي : تجارة مصر ، ص ٢١٦ .

بلاد الحجاز • وكان سعرها يعادل سعر الفلفل أو أعلى منه قليلا • لذلك اعتبرت من السلع المربحة • أما القرنفل فقد بلغ ثمنه ضعف ثمن الفلفل وقد جلبه العرب وجلبوا معه أيضا الخليخان وهونوع من البهار من الشرق عبر الخليج الفارسي ثم بواسطة القوافل البرية أو عبر البحر فورا مرورا بالبحر الأحمر • (١)

كذلك كان الزنجبيل من أكثر التوابل شيوعا واستعمالا في بلاد الحجاز كافة ، فهو لا يقل أهمية وطلباً عن الفلفل والبهار والقرنفل • ومن هذه السلع الرئيسية أيضا الراوند والكافور والعود الهندي والزغران والكرم والهيل ( الجبهان ) وجوزة الطيب التي استعملت في أنواع كثيرة من الطعام كما استخدمت في الطب وتحضير بعض الأدوية لعلاج بعض الأمراض • (٢)

ولم يكن النشاط التجاري في بلاد الحجاز مقصورا على تجارة التوابل ، بل شملت أيضا العطور والبخور وهي ذات أنواع كثيرة منها عود اللند والمسك وخشب الصندل والعنبر واللادن والمصطكى وجميع هذه السلع كانت ترد الى بلاد الحجاز من بلاد الشرق الأقصى وفارس ، وإلى جانب هذه السلع اشتمل النشاط التجاري على الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الأحجار الكريمة • (٣)

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ • حسنين ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ •  
القوصي : تجارة مصر ، ص ٢١٨ • نعيم زكي : طرق التجاره ، ص ٢١٩ •  
(٢) القوصي : تجارة مصر ، ص ٢٢٠ • ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٤ •  
(٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٦ • ربيع : البحر الأحمر ، ص ١٥ • نعيم زكي : طرق التجارة ، ص ٢٢٦ •

وكان يأتي الى بلاد الحجاز قوم من اليمن بقصد التجارة يعرفون باسم السمر  
فيجلبون معهم نوعا من الزبيب الاسود والاحمر . كذلك كانوا يجلبون معهم كميات  
كبيرة من اللوز ، علاوة على الحنطة وبقية أنواع الحبوب بالإضافة الى قصب السكر  
والسمن والعسل . (١)

وكانت القوافل التجارية تأتي من اليمن الى أسواق مكة وهي محملة بمنتجات أخرى  
لليمن مثل الجلود والثياب والبخور ، ومنتجات افريقية نفسها ، من الصمغ والعاج  
والدقيق والتمر . كما كانت القوافل تأتي مكة أيضا محملة بمنتجات الشام ومصر  
كالزيتون والغلال . (٢)

وهكذا كان يجتمع في أسواق مكة المكرمة منتجات كل من الهند والحشة والعراق  
واليمن وخراسان وبلاد المغرب . (٣)

وكانت بلاد الحجاز بلد مصدرا لحاصلات بلاد العرب فتحمل القوافل التجارية  
في اياها الزيت والبلح والقرظ والصوف والوبر والشعر والجلد والسمن . وكانت  
مصر تستورد من بلاد الحجاز الخيول والجمال والجلود المدبوغة . (٤)

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٨ .
  - (٢) علي السليمان : النشاط التجاري ، ص ١٥١ .
  - (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٧ .
  - (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .
- حسين ربيع : وثائق الجيزة ، ص ٢٥ .

وقد اعتادت بعض قبائل اليمن التي تعرف بالسروا لا يبيعوا ما يجلبونه الى مكة من الزبيب واللوز والسكر والبقول والسنن والعسل بالدنانير والدراهم ، وانما كانوا يرغبون في مبادلة بضائعهم تلك بما يجدونه في أسواق مكة من الخرق والعباءات والاقنعة والملاحف المتان ، وغير ذلك من ملابس الأعراب وثيابهم . وقد اثارت طريقة المبادلة هذه دهشة بعض المؤرخين والجغرافيين العرب . (١)

ج - الضرائب والمكوس وطرق جبايتها :

فرض أمراء بلاد الحجاز بعض المكوس والضرائب على البضائع الواردة الى بلاد الحجاز . وكانت حكمة مكس تطلق على الجباية ، كما كانت تطلق على كل ما يأخذه العشار ( الماكس ) . وهذه المكوس ليس لها سند شرعى وانما توارث الحكام فرضها وجبايتها من العصور السابقة . (٢)

وذكر ابن جبير أنه قبل عصر صلاح الدين كان المكس يجبى من الحجاج والتجار في ميناء عيذاب واذا لم يجب منهم في عيذاب جبى منهم في جدة . (٣) وأضاف الرحالة المسلم ابن جبير (٤) مقدار المكس الذي كان مفروضا على الحاج الواحد ففى

- (١) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٨ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٩ .
- ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٠٨ . ابن الديبع : غرة العيون ، ج ٢ ، ص ٧٨ .
- (٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٦٩ . على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٢ .
- (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٩ .
- (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٩ . حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٥٠ . القوص : تجارة مصر ، ص ٢٣٢ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٢ .

وإذا امتنع الحاج عن دفع هذا المبلغ فكان يمنع من الحج والتجارة ويعذب  
شتى أنواع العذاب.

وألقى صلاح الدين الأيوبي نائب السلطان نور الدين محمود في مصرفي سنة  
٥٦٧هـ / ١١٢١م معظم المكوس الفاطمية التي كانت تجبى في الديار المصرية حتى  
يدرك المسلمون انتهاء العمل بمذهب الشيعة، والعودة الى مذهب السنة . وقد  
بلغ عدد المكوس التي ألغها صلاح الدين الأيوبي ثمانية وثمانين مكا . كما بلغت  
جملة حصيلتها في السنة الواحدة مائة ألف دينار وذلك لم يبق من المكوس  
الفاطمية سوى مكس الحاج الذي ألغاه أيضا صلاح الدين الأيوبي في سنة  
٥٧٢هـ / ١١٢٦م . (١)

أما سبب إلغاء مكس الحاج هذا فهو أن الشيخ علوان الأسدي الحلبي ، أراد  
فرفض العام المذكور ٥٧٢هـ / ١١٢٦م أن يؤدى فريضة الحج وكان على صلة  
طيبة بصلاح الدين فلما طلب منه متولى جباية المكس بجدده دفع مكس الحج  
رفض وهم بالعودة من حيث أتى دون أن يؤدى فريضة الحج فخشى الاشراف عاقبة  
الامر ، لذلك أخذوا في ملافتة وارضائه وبعثوا الى مكث بن عيسى

---

(١) أبو شام : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٥ . ابن واصل : مغزى الكروبي ، ج ٢ ، ص ٦٦ . الباز العرينى : مصرفى عصر الأيوبيين ، ص ٢١٥ . أحمد دراج :  
عذاب ، ص ٦٠ ربيع : النظم المالية ، ص ٥٠ .

يخبرونه بأمر الشيخ علوان ، فأمرهم باطلاق سراحه واغائه من المكس ، والسماح له بالتوجه الى مكة المكرمة . (١)

فلما بلغ الشيخ علوان مكة المكرمة ، اجتمع به الأمير مكثرب بن عيسى فشكا اليه قائلا : " بأن دخل مكة لايفى بمصالح أهلها ، وهذا ما يضطره الى أخذ المكوس " فكتب الشيخ علوان بذلك الى صلاح الدين الأيوبي .

وكانت العادة قد جرت أن يأخذ شريف مكة من كل حاج سبعة دنانير ونصف ولايسمح لأحد من الحجاج بدخول مكة دون دفع هذا المكس ويحبس ولايطلق سراحه حتى يفوته الوقوف بعرفة . (٢)

وعلى اثر ذلك خصص صلاح الدين الأيوبي جزية سنوية للأمير مكة مكثرب بن عيسى فجعل له في كل سنة مبلغ ألفي دينار وألف أردب قمحا ، فضلا عن عدة اقطاعات في صعيد مصر واليمن ، يبلغ مجموعها ثمانية آلاف أردب قمح تحمل اليه كل سنة حتى جدة لتعويضه عن تلك المكوس التي اغاها . (٣)

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٠ . ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٦٩ . الجزيري : درر الفوائد ، ص ٢٦٦ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٦٠ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٢٠٩ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٨ . القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٢ ص ١٠٩ . السباعي : تاريخ مكة ، ص ١٢٩ . (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٠ . ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٢١٤ . المقرئ : الخطط ، ج ٢ ص ٢٣٣ . أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٧٩ . أبو شان : الروضتين ، ج ٢ ص ٢٠٦ . علي السليمان : النشاط التجاري ص ١٠٤ .

استمر الغاء المكوس هذه طوال عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ولكنهم —  
عادت بعد وفاته ومما يدل على ذلك أن الملك العادل الثاني سيف الدين بكر بن  
الملك الكامل أعاد فرضها في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٢ م ، يضاف الى ذلك أن خلفاء  
صلاح الدين الأيوبي أهملوا ارسال ما التزم به صلاح الدين الأيوبي نحو البيست  
الحرام ، مما دفع شريف مكة الى تحصيل المكوس من الحجاج والتجار . (١)

وعندما امتد نفوذ بني رسول من اليمن الى الحجاز قام الملك المنصور عمر بن  
رسول صاحب اليمن سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م بالغاء مكوس الحجاج والتجار وكتب بهذا  
الالغاء رقعة جعلها قبالة الحجر الأسود ، على بئر زمزم . وبقيت تلك الرقعة حتى  
سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م حيث نزعها محمد بن أحمد بن المسبيب اليمني . (٢)

وكانت تلك المكوس التي يدفعها التجار بجدة ، تؤم من لهم الطريق الى مكة  
وتحقق لهم الحماية والأمان سواء ظلوا بجدة ، أم أقاموا بمكة المكرمة . وكانت  
المكوس تؤخذ في جدة من الحجاج الواردين بطريق البحر .

ونظرا لأن جدة تابعة لأمير مكة ، فإن تلك المكوس والعشور ، يقوم بجبايتها  
وتحصيلها في ميناء جدة مشرف من قبل أمير مكة . وكان المشرف الى جانب

---

(١) القوصي : تجارة مصر ، ص ٢٢٢ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٥ ، ٢٥٢ .

المقرئزي : السلوك ، ج ١ ص ٢٣٢ . يحيى بن الحسين : غاية الأمان ، ج ١

ص ٤٣١ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٢ .



ذلك يحوس عمالة جدة ، ويقبض لوازمها ، وصدقاتها ، ومكوسها وعشورها . (١)

### الحرف والصناعات :

كانت الزراعة في بلاد الحجاز تعتمد بصفة عامة على المطر وعلى مياه العيون . ومن أهم الحاصلات الزراعية : القمح والشعير والذرة والفواكه والرطب والعنب والموز . ومن المعروف أن مكة المكرمة ليست بلدا زراعيا ، فهي منطقة مجدية جرداء ، لا تصلح للزراعة كما أنها تتميز بالجفاف ، وارتفاع درجة الحرارة . لذلك لا ينبت فيها زرع سوى شجر البادية . (٢)

وعلى خلاف الحال بمكة المكرمة كانت بعض المناطق المجاورة لها ، وبخاصة منطقة الطائف ، والوديان الموجودة بين مكة وجدة ينبت فيها مختلف الحاصلات الزراعية . وبالتالي تمد مكة المكرمة بما تحتاجه من المنتجات الزراعية . وما يجدر ذكره أن أهل مكة كانوا يمتلكون بعض المزارع والحدائق والبساتين في منطقة الطائف بالإضافة إلى ما يملكونه في مكة ، من ابل وبقر وغنم ، وما لديهم من خبرة في تربيها وإنتاجها ورعايتها في الوديان والشعاب المجاورة . (٣)

- 
- (١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٤-٢٥ .
  - (٢) القلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٤٧ .
  - على السليمان : النشاط التجاري ، ص ٨٣ .
  - (٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٧ . ابن جبیر : الرحلة ، ص ١٠٢ .
  - ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٠٠ . أحمد الشريف : مكة والمدینة ، ص ٢١٨ .

أما المدينة المنورة ، فكانت على العكس من مكة المكرمة ، فهي تقع في منطقة خصبة ، لذلك عمل أهلها بالزراعة وقد ساعدتهم على ذلك ما توفر فيها من العيون والآبار فكثرت حولها حدائق النخيل ، مما جعل التمر من أهم حاصلاتها الزراعية ، بل وهو المحصول الرئيس فيها . وهو على أنواع متميزة من حيث الجودة . ويعتبر أهم المحاصيل التي تصدر من المدينة المنورة . (١)

ويعمل كثير من أهل المدينة المنورة بالزراعة ، لأنها توفر لهم معظم احتياجاتهم الغذائية . وما فاض عن حاجتهم من الثمار والخضار يقومون بتصديره ، أو مبادلتهم مع مدن الحجاز الأخرى بما يفتقرون إليه من منتجات ، وبالإضافة إلى ذلك كان أهل المدينة المنورة يتعاملون تجارياً مع الحجاج والتجار الذين يفدون إليها من مكة وهم في طريقهم إلى بلادهم ، أو لزيارة قبر ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام . (٢)

لذلك كانت تجرى في أسواق المدينة عمليات البيع والشراء في أسواقها الحطب الذي يجلبه الحطابون من الأشجار . ويأتي من بيع التمر عوائد اقتصادية مريحة لأهل المدينة المنورة ، كما أنهم يستخدمون النوى علفاً لابلهم ، وهذا

- 
- (١) ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٨٠ . السهمودي : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٦٨ .  
القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٨٩ . علي السليمان : النشاط التجاري  
ص ٩١ ، حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ، ص ٣٥ .  
(٢) الفيروزآبادي : المغانم المطابه ، ص ١٥-٢٠ ، تحقيق حمد الجاسر .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٨٠ .

ما يميز ابل المدينة عن غيرها من الابل كما استخدم أهل المدينة جريد النخل فى سقف المنازل أو صنعوا من خوصها المكاتل والقفف والمكابس والحصير والاطباق والمراوح . كذلك استخدموا جذوعها أعمدة لبيوتهم لتستند عليها السقوف . ولذلك اعتبر أهل المدينة النخيل من أكرم الأشجار بالنسبة لهم . (١)

ومما يجدر ذكره أن أشجار النخيل فى المدينة المنورة تزرع متفرقة تاركة بينها مساحات خالية مما يتيح الفرصة لقيام زراعات محصولية أخرى فى هذه المساحات الخالية وإن أهم ما كان يزرع فى تلك المساحات هو الشعير ، فعليه كان يعتمد أهل المدينة بعد التمر ، لأن محصوله يسد جانباً كبيراً من احتياجاتهم الغذائية ، وإلى جانب هاتين الغلتين الرئيسيتين كان يتوفر فى المدينة المنورة محاصيل أخرى ، لكنهم كانت أقل كمية منها ، ومن تلك المحاصيل القمح والكرام والقثاء والبقول ، وكذلك بعض أنواع الفواكه مثل الرمان والليمون وغيرها . (٢)

وإذا ما انتقلنا إلى أنواع الصناعات التى كانت موجودة فى بلاد الحجاز ، فأننا نلاحظ أن المعلومات التى وصلتنا عنها قليلة جداً ، ومتناثرة بين سطور معدودة

---

(١) الفيروز آبادى : المعانم المطابه ، ص ٣٠ . حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، ص ٦٣ . أحمد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٣٥٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ١٦٢ .

(٢) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٧٨ . الفيروز آبادى : المعانم المطابه ، ص ١٠٩ . ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨ .

فى بعض المصادر • ومن البديهي أن العموان يتطلب قيام صناعات تتعلق بالبناء •  
من نحت ونجارة وصناعة أبواب وماشابه ذلك ، كذلك عرفت صناعات أخرى مثل صناعة  
القوس والمحاريث والمساحى والمناجل وغيرها من الآلات الزراعية التى يحتاجونها  
فى أعمالهم الزراعية • وما أن المدينة المنورة اشتهرت بوفرة النخيل فيها فقد قامت  
فيها صناعات تعتمد على سعف النخيل مثل الزناويل ، والحبال وماشابه ذلك من  
مشتقات النخيل • (١)

ومن الصناعات الهامة التى ورد ذكرها فى وثائق الجنيزه ، صناعات  
الحصير الذى كان شائع الاستخدام فى المنازل والمحلات والمساجد وغيرها ، ومن  
حسن الحظ أن وثائق الجنيزه تمدنا ببعض المعلومات عن صناعة الحصير وصفاته  
وانواعه واسعاره • كذلك عرفت آنذاك صناعة النجارة اللازمة للبيوت من أبواب  
ونوافذ ومختلف أنواع الأثاث • وما ساعد على قيام الصناعات الخشبية توفر شجر  
والطرفاء بكثرة فى منطقة الغابة الواقعة فى شمالى غربى المدينة المنورة •  
كذلك اشتهرت المدينة المنورة منذ العصر الجاهلى وحتى العصر الذى ندرسه

- 
- (١) الفيروزابادى : المغانم المطابة ، ص ١٣٠ •  
المسعودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ٨٦ •  
ابن النجار : الدرة الثمينة ، ص ٣٨ •  
المراعى : تحقيق النضره ، ص ٦٩ •  
حسين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٥ •

بصناعة الفخار من أوان وباريق وأكواب وجرار وحلل وغيرها من اللوازم . (١)

وكان مما شاهده ابن جبير خلال رحلته الى بلاد الحجاز بعض أنواع متعددة من اللبن في مكة المكرمة . كما تحدث في رحلته عن صناعة السمن وصناعة بعض أنواع الحلوى في مكة المكرمة . وهذه الحلوى كانت تصنع من جميع الفواكه الرطب منها واليابس مضافا اليها العسل والسكر المعقود . (٢)

ولا يغيب عن البال أن نذكر صناعات بعض الحلى التى اشتهرت بها بلاد الحجاز ، منذ العصور الاسلامية الاولى ، واستمرت خلال العصر الذى نحن بصدد دراسته . وتتمثل أهم صناعات تلك الحلى فى صناعة الخواتم والخلاخيل والعقود وكان يستخدم فى صناعتها الذهب والمجوهرات والأحجار الكريمة ، ثم يأتى بعد ذلك فى الأهمية صناعة الأسلحة من سيوف ونبال ودروع وصناعة أدوات والآلات الصييد كالفخاخ والشباك وماشابه ذلك وكان معظم ذلك النوع من الصناعات يتم تصنيعه فى المدينة المنورة . (٣)

- 
- (١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ، ص ٢٦ .
  - (٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٨٨ . ابن بطوطه : الرحلة ، ص ١١٨ .  
الجزيري : درر القوائد المنظمه ، ص ٢٧١ .
  - (٣) الفيروز ابادى : المغانم المطايبه ، ص ٢٠٦-٢١٠ .  
المراغى : تحقيق الندره ، ص ١٠٥ . السهوى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٤٨ .  
حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، ص ٨١ ، أحمد شريف : مكة  
والمدينة ، ص ٣٧٨ .

هـ - النقود ودار الضرب بمكة المكرمة :

أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء دار في مكة المكرمة لضرب النقود باسمه <sup>(١)</sup> وذكر القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" أن المعاملات النقدية المتعامل بها في الحجاز خلال عصر الأيوبيين كانت كالمعاملات النقدية المتعامل بها في الديار المصرية والديار الشامية ، وذلك من حيث التعامل بالدينار والدرهم النقرة . <sup>(٢)</sup> وبالتالي كانت الدراهم الناصرية التي سكها صلاح الدين وكذلك الدراهم الكاملية التي أمر السلطان الكامل الأيوبي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م بضرها وهي دراهم مستديرة متعامل بها في بلاد الحجاز . <sup>(٣)</sup>

والى جانب ذلك كان هناك دراهم أخرى جرى التعامل بها في مكة المكرمة سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م وكانت تضرب مربعة الشكل من معدن الفضة الخالصة ، زنتها نحسو النصف ثم انخفض فيما بعد الى السدس ، وهذه الدراهم تنسب الى الملك المسعود صاحب اليمن لذلك سميت بالدراهم المسعودية نسبة الى صاحب اليمن الملك المسعود نور الدين عمر بن رسول . <sup>(٤)</sup>

- 
- (١) حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٩٩ .
  - (٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ . ربيع : النظم المالية ، ص ١٠٠ . عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، ص ٧٣ . السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .
  - (٣) ابن قهيد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٣ . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .
  - (٤) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ص ١٦٨ . الغساني : المسجد المسبوك ، ص ١٣٨ . ابن الديبع : قرة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

### أعطيات الخلفاء لولاية مكة المكرمة :

ان توفير الطعام للحجاج في مشاعر الحج مرتبط بالاستقرار السياسي والادارى فى كل موسم ومدى امكانيات السلطان فى توفيرهما للحجاج . (١)

وقد استمر الاستقرار طول عصر الخلفاء الراشدين فالأمويين ، وفترة طويلة من عصر الخلفاء العباسيين . ولكن فى سنة ٣١٧ هجرية تعرض الحجاج لكثير من أنواع الضيق والتعذيب والقرع سواء داخل مكة أو خلال الطريق ويعود ذلك الى أن القرامطة أغاروا فى تلك السنة على مكة المكرمة ونزعوا الحجر الأسود وانتشكوا حرمت البيت الحرام . (٢)

ثم انحسروا فغدت القرامطة وأعدت الخطبة فى مكة والمدينة الى الخليفة العباسى الراضى سنة ٣٢٧ هجرية ، وأعدت لابنهما الى محمد بن طهمسج الاخشيدى حاكم مصر ، فكان الاخشيديون يقدحون الاعطيات على سكان

- 
- (١) القاسى : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٠ .
  - ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٦٨ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١١٩ .
  - (٢) النهروالى : الاعلام ، ص ٥٨ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

الحميين الشريفين وبالتالي يذكر اسمهم في الخطبة والدعاء لهم على المنابر الى جانب اسم الخليفة العباسي (١) ، ومنذ انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر تنافس الخلفاء العباسيون والفاطيون في السيطرة على الحجاز والدعاء لهم على المنابر ، لذلك أصبح للاعطيات دور كبير في رواج موسم الحج ، وأخذت تتأرجح قلة وكثرة حسب الموقف السياسي والانتقادي من ناحية وحسب قوة وضعف الخلافتين من ناحية أخرى . (٢)

وقد أخذت أعطيات الخليفة الفاطمي تصل مكة المكرمة منذ سنة ٣٥٩ هـ لأن أميرها الشريف الحسن بن جعفر الحسني أعلن قيام حكم الاشـراف في العام السابق وبادر بالدعوة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله . وحذف اسم الخليفة العباسي فبعث المعز الفاطمي من إفريقية الى مكة المكرمة عسكريا وأحمال مال عدتها عشرون حملا للحميين وعددة أحمال

---

(١) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ١٠٠ ، سيدة كاشف : مصرفي صـ  
الاخشيديين ، ص ١٥٣ . د . سرور : سياسة الفاطميين الخارجية  
ص ٢٠ .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٢١ .



متاع \* (١) فظل يرسل تلك الاعطيات بعد انتقاله الى القاهرة وحتى نهاية  
عهده .

وبقيت اعطيات الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تصل بلاد الحجاز ويذكر  
اسمه في الخطبة من فوق المنابر ، ولكن حين توفي سنة ٣٦٥ هـ وتولى الخلافة  
من بعده ابنه العزيز بالله قطعت الخطبة له مدة عامين ودعى خلالهما  
للخليفة العباسي . (٢)

وفي موسم حج عام ٣٣٦ هـ حجت جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني  
صاحب الموصل فأعقدت الاعطيات على الحجاج وعلى سكان مكة المكرمة ، كما  
نشرت الذهب في جبل عرفات وفي حجرة العقبة الكبرى بمنى ، ونظرا لشدة  
الحرارة فانها أسقت الناس الماء المثلج في مشاعر الحج . (٣)

---

(١) السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٦ .

(٢) الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٤٦ .

سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٦ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٤٧ .

ومنذ سنة ٣٦٧ هـ ، وحتى سنة ٤٠٣ هـ أصبحت الاعطيات تأتي لبلاد الحجاز من الخلفاء الفاطميين ، أو من الخلفاء العباسيين تبعاً لميل الاشراف الى أحد الطرفين والدعاء له ، على منابر الحومين في الخطبة والاعياد . وقد تخلل تلك الفترة بضع سنوات ، انقطعت خلالها الاعطيات عن بلاد الحجاز ، لأن شريف مكة أبا الفتوح دعا لنفسه واتخذ ألقاب الخلافة . (١)

لكن الأمير أبا الفتوح ندم على ما أقدم عليه فعاد يخطب للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ويعلن الولاء والطاعة له . وبالتالي عادت الاعطيات تصرف عن جانب الخلفاء الفاطميين الى بلاد الحجاز ، واستمرت الحال على هذا المنوال حتى توفي أمير مكة شكري بن أبي الفتوح سنة ٤٥٣ هـ . (٢)

ففي سنة ٤٥٤ هـ تولى إمارة مكة أبو هاشم محمد بن جعفر وخطب للخليفة المستنصر الفاطمي ، ولكن عاد وقطع الخطبة للخليفة الفاطمي بسبب قلة الاعطيات وفي نفس الوقت أغدق الخليفة العباسي القائم بأمر الله الاعطيات لأمير مكة فأقيمت الخطبة له بدلاً من الخليفة الفاطمي . (٣)

- 
- (١) وقد سبب التحدث عن ذلك تفصيلاً في الفصل الأول .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٧٣ . سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٦ .  
(٢) القاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٧٩ . السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٧٤ .  
(٣) القاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٦ . سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٨ .

ونظرا لهذه التقلبات السياسية من جانب ولاية مكة الاشراف في الولاء والطاعة لاحدى الخلافتين تبعا لكثرة أو قلة الاعطياء الواردة اليهم فان الاعطيات زادت لهم وأغدت عليهم ليقيموا الدعوة لهذه الخلافة أو تلك ، ومن أمثلة ذلك أنه في سنة ٤٥٥ هـ أمر الخليفة المستنصر الفاطمي داعيه على اليمن محمد الصليحي بالقضاء على الدعوة للعباسيين في مكة واعادة الدعوة للفاطميين فكان من بين الاجراءات ، التي اتخذها الصليحي في سبيل ذلك ، أنه اغدق الاعطيات على ولاية مكة — الاشراف وأحسن معاملتهم وكسا الكعبة ثيابا بيضا . (١)

وفي سنة ٤٦١ هـ انقطعت الاعطيات من بلاد الحجاز التي كان يرسلها الخلفاء الفاطميون الاشراف مكة وذلك بسبب الشدة العظمى التي أصابت مصر في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي ، مما دفع أمير مكة محمد بن جعفر الى أخذ قناديل الكعبة واستارها وصفائح بابها . كما صادر أموال التجار بمكة لينفق منها على شئون امارته . وأمر بحذف اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة والدعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله . (٢)

نال ذلك العمل رضى الخليفة العباسي والسلطان ألب أرسلان السلجوقي الذي

- 
- (١) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٦٦ .
  - سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٨ .
  - ابن الديبع : قررة العيون ، ج ١ ، ص ٢١٠ .
  - (٢) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٢٩ .

أرسل الى أمير مكة محمد بن جعفر خلعا ومبلغ قدره ثلاثون ألف دينار ، وطلب منه أن يمنع من الاذان " حى على خير العمل " . (١)

ثم انقطعت الاعطيات لشريف مكة حين توفي الخليفة القائم بأمر الله العباسى سنة ٤٦٢ هـ ، لذلك قطع شريف مكة الخطبة للعباسيين وأعادها للخليفة — المستنصر بالله الفاطمى ، الذى استأنف ارسال الاعطيات لبلاد الحجاز ، ولهذا يمكن القول ، أن أعطيات العباسيين والفاطميين هى التى كانت تدفع أشرف مكة الى الولاء والطاعة لهؤلاء الخلفاء أو أولئك . كما أن هذه الاعطيات كان لها أثرها على الحياة الاقتصادية فى الحجاز فى العصر الفاطمى . (٢)

وعلى الرغم من أن سيل الاعطيات كان ينهال على شريف مكة محمد بن جعفر فترة حكمه من الخليفة العباسى ومن الخليفة الفاطمى الا أن الحجاج فى نهاية عهد ، كانوا غير آمنين على أنفسهم . (٣) ويعود سبب ذلك الى أن سيرة شريف مكة — محمد بن جعفر لم تكن طيبة . ولم يستطع فرض الأمن والاستقرار فى طويق الحجاج . ومن أمثلة ذلك أنه فى سنة ٤٨٠ هـ قام الاعراب بنهب الحجاج ، فلم

- 
- (١) القاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .  
العباسى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٨٦ .  
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١٠ .  
المقرئى : اتعاظ الخنفا ، ج ١ ، ص ٦٨ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٣ .

يحاول التصدي للأعراب ولم يحاول حتى منعهم من نصب الأعراب وكذلك

لم يعمل على تنظيم الأمور الإدارية والاقتصادية في مكة وإقرار الأمن فيها<sup>(١)</sup>.

واستمرت أعطيات الخلفاء العباسيين تصل كل عام بلاد الحجاز

لأن شريف مكة قاسم الذي ولي الإمارة بعد وفاة والده محمد بن جعفر

سنة ٤٨٧ هـ كان يخطب للخلفاء العباسيين ولم يكتف الخليفة المستظهر

العباسي بإرسال الأعطيات لشريف مكة الجديد بل أرسل له الأموال

والخلع أيضا . كذلك عمل ابنه الخليفة المسترشد العباسي فسار على

سياسة أبيه ، وفي إرسال الأعطيات والخلع والأموال لشريف مكة<sup>(٢)</sup>.

كذلك استمرت الأعطيات تأتي من الخلفاء العباسيين لبلاد الحجاز طوال

عهد الأمير فليته الذي ولي حكم مكة بعد وفاة والده قاسم بن محمد بن جعفر

سنة ٥١٨ هـ . لذلك قام شريف مكة الجديد الأمير فليته بمواصلة الخطبة

للعباسيين كما نجح في فرض الأمن والاستقرار في مكة وطرق الحجاز ، مما

كان له أكبر الأثر الطيب في نفوس الحجاج وسكان مكة التجار معا . وقيت

أعطيات العباسيين تصل كل عام متى هو على ولائه للعباسيين والدعاء لهم حتى

وفاته سنة ٥٢٧ هـ<sup>(٣)</sup> ثم انقطعت أعطيات العباسيين ، واستوءت نفست

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ١٩٩ . سرور : سياسة الفاطميين ص ٣١ .

(٢) السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٨٧ . باقاسي : بلاد الحجاز ص ٨٥ .

(٣) الجزيري : درر الفوائد ص ٢٥٧ . باقاسي : بلاد الحجاز ص ٨٦ .

أعطيات الفاطميين لأن شريف مكة الجديد أعاد الخطبة للفاطميين . (١)  
وهكذا نجد أن الأعطيات هي التي كانت تحدد علاقة أشرف مكة بأحدى  
الخلافتين الفاطمية والعباسية . وقد حرص حكام مكة على إبقاء جعل المودة  
موصولا مع الخلفاء الفاطميين ، رغم الدعا للعباسيين وذلك حتى تصلهم باستمرار  
اغراق الأعطيات من الفاطميين . (٢)

ومن مظاهر بقاء جيل المودة موصولا مع الخلفاء الفاطميين هو السفارة التي  
قام بها الشاعر عمارة اليمني بين أمير مكة والخليفة الفاطمي سنة ٥٥٥ هـ . (٣)  
إن كل هذه المعلومات المفصلة ، توضح لنا أثر الأعطيات وانعكاسها على  
العلاقات السياسية بين أشرف مكة ، وكل من الخلفاء العباسيين والفاطميين ، كما  
توضح أن هذه الأعطيات كانت تتأثر بالأحوال الاقتصادية في كل من الدولتين  
العباسية والفاطمية . (٤)

ورغم أن أعطيات الفاطميين لأشرف مكة كانت تتوقف في بعض

- 
- (١) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٣٢ .
  - (٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .
  - (٣) وقد سبق التحدث عن ذلك تفصيلا في الفصل الأول من هذه الرسالة .  
انظر المرجع السابق ، ص ٣٣ .
  - (٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

السنوات بسبب ظروف مصر الاقتصادية ، إلا أن الخلفاء الفاطميين حرصوا على علاقاتهم الطيبة مع حكام بلاد الحجاز ، كذلك حرص أشراف مكة على علاقاتهم الطيبة مع الفاطميين وذلك بمواصلتهم الأذان "بحى على خير العمل" مما جعل الخلفاء الفاطميين رغم سوء أحوالهم الاقتصادية فى بعض الأحيان يحرصون على اغداق الاعطيات على أشراف مكة وإرسال الحبوب والأموال إلى فقراء الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة . (١)

ورغم ذلك التنافس بين خلفاء الفاطميين ، وخلفاء العباسيين إلا أن هذا التنافس لم يتخذ طابع العنف فى بسط سيادتها على الأرض المقدسة . وذلك رغبة من الخلافتين فى أن تظل الأرض المقدسة فى الحجاز بعيدة عن المعارك الحربية . (٢)

ورغم وفرة الاعطيات التى كانت تصل الحجاز من الخلافتين العباسية والفاطمية إلا أن أشراف مكة والمدينة لم يقوموا بإصلاحات تذكر فى بلاد الحجاز لأنهم كانوا يرون مصلحتهم الذاتية ويقدمونها فوق كل مصلحة ولم يقيموا الخطبة للخلافة العباسية أو للخلافة الفاطمية إلا من أجل إشباع مطامعهم ، حتى يواصل هو "لا" الخلفاء أو أولئك امدادهم بالأموال مما أدى إلى إضعاف بلاد الحجاز

---

(١) القاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .  
حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ، ص ١٢٤ .  
(٢) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠١ .

وتأخيرها علميا وماديا (١) . ومن مظاهر ذلك أن المقدس الجغرافى قد وصف بلاد

الحجاز فى القرن الرابع الهجرى بالفقر وقلة التعليم (٢) .

ثم انقطع رافد هام من روافد تلك الاعطيات وذلك حين سقطت الخلافة

الفاطمية سنة ٥٦٨ هـ وفى الوقت نفسه قلت اعطيات الخلافة العباسية (٣) . وقسـد

دفعت الفوائقة الاقتصادية بأمراء ركبـان الحجاج الى اطعام حجاج ركبهم بأنفسهم

وذلك بتقديم الاطعمة لهم فى مشاعر الحج . وقد استمرت تلك الحال على هذا

النوال حتى سنة ٥٧٠ هـ وهو العام الذى بدأ فيه صلاح الدين الايوبي بارسـال

الاعطيات الى مكة المكرمة (٤) .

وحسب أقوال بعض الرحالة والمؤرخين مثل ابن جبـير والفاـسى نرى أن المكوس

التي كانت تؤخذ من الحجاج تعتبر المورـه الاساسى لامارة مكة ولذلك لم يجـد

اشراف مكة بدا من تحصيلها ولو بالعنف ، وهكذا لم يقبل أمراء مكة المكرمة التنازل

عن تحصيل تلك المكوس الا بعد أن ضمن صلاح الدين تعويضهم عنها بالاموال والسلع (٥)

(١) سرور : سياسة الفاطميين ، ص ٣٤ .

(٢) المقدس : أحسن التقاسيم ، ص ١٠٣ .

(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ . الغسانى : المسجد المـسيـوك ، ج ٢ ،

ص ٢٤٦ . ابن جبـير : الرحلة ، ص ٥٥ .

(٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٣ . ابن جبـير : الرحلة ، ص ٦٠ .

ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٩ . الغسانى : المسجد المـسيـوك ،

ج ٢ ، ص ٢٢٧ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٨ .



وبعد عصر صلاح الدين أخذ أكثر أمير مكة يشعر بحاجته الضرورية الى تثبيت وتقوية مركزه أمام رغبة الخلافة العباسية ، في الاستبداد بالحكم ومن ثم أخذ يعمل على تكوين جيش نظامي له ، ويبنى القلاع كي يتحصن بها عند الضرورة . الا أنه لم يخرج حتى هذه اللحظة عن طاعة العباسيين والأيوبيين . (١)

ثم انقطعت الاعطيات عن بلاد الحجاز كافة بسبب الفتنة التي قامت ببسن الاشراف من ناحية وبين رغبة كل من الأيوبيين وبنى رسول اصحاب اليمن في السيطرة على بلاد الحجاز ، ومحاولة كل من الفريقين مساعدة الطرف الموالي له من الاشراف . ونتيجة لتلك المعارك الحربية فان مكة المكرمة حسب قول صاحب كتاب " شفاء الغرام " قد قاست في هذه الفترة من الأهوال والمصائب مالا يوفي حصره وعانت من غلاء المعيشة وقلة الأرزاق ما لا يطاق . (٢)

ولم تتعرض مكة خلال هذه الفترة المضطربة لقطع الاعطيات عنها ، بل انه في سنة ٦٣٧هـ و ٦٣٩هـ أحرق الملك المنصور بن رسول دار الامارة بمكة بما حوته من عتاد وسلاح وظفر باجلاء الأيوبيين عن مكة . ولما استقر له الأمر ألغى المكوس

- 
- (١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٧٨ . أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢١٤ . السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .  
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٢١٢ .  
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .  
الغساني : المسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

والجبايات ثم ولى على مكة المكرمة الحسن بن علي بن قتادة الذي اعترف بالطاعة والولاء لصاحب اليمن . (١)

ويبدو أن الاعطيات قد توقفت عن أمير مكة ، لأننا نقرأ في سنة ٦٤٨ هـ يمنع الناس من الخروج بعد أن أغلق أبوابها ولم يسمح لأحد بالخروج منها إلا لمن وزن ديناراً عن نفسه وعن كل حمل لديه فاعطاه الناس ما طلب . ويقال : ان أمير مكة هذا كان يميل للمذهب الزيدى ان عين موءنا للزيدية واماما خامسا في الحرم يوم الزيدية وجعل مقامه أمام الركن اليماني . وما أقدم على أفعاله تلك الا ليتقرب من امام الزيدية باليمن آنذاك وهو الامام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين العلوى . (٢)

ويبدو أن قطع الاعطيات استمر خلال سنة ٦٤٩ هـ أيضا لأنه ذكر أن الغسلا في هذه السنة قد عظم أمره وارتفعت أسعار الخبز والحفظة والماء والتمر والعسل والدहन . (٣)

- 
- (١) وقد سبق التحدث عن ذلك تفصيلا في الفصل الأول من هذه الرسالة .  
انظر ابن الديبع ، قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٨ .  
القاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ . السباعى : تاريخ مكة ، ج ٤ ، ص ٢١٥ .  
(٢) الغسانى : المسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ .  
ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٣ . القاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .  
(٣) السهوى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ١٣٨ . ابن الديبع : قرّة العيون ، ج ٢ ، ص ٣٤ . القاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

ولعل هذه الأمور مجتمعة قد دفعت سلطان بنى رسول فى اليمن الى ارسال  
الأعطيات الى مكة فيقال ان أعطياته تلك شملت كل بيت فى مكة المكرمة وأنه اطعمهم  
الحجاج فى يوم عرفة ، كما أنه أرسل الغلمان من اليمن الى مكة المكرمة ليقوموا  
بسقايته الحجاج فى مشاعر الحج وبذلك تكون قد انتهت أعطيات الأيوبيين والعباسيين  
لبلاذ الحجاز . (١)

وهكذا بدأت فترة جديدة من تاريخ بلاد الحجاز حيث سيطر بنى رسول  
على مقاليد الأمور بها وكان لها أثرها الواضح على الحياة الاقتصادية .

\* \* \*

- 
- (١) المقرئى : الذهب المسبوك ، ص ٦٧ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .  
دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٣٣ .  
السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

## الفصل الرابع الحياة الاجتماعية و العمرانية

### طبقات المجتمع الحجازى

يضم المجتمع الحجازى شتاتا من مختلف بلاد العالم الاسلامى لأهميته الدينية عند المسلمين وبالتزواج فيما بينهم لذا ذاب السكان الأصليون مع هؤلاء الجاورين الذين يفدون اليهم كل عام ، واتصف بقاؤههم بأعمال رئيسية أهمها التجارة وبعضهم جاور من أجل طلب العلم الأمر الذى أدى الى زيادة عدد الغرباء الوافدين زيادة كبيرة وقل عدد سكانها الأصليين تبعا لتضخم المدينة من الجاورين بأعدادهم الكبيرة ويظهر ذلك جليا فى طبقات المجتمع الحجازى آنذاك والتسعى نوجزها فيما يلى :

( ١ ) الأمراء : كان أمراء مكة من أسرة الأشراف الحسينيين من أبناء محمد بن جعفر الحنفى محمد بن سليمان (١) واستمرت هذه الأسرة حتى استطاع أبوها ششم محمد بن جعفر سنة ٤٥٥ هـ أن ينتزع إمارتها واستمر حتى سنة ٥٩٧ هـ . وفى تلك

---

( ١ ) تتمثل أسرات الأشراف فى بنى سليمان أبناء الحسن بن جعفر الحنفى تولى أمر مكة سنة ٣٥٨ هـ ثم أسرة الهواشم ٤٥٥ هـ وأخيرا أبناء قتادة بن ادريس سنة ٥٩٧ هـ .

انظر : البرادى ، الدرة السنية ص ٢٢ .  
مسعود بن منصور ، جداول أمراء مكة ، ص ١٨ .

السنة استطاع أبو عزيز قتادة بن ادريس جعلنا قيام الأسرة الثالثة من أسـرات  
الأشراف . (١)

ولقد اتصف الأشراف بحسن معاملة الأسر المقيمة في مكة . كما أنهم كانوا  
يهتمون بسكان البوادي من القبائل ، مما أدى الى استمرارهم فترة طويلة في  
الحكم ، فقد كانوا يقومون بزيارة مرضاهم ، والذهاب الى جنازتهم لمشاركتهم  
في أحزانهم ، كما كانوا أيضا حريصين وحذرين في مسائل الخصومات . (٢)  
فعملوا على تجنب الأحكام القاسية . وكانوا يميلون دائما الى طرق الصلح  
في فض المنازعات . وضعت القوانين لهذا الغرض ، ومما يؤيد ذلك  
ما نلاحظه في الوثيقة التي وضعها الشريف أبو نمى الأول سنة ٨٥١ هـ ،  
وتسمى بقانون أبي نمى . (٣)

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٣٦ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ، ص ١٩٧ .
  - الجزيري : درر القوائد ص ٢٦٢ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ١٢٠ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ٢ ، ص ٢٢٠ .
  - الجزيري : درر القوائد ، ص ٢٦٢ .
  - البتانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٦٥ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٧ .
  - (٣) الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٨٥ .
  - ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٥ .
  - الفاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٨٥ .
  - الفاسي : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٤٠ .

(٢) سكان مكة الأصليين :

ومن الجدير بالذكر أن سكان مكة الأصليين من قريش ، وبعض القبائل التي استقرت في مكة نالت من قريش حسن الجوار أما القرشيون الأوائل فقد خرجوا من مكة مع الفتح الاسلامي الى الشام والعراق ، واستقروا في هذه الأمصار ولم يبق من القرشيين الأصليين في مكة الا العدد القليل أضف الى ذلك بعض العائلات القرشية التي سكنت بوادي مكة والطائف حيث كانوا يشتغلون بالزراعة وخاصة في وادي الوهط في الطائف . (١)

(٣) المجاورون بمكة :

وهم الذين يأتون مكة من مختلف أقطار العالم الاسلامي مع ركب الحج في كل عام وجاوروا البيت الحرام ، ومنهم التجار والعلماء وطلبة العلم ومالبثوا أن استقروا والتحموا بالمجتمع عن طريق المصاهرة واصبحوا يشكلون جزءا منه . (٢)

- 
- (١) الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٩٠ .
  - ابن فهد : اتخاف الوري ، ورقة ٢٤٦ .
  - البرادعي : الدرة السنية ، ص ٣٣ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨ .
  - ياقاسي : بلاد الحجاز ، ص ١١٠ .
  - (٢) القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٩٨ .
  - النهر والي : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٨١ .
  - ابن ظهير : الجامع اللطيف ، ص ١٨ .

ومن المفيد أن نذكر أن المدن في الحجاز منذ القرن الرابع الهجري وفـسـد  
اليها تجار مسلمون من بلاد بعيدة مثل الهند والمغرب والأندلس ، واستقروا في هذه  
المدن ناقلين اليها منتجاتهم في أوطانهم . (١) ويؤكـد هذا القول وثائق الجـنـيزـة  
(٢) وما نذكره لنا من كثرة هؤلاء التجار في هذه الفترة الزمنية . ويؤكـد هـذا  
القول صاحب كتاب شفاء الغرام (٣) ، حيث يقول : ( أن هؤلاء التجار بنسوا  
في مكة أربطة كثيرة أوقفت على سكان هذه الأقاليم وجزء منها خصص لسكان  
هؤلاء الحجاج في أيام الحج ) .

#### (٤) الغارات الحرميين : (٤)

قام هؤلاء الغارات بخدمة الحرمين والحجـرة الشريفة منذ عهد السلطان

- (١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٠ .
- التبانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٥٤ .
- حمد الجاسر : بلاد ينبع ، ص ٢٠ .
- على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨ .
- (٢) ربيع : وثائق الجـنـيزـة ص ٢٥ .
- بافاس : بلاد الحجاز ص ١١١ .
- (٣) الفاس : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٠٢-٥ .
- (٤) الغارات : جمع أغا والمقصود بها خدم بيت الله الحرام وخدم الحرم النبوي الشريف وهم غالباً ما يكونوا من الأفارقة خصصوا ليكونوا خدماً للحرمين .
- انظر : الانصارى : تحفة المحبين ص ٥٣ .



صلاح الدين يوسف بن أيوب (١) ومن قبل ذلك أن أمراء مكة والمدينة وولاتهم—  
ومن جاور من الحجاج يقومون بالخدمة في المسجدين الحرام والنبوي الشريف ،  
وهم المسئولون عن النظافة فيهما وأمر الخدمات (٢) حتى تولى السلطان صلاح  
الدين أمر بلاد الحجاز سنة ٥٦٨ هـ فأرسل فتيانا من الأخابيش والصقالية—  
وكساهم بملابس بيضاء وعلق عليها اشعارات الخاصة بهم فكان أول سلطان وضع  
قاعدة الخدام في الحرمين الشريفين وأوقفت لهم الاوقاف (٣) ، وأهم الوظائف  
التي أسندت اليهم المحافظة على المسجد النبوي نهارا وتقل أبوابه وحراسته—  
ليلا وكذلك تنظيف القناديل ومسحها وتنظيف المسجد وفرش البساط الخاص  
بالأمراء وإيقاد البخور للمسجدين وتطيبب الكعبة بالعطور . (٤)

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١١٣ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٣ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٢٣ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٤ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ص ١١٤ .
  - (٣) الانصاري : تحفة المجيبين ، ص ٥٤ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٥ .
  - (٤) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥٣ .
  - السخاوي : التحفة اللطيفة ج ١ ص ٥٠ .
  - على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٠٩ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ص ١١٣ .

ويشبه التكوين الاجتماعى بالمدينة نظيره فى مكة من حيث طبقة الاشراف من بنى الحسين بن على علاوة على سكانها الاصليين من الاوس والخزرج ثم قلة من مهاجرى قريش وكذلك المجاورين الذين استوطنوا دار الهجرة واندمجوا مع السكان الاصليين عن طريق النسب يشكلون أكبر نسبة فى عدد السكان . ومن أشهر هذه العائلات بنى مهس ، وآل الرفاعى ، وآل سفر ، وآل الطيار . ومن هذه الأسر التجار والصناع وطلبة العلم والعلماء الذين جاؤوا فى المدينة المنورة .

\* \*

- 
- ( ١ ) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٧١١ .  
ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .  
التبانونى : الوحلة الحجازية ، ص ٥٤ .

### العادات الاجتماعية والدينية

لاهل مكة عادات وتقاليد خاصة بهم فى حالات الوفاة والزواج والولادة .  
فى الزواج مثلا ، اذا رغب فى الزواج من فتاة ، يتفق أهله مع أهلها  
على مراسيم الزواج وتقام الولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وكذلك تقام  
الأفراح والولائم يومين قبلها ويوما بعدها . (١) وفى الوفاة يقيم أهل المتوفى  
عزاءهم ثلاثة أيام بعد صلاة المغرب يستقبلون المعزين فيها . (٢) أما فى  
حالة الولادة فان المولود يغسل بعد ولادته بأربعين يوما ، اذا ينظفونه  
ويلبسونه ملابس جديدة بيضاء ولكنها تكون مزركشة بالقصب ويذهبون به  
ويضعونه عند باب الكعبة فى مكة . ثم يذهبون به الى المدينة المنورة  
ويدخلونه الحجرة الشريفة ويغطونه بستارتها ويدعون له بالخير . (٣)

- 
- (١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٤ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٦ .
  - العياش : المدينة بين الماض والحاضر ، ص ١٨٥ .
  - (٢) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٦ .
  - (٣) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٥ .
  - التبانونى : الرحلة ، ص ١٦١ .
  - السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٧ .
  - العياش : المدينة بين الماض والحاضر ، ص ١٨٧ .

وكان من عاداتهم أن يقدم كل واحد منهم كل سنة كمية من الخططة كهدية الى الحجرة الشريفة بعد أن تغسل جيدا ثم يضعها في كيس جديد من القماش ، فاذا وصل الباب المؤدى الى الحجرة الشريفة استغسث برسول الله واضعا الكيس بكل أدب . وهذه الاكياس يأخذها خدم الحجرة ، ويقومون بتقديمها الى عظماء المسلمين في فترة الموسم تبركا . (١)

ولاهل المدينة أوقاتهم التي يروحون فيها عن أنفسهم ، فيخرجون للتنزه في يومى الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر ، فيذهبون فرادى وجماعات ، ويعودون في المساء . وبعضهم يخرج من أول النهار حاملا زاده معــــه وهذه النزهة تسمى مقيالا (٢) . بينما يحب المكيون الذهاب الى الطائف لطيب هوائها وكثرة مائها ومزارعها (٣) .

- 
- (١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٥٠ .  
التبانوى : الرحلة الحجازية ، ص ١٦٢ .  
العياش : المدينة بين الماض والحاضر ، ص ٢٠١ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١١ .
  - (٢) العياش : المدينة بين الماض والحاضر ، ص ٢٤١ .
  - (٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٤ .  
التبانوى : الرحلة ، ص ٢٦٤ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١١ .

ولقد سبق لنا القول بأن المكيين اشتهروا بتأنقهم في الملابس وكثرت في ملابسهم الألوان الزاهية . أما الأمراء فكانوا يرتدون ملابس مصنوعة مسن الحرير وموشاة بالذهب والفضة (١) ومن المفيد أن تذكر بأن هذه الملابس التي كان يرتديها أمراء مكة هي الخلع المرسلة من الخلفاء الفاطميين لهم ثم صار باقي الأمراء يرتدون هذه الملابس الدالة على الأبهة والعظمة . (٢)

أما طبقة العلماء والمجاورين وطلبة العلم فكانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الكتان ويضعون على رؤوسهم العمام ويرتدون الجبة التي تختلف من شخص لآخر حسب ما وصل اليه من درجة علمية . (٣)

ولقد تمتع أهل مكة بفضائل جمّة وأفعال جميلة ومكارم وأخلاق حسنة وإيثار للضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء فمن مكارمهم أنه متى صنع

- 
- (١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٣ .
  - البتانوني : الرحلة ، ص ٢٦٤ .
  - السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٢ .
  - (٢) المقرئ : الخطط ، ج ٢ ص ٢٨٤ .
  - ماجد : نظم الفاطميين ، ص ٩٢-٩٦ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٧ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٢ .
  - (٣) البتانوني : الرحلة ، ص ٢٦٥ .
  - السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٧ .
  - السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .

أحد هم وليمة يبدأ أولاً باطعام الفقراء والمنقطعين المجاورين فيستدعيهم بلطفه  
ثم يطعمهم (١) وأكثر المساكين يتجمعون بالافران حيث يصنع الناس خبزهم فإذا  
حمل الواحد خبزه تبعه المساكين فيعطى كل واحد ما قسم له حتى لو كان لديه  
رغيف واحد فإنه يعطى ثلثه أو نصفه لطالبه ولا يردّه خائباً حتى تطيب نفسه  
من غير ضجر ولا سخط. (٢)

ومن عاداتهم أيضاً استعمال الطيب والاكتمال واستعمال السواك بعيدها  
من الأراك الأخضر. (٣)

\* \*

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ص ٦٧ .
  - ابن بطوطة : الرحلة ص ١٥٢ .
  - الغمرى : مسالك الأبصار ج ١ ص ١٠٠ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٢٦ .
  - (٢) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٥٨ .
  - ابن جبير : الرحلة ص ٦٩ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٢٨ .
  - (٣) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٤٣ .
  - البتانوني : الرحلة ص ٢٦٧ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٢٨ .
  - ياقاس : بلاد الحجاز ص ١٢٣ .

### الاعياد والاحتفالات الدينية

لم يعرف المجتمع الحجازى سوى الاعياد الرسمية الدينية التى تمثلت فى عيسى  
الفطر والاضحى فقد اتسم الاول فى مكة بتزاور أهلها نهارا ولهموهم ليلا وذلك  
بألعاب الشطرنج وسباق الخيل ومارسوا العابا أخرى على أصوات الزامير وانشادهم  
أشعارا فى المدح والغزل والهجاء. (١)

أما النساء فيمارسن العابهن فى فترة عيد الاضحى المبارك وفى يوم عرفات  
وأيام التشريق لخلو المدن من الرجال فى هذه الايام ولانشغالهم فى خدمة حجـاج  
بيت الله الحرام. (٢) وفى عيد الفطر يحتفلن فى بيوتهن وخاصة فى اليوم الرابعـع  
منه الذى يعتبر عيد النساء (٣) فيتزاورون ويقدمن الحلوى المصنوعة بأيديهن الى  
بعضهن. (٤)

- 
- (١) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٧ .
  - البتانونى : الرحلة ، ص ٢٦٨ .
  - السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٣ .
  - (٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٥ .
  - البتانونى : الرحلة ، ص ٢٦٨ .
  - السيابى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٨ .
  - السليمان : العلاقات ، ص ٢١٣ .
  - باقاس : بلاد الحجاز ، ص ١١٣ .
  - (٣) السيابى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٢٨ . السليمان : العلاقات ، ص ٢١٣ .
  - (٤) العياش : المدينة بين الماضى والحاضر ، ص ٢١٧ .

وغدت مكة في عهد الفاطميين تمارس أعياداً مختلفة إذ اهتم الفاطميون بعيد المولد النبوي الشريف ولقد انتشر الاحتفال بهذا اليوم في الحجاز كما انتشر عيد مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها ومولد السيدة خديجة والسيدة آمنة رضي الله عنهما . ولقد احتفلوا بمولد الامام على كرم الله وجهه ومولده ابنه الحسن والحسين - رضي الله عنهما - واحتفلوا بيوم عاشوراء وآخر أربعا من شهر صفر . (١)

ومن الواضح أن هذه الأعياد مارسها أبناء خلفاء البيت الفاطمي في مصر وانتقلت الى بلاد الحجاز الذين مارسوها . ويعود سبب ذلك الى أن الحجاز كان خاضعاً لسيطرة الفاطميين في هذه الاونة ومع كل فلم يكن أهل الحجاز من الشيعة لذلك لم يحتفلوا بأعيادهم مثل عيد الغدير وعيد النيروز وبعض الأعياد التي كانت موضع اهتمام الشيعة . (٢)

---

(١) ان ممارسة الحجازيين لمثل هذه الأعياد انتهى بانتهاء العصر الفاطمي ولم يبق منها سوى الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف الذي يتدارسون فيه السيرة النبوية ومناقب الرسول عليه الصلاة والسلام أما باقي أعياد الشيعة فلم تمارس في مكة بالرغم من السيطرة السياسية عليها من قبل خلفاء الدولة الفاطمية .

- انظر: القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٨٥ - ٩٠ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٣ - ٢٨ .  
النهر والى : الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٢٢ .  
ماجد : ظهور الفاطميين في مصر ، ص ٣٢٥ - ٣٣٠ .  
(٢) ماجد : ظهور الفاطميين ، ص ٣٣١ .



ومن المحتمل أن تكون هذه الأعياد ممارسة من قبل الشيعة القاطنين ببلاد الحجاز فيما بينهم ، ولم تنتشر في بلاد الحجاز انتشارا عاما . وسبب انتشار هذه الأعياد أن أمراء الحجاز هم من أبناء الحسن والحسين لذا فقد ساعدوا على رواج هذه الأعياد . (١)

كما أن هناك أعيادا احتفل بها أمراء مكة والمدينة وهو الاحتفال بأول يوم من الشهر . إذ يخرج أمير مكة مع كبار رجال الدولة يرتدون الملابس البيضاء ثم يصلون عند مقام إبراهيم ركعتين ثم بعد ذلك يقومون بتقبيل الحجر الأسود ثم الطواف بالبيت سبعا ثم يرتفع صوت رئيس المؤذنين بأعلى قبة زمزم مرددا عبارات الدعاء للأمير مهنئا إياه بدخول الشهر ثم يرفع صوته بالدعاء مبتدئا بقوله " صبح الله مولانا الأمير بسعادة دائمة ونعمة شاملة " ثم يتابع الدعاء بتبريك الشهر بعبارات مسجوعة مكللة بالدعاء والثناء مختتما قوله بأبيات في مدح الأمير (٢) . كما يحتفل في الحجاز بظهور هلال شهر

- 
- (١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٥٣ . ابن جبير : الرحلة ، ص ٧١ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٣ . السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٣ .  
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ . ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .  
الأنصاري : تحفة المحبين ص ٥٨ . السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢١٤ .  
البتانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٥٣ .  
إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٢ .

رجب لأن الحجازيين يعتبرونه من الشهور المباركة وهو أحد الأشهر  
الحرم . (١)

ويؤكد لنا ابن جبير (٢) أن أهل مكة يعتبرون العمرة في شهر  
رجب تساوى الوقوف بعرفة لذا فانهم يحتفلون بهذا الشهر احتفالا عظيما  
ويصف موقف المكيين حينما يدخل عليهم شهر رجب فيقول : كان ذلك  
في ليلة الخميس ، فخرج أهل مكة في تلك الليلة الى التنعيم ميقات المعتمرين  
وكل يتأنق ويحتفل قدر استطاعته وترى الهوارج تنتشر في بطاح مكة  
وشعابها وتحضها الابل قد زينت بأبهى أنواع الزينة وبعد قضاء العمرة  
يذهب أهل مكة للسعى بين الصفا والمروة ، فيزدحم السعى بالساعيات  
على هوداجهن والساعين وفي ذلك يتلأأ المسجد الحرام بالانوار  
وعند ثبوت رؤى ليلة الهلال لدى الأمير يأمر بضرب

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٩٨ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٥ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .  
البتانوس : الرحلة ، ص ٢٦٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .  
(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٠ .

الطبول والربادج والابواق اشعارا بأنها ليلة الموسم (١) وبعد أن ينهوا  
مشاعر العمرة يخرج أهل مكة في نهار اليوم من شهر رجب يخرج جميعهم  
حسب مراتبهم حاملين أسلحتهم متطين خيولهم ومنهم من يلعب بالأسلحة  
فيضون ذلك اليوم فرحا ولعبا ويظهرون فنونا من ألوان الحرب والدفاع عن  
النفس ولاتزال هذه الألعاب متداولة حتى يخرج الأمير اليهم فيستمرون في  
اللعب معه ويستمرون في السير معه بالوكبان حتى يصلوا الى المسجد الحرام  
فيطوف الأمير بالكعبة ثم يصلو عند الملتزم ويخرج من باب الصفا الى المسجد  
ومن المتعار أن عمرة رجب يمارسها سكان الحجاز عامتهم طوال شهر  
رجب وتستمر الاحتفالات في مكة بالعمرة في الليل والنهار في هذا  
الشهر. (٢)

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر رجب يحتفل أهل الحجاز

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ٥ ص ١٠٢ .  
ابن بطوطة : الرحلة ٥ ص ١٥٢ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ٦ ج ١ ص ٢٤٩ .  
البتانوني : الرحلة ٥ ص ٢٧٠ .  
المبايع : تاريخ مكة ٦ ج ١ ص ٢٢٩ .  
(٢) ابن جبير : الرحلة ٥ ص ١٠٢ .  
ابن بطوطة : الرحلة ٥ ص ١٦٠ .

احتفالا عظيما . ويعتَمرون في هذه الليلة ، ويسمون العمرة فيها عمرة الاكْملة (١)  
لأنهم يحرمون فيها من أكمة مسجد عائشة رضى الله عنها والاصل في هذه العمرة أنهم  
يحتفلون ببناء البيت زمن عبد الله بن الزبير . (٢)

ويقال بأن هذه الليلة ليلة الاسراء والمعراج ، وقيت هذه العمرة سنة متبعة عند  
أهل مكة . وبعض المكيين يذهبون الى المدينة وبعض المدنيين يذهبون الى مكة  
ويحتفلون ليلة السابع والعشرين من شهر رجب يفتح بيت الله الحرام للنساء خاصة  
فتحتل نساء مكة في هذا اليوم ويسمون ذلك اليوم يوم الزينة المشهور عند نساء مكة (٣)  
وتعتبر ليلة النصف من شهر شعبان المبارك من الليالى التى يحتفل فيها

- 
- (١) الاصل في هذه العمرة نسبة الى أن ابن الزبير أكمل بناء الكعبة في هذه الليلة  
وخرج ماشيا حافيا معتبرا حتى وصل الى الأكمة والأكمة هي شئته الحجـون  
الذى دخل منه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة كما أن هذه الليلة هي  
ليلة الاسراء والمعراج لذا فهم يحتفلون بها .  
انظر : الفاس : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٨٧ .  
النهر والى : الاعلام ، ص ٨٣ .  
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٧٠ .  
(٢) ابن جبیر : الرحلة ، ص ١٠٣ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦١ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٠ .  
(٣) ابن جبیر : الرحلة ، ص ١٠٤ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٠ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٧٤ .  
البتانوي : الرحلة ، ص ٢٦٩ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٢ .

أهل الحجاز فيتمسبون في هذه الليلة الى أعمال البر والخير كما أن بعض المكيين يذهبون للاعمار في هذه الليلة ، وبعضهم يتجمع في المسجد الحرام لقراءة القرآن الكريم والطواف والصلاة جماعات وفردى وفي هذه الليلة يقرأون سورة يسن .<sup>(١)</sup>

ولقد استمرت هذه العادة الدينية حتى زمن سلاطين المماليك ويذكر لنا ابن بطوطة<sup>(٢)</sup> أن هذه الليلة من الليالي العظيمة عند أهل مكة اذ يبادرون فيها الى أعمال البر من الطواف والصلاة والاعتماد ويجمعون في المسجد الحرام على شكل جماعات لكل جماعة امام . ويقدون السرج والمصابيح والمشاعل . ويقابل ذلك ضوء القمر يتلأل في الأرض والسماء ويصلون مائة ركعة يقرأون في كل ركعة أم القرآن . وسورة الاخلاص يكررونها عشرا وبعض الناس يصلون في الحجـر منفردين وبعضهم يطوف بالبيت الشريف وبعضهم يخرج للاعمار .

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ .

ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٥ .

العمري : مسالك الابصار ، ج ١ ص ٨٨ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ص ١٦٦ .

ومن المعلوم أن سكان الحجاز يحتفلون بهلال شهر رمضان المبارك فيضربون  
الطبول عند باب أمير مكة ويبدأ الاستعداد للاحتفال في البيت الحرام فتجدد فيه  
الحصر ويكثر من إيقاد الشمع والمشاعل حتى يتلأل المسجد الحرام نورا  
وتقام فيه صلاة التراويح ومن عاداتهم الاقطار في الحرم المكي في شهر  
رمضان . (١)

ويحسن بنا القول أن نذكر بأنه في مطلع القرن السادس الهجري أقيم في  
الحرم المكي المقامات الأربعة : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ، واتخذ كل  
مذهب من المذاهب ناحية من نواحي المسجد الحرام فالشافعية اتخذت لها  
الناحية الشرقية من المسجد والاحناف والحنابلة الناحيتين الغربية والشمالية أما  
المالكية فقد اتخذت الركن اليماني مقرا لها . وبعد ذلك انشئ مقام الزيدية وجعل  
الركنين ويقوم كل امام في صلاته بجماعته المعتنقين مذهبه . (٢)

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٦ .  
القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤١ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤٦ .  
القاسي : تحصيل البرام ، ورقة ٨٦ .  
الجزيري : درر الفوائد ، ص ٢٢٨ .  
القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٣ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٢ .

ويذكر لنا ابن جبير (١) أن عامة الناس بمكة كانوا يعتنقون المذهب الشافعي أما الأمراء فغالبًا اعتنقوا المذهب الحنفي . وكثيرًا ما كان يحدث الخلط بينهم فرفع أصوات الأئمة يومئذى إلى عدم سماعهم من قبل المصلين وربما يحدث الخلط بين المصلين فيركع المالكى بركوع الشافعى ويسجد الحنفى بسجود الحنبلى وظل الحال على هذا المنوال إلى أن صدر أمر السلطان الناصر فرج المملوك سنة ٨١١ هـ بأن يصلى الشافعى بالجميع . (٢)

ومن المعلوم أن العشر الأواخر من رمضان أن يحيا كل وتر منها كل ليلة فى الليلة الحادية والعشرين يختم أبناء مكة القرآن ويحضر هذه الليلة القاضى وجماعة من العلماء وبعد أن يفرغ الصبية من القراءة يقوم بعضهم لالقضاء خطبة فى الجالسين وعلى والد الصبى أن يقوم بعمل وليمة لهؤلاء الضيوف فى منزله (٣) وفى الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان يختم القرآن أيضا

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٤ : ١٠٧ .

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٠ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢١ .

من قبل هؤلاء الغلمان ويختار من بينهم غلام ويقوم والده بالاحتفال بالجلوس ويحضر لهم جميع الفواكه الموجودة في البلد رطبة أو مجففة مسح القيام بعمل الحلوى المصنوعة بأيديهم ويوقد الشمع ويؤم الطفل المصلين في صلاة التراويح مرتديا آخر ثيابه مكتحل العينين مخضوب الكفين الى الزندين ويعمل له منبر من الخشب يصعد له تلاوة القرآن ويقوم المدرس بالقراءة خطبة يلهم بها أفئدة السامعين لتذكيرهم وحشهم ثم يسكت الخطيب حتى يفرغ الغلام من قراءة القرآن ثم يختتم الخطيب خطبته ذاكرا فيها البيت العتيق مذكرا الناس بمآثر البيت مشيرا الى توديع الشهر المبارك والدعاء للخليفة وللأمير<sup>(١)</sup> وفي الليلة الخامسة والعشرين يحضرون غلاما يقارب الغلام الاول سنا ويحضرون الشموع والفواكه الموجودة آنذاك ويزينون الحطيم بقناديل الشموع

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٦ •  
القاسي : تحصيل المرام ، ورقة ٩٠ •  
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٨ •  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٦٣ •  
ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ص ٢٩٨ •  
البتانوني : الرحلة ، ص ٤٢ •



المختلفة ويعمل محراب ومنبر من الخشب يحيطونه بالشمع ويحترق  
الناس بشهادة هذا المنبر ويعتبر هذا الاحتفال الثالث من العشر  
الأواخر ويصلي بهم الصبي صلاة التراويح ثم يخرج من محرابه الى المنبر  
مرتدياً أواخر الثياب ويسلم على الحضور ويخطب في الناس بسكينة ووقار  
خطبة أبلغ من خطبة سابقة وبعد الانتهاء منها توزع الأطعمة على  
الحضور أو يذهبون الى منزل والد الغلام لتناول الطعام . (١)

ومن أعظم ليالى الوتر عند الملكيين ليلة السابع والعشرين من رمضان  
اذ يحتفلون بهذه الليلة أكثر من احتفالهم بالليالى السابقة اذ يختتم  
فيها القرآن الكريم ويقام الاحتفال قرب مقام الشافعية وينصب فيه الخشب  
حتى الحطيم وتبسط الأطباق الصفراء حيث تعلق في الهواء

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٧ .

الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٨٠ .

الفاس : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٩ .

ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٤ .

بواسطة سلاسل مربوطة بنصب الخشب وتوقد الشموع وتشعل المصابيح وقناديل  
الزجاج فيبدو المنظر وكأنه موائد ذات أرجل مشتعلة بالأنوار ويوقدون الشموع  
أيضا أعلى قبة زمزم<sup>(١)</sup> ويضعون صبيان مكة على شرفات الحرم • ويضعون  
في هذه الشرفات المشاعل ويتبارى الأطفال في سرعة إيقاد هـــــــــ  
المشاعل فيتبادر للناظر أن النار تشب من شرفة الى شرفة لاختفائهم  
وراء الأضواء ويرفع الأطفال أصواتهم قائلين : يارب يارب بصوت واحد  
فيتقدم القاضي فيصل بالناس صلاة العشاء قارئا سورة القدر ويكــــــــون  
باقي الأئمة قد ختموا القرآن في الليلة السابقة وتقام الصلاة خلف امام  
واحد ثم يدعو بهم دعاء ختم القرآن ثم يخطب فيهم خطبة يذكرهم فيها  
بأهمية ليلة القدر ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة والامير ويسلم

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٨٤ •  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٢ •  
السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٦٣ •  
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٩ •  
السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٥٨ •  
الانصاري : تحفة المجيبين ، ص ٦٠ •  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٤٤ •  
التبانوني : الرحلة الحجازية ، ص ٢٦١ •  
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٢١ •

عليهم ويحتفلون بليلة التاسع والعشرين من رمضان بإيقاد الشموع  
والمشاعل ويكثر اشعال الشمع في هذه الليلة ثم يجتمع الائمة الخمسة  
يتدارسون علوم القرآن ومعهم الصبية يستمعون الى هذه المناظرة . (١)  
وماكان يحدث في مكة كان يحدث في المدينة المنورة وفي الطائف  
ونلاحظ أن الحجاز يختلف عن باقي أوصار الدولة الاسلامية فــــــي  
احتفالاته واحيائه وقراءة قرآنه . (٢)

وما يجدر ذكره في هذا المجال أن شهر شوال يعتبر عند أهل  
مكة هو أول أشهر الحج المعلومات فيحتفلون بعيد القطر المبارك .  
ومن المعروف أن أيام العبد هي أربعة أيام ثلاثة منها للرجال وــــيوم  
للنساء ثم بعدها يستعد سكان مكة لأعمال الحج ومايقدمونه

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٨ .  
الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٨١ .  
ابن جبير : الرحلة ، ص ١٠٩ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٧٤ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .  
البتانوني : الرحلة ، ص ٥٨ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .  
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .  
العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ، ص ١٥٤ .

من خدمات للحجاج في أشهر الحج وأمكنة المشاعر وتوفير السكن للحجاج في مكة المكرمة لاستقبال أعظم عيد عند المسلمين وهو عيد الأضحى المبارك الذي يسبقه يوم عرفة فيفد الى مكة لأداء النسك وفود الحجاج من جميع أمصار الدولة الإسلامية لأداء الركن الخامس من أركان الاسلام . (١)

\* \* \*

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٦٩ .  
الطبري : الأرج المسكى ، ورقة ٧٨ .  
الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٢٣ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٢٥ .  
الجزيري : درر الفوائد ، ص ٢٨٦ .  
ياقاس : بلاد الحجاز ، ص ١١٨ .

### الملابس والأطعمة والأشربة

لقد عرف الحجاز في هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث ألواناً مختلفة من الألبسة فقد صنعت ثياب من الحرير والكتان وأنواع أخرى من الثياب تتشابه إذا انعكست عليها أشعة الشمس وأنواع أخرى من العمام المزركشة بما يشبه القصب وانتشر لباس الجبة . (١)

ومن المفيد ذكره أن سيطرة الفاطميين على الحجاز أدى إلى انتشارها وأن خلع الفاطميين التي كان يمنحها الخلفاء للوزراء كانت ترسل من مصر لأمراء مكة والمدينة في الأعياد والمناسبات وهذه الخلع كانت تطعم بالذهب والفضة وكثرة ألوانها الزاهية . كما أن هذه الثياب الموشاة بالطرز الفاطمية انتشرت بين سكان مكة والمدينة . (٢)

- 
- (١) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٤٩ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١١٤ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .  
البتانوي : الرحلة ، ص ٢٩ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٥ .  
(٢) ماجد : نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ١١١ .

ولقد طورها التجار من المكين بسبب اختلاطهم بتجار الهند فـان  
الطرز أصبحت تختلف عن طراز الفاطميين بما أدخلوه من تغيير من الطرز  
الهندية . واستمرت هذه الثياب الموشاة طيلة العصر الايوبي . (١)  
العلماء وطلبة العلم والمجاورون فقد كانوا يرتدون ثيابا وجببا مصنوعة من  
الكتان وغالبا ماكانوا يرتدون عمام سوداء . (٢)

ومن عاداتهم في الطعام والشراب فان الحجازيين يقومون بتقديم  
الشاي تحية للقدامين عليهم . كما أنهم يقيمون الحفلات ويتفاخسون  
بتقديم أصناف الطعام المختلفة في شكلها وطعمها ولقد تنوعت الاطعمة  
في الحجاز فمنها الهندي والشامي والمصري والخراساني وتقدم هذه  
الاطعمة في الولائم على سطح تمر على الأرض . (٣)

- 
- (١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٥ .  
البتانوني : الرحلة ، ص ٥٠ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٤ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٤ .  
ياقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٣ .
  - (٢) البتانوني : الرحلة ، ص ٥١ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٥ .  
ياقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٤ .
  - (٣) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢٠٦ .  
البتانوني : الرحلة ، ص ٥٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢٣٥ .  
السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٥ .  
ياقاس : بلاد الحجاز ، ص ١٢٤ .

## المنشآت الاجتماعية بمكة والمدينة

### أ - المنشآت الاجتماعية بمكة :

تتمثل هذه المنشآت في حفر الآبار وبناء العيون والأرطعة وإقامة السبل  
وإنشاء البرك وهذه المنشآت هي :

#### الآبار:

بئر زمزم : كان العرب في الجاهلية يتمبركون بمياه زمزم واستمر ذلك  
على مر العصور منذ زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ولأريب في ذلك  
فما زمزم من المياه المباركة المفيدة للإنسان الدواء الشافي لما يشكون منه من  
أمراض (١) ولقد قام بأمر سقاية الحجاج من مياه زمزم في العصر الجاهلي العباس  
ابن عبد المطلب ثم أقر هذا العمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة  
وقد استمر عمل السقاية في البيت العباسي حتى زوال الخلافة

---

(١) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٥٣ .

الطبرى : القرى لقاصد أم القرى ، ص ٤٤٣ .

الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٥٨ .

الأموية ثم استمرت بعد ذلك في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٣٨ هـ إلى آل الزبير بن العوام (١) واستمر أمر السقاية حتى الوقت الحاضر على أيدي هذه الأسرة التي لم تهمل خدمتها بل قامت بخدشات كثيرة إذ أمر الخليفة أبو العباس السفاح ببناء حجرة بجوار زمزم لمن يتولى أمر السقاية منها (٢) ولقد أقيمت على بئر زمزم قبة عام ١٣٨ هـ مع زيادة عدد البرك داخل الحرم وذلك تسهيلا لسقاية الحجاج وتجنباً لآذ حامهم على حوض واحد وفي سنة ١٢٣ هـ أقيمت مظلة الموءذنين فوق بئر زمزم بجوار القبة التي شيدت سابقاً وزيد عدد البرك أيضاً وذلك في عهد هارون الرشيد من أجل السقاية وأضر خمسين من الغلمان الخراسانيين في نفس السنة لسقاية الحجاج من ماء زمزم فيما بين الصفا والمسجورة (٣)

---

(١) تولت أسرة الزبير بن العوام أمر السقاية بأمر من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وكانوا يتولون أمر التوقيت للأذان في مكة ، لذا أطلق

اليهم بيت الريم نسبة إلى رئاستهم للتوقيت .

انظر : الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٥٥ .

الفاكهى : المنتقى ، ص ٨٣ .

ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٤٣ .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ١٠٧ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ص ١١٠ .



كذلك بنيت قنوات بأمر الخليفة المعتصم عام ٢٢٠ هـ وذلك لايصال ماء زمزم بالبرك الكائنة بالمسجد ولقد هفت نفسه الى نقش جدران حجرة السقاية بالسيفساء ووضع الرخام في أرض زمزم والشباك الحديدى فوقها ثم أصلحت البرك التى تصدعت داخل الحرم فى عهد الخليفة المتوكل على الله وذلك فى عام ٢٤٠ هـ وجردت مظلة المؤذنين فوقها . (١)

وفى عهد المهتدى بالله جدد بناء البرك داخل الحرم ونى باب حديدى على زمزم يخلق ليلا بعد صلاة العشاء ويفتح مع صلاة الفجر وتم هذا فى عام ٢٥٦ هـ . (٢)

وبعد هذه الفترة الزمنية لم تذكر لنا المصادر التاريخية خدمات أو اصلاحات سوى ما قدمه الخلفاء والامراء من أعطيات لمن يتولى السقاية بمكة المكرمة .

- 
- (١) الازرقى : أخبار مكة ٦ ج ٢ ص ١١٢ .  
الفاسى : العقد الثمين ٦ ج ١ ص ١٧٠ .  
(٢) الفاسى : العقد الثمين ٦ ج ١ ص ١٧٣ .

الآبار في مكة :

(١) بئر العجسول :

حفرها كلاب بن مرة وجعلها لسقاية الناس وتقع هذه البئر عند باب الوداع في دار أم هانئ\* ولهذه البئر أهميتها بالنسبة للحجاج حيث يتزودون منها الماء حينما يدخلون مكة . (١)

(٢) بئر بنس :

تقع في أعلى مكة حفرها قصي بن كلاب وجدد بناءها جبير بن مطعم بسن عدى بعد أن طمرت وهذه البئر ظل يستقى الناس منها حتى زمن الماليك . (٢)

(٣) بئر بسدر :

حفرها هاشم بن عبد مناف واختلاف المؤرخون حول من قام بحفرها فيقول ياقوت أن الذي حفرها هو عبد الدار (٣) ويروي البلاذري أن الذي حفرها هو قصي ابن كلاب (٤) بينما يذكر الأزرق أن الذي حفرها عبد المطلب بن هاشم وهو

- 
- (١) الأزرق : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٥ .
  - (٢) الأزرق : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٦ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٦٨ .
  - البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٢ .
  - (٣) ياقوت : المعجم ، ج ٣ ص ٣١٨ .
  - (٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٨ .

أرجح الآراء وأصلح على تسميتها أخيراً باسم بئر الحمام . (١)

(٤) بئر سجلة أو بئر بنى نوفل :

وتقع بين الصفا والمروة وقد أعطاهما عبد المطلب لمطعم بن عدي لانشغال

بسقاية الحجاج من بئر زمزم . (٢)

(٥) بئر طسوى :

تشتهر بعدوثة مائها وخصصت لسقاية الحجاج وسكان مكة لوقوعها فى

مدخلها وقد حفرها عبد شمس بن عبد مناف . (٣)

(٦) بئر خم ورم :

حفرتا أيضاً بواسطة عبد شمس وجعلها لسقيا أهل مكة والحجاج وحفرهما

بعد أن انتاب مكة عصر الجفاف . (٤)

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) الأزرقي : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٢ .

القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٣) هذه البئر موجودة حتى الوقت الحاضر يقصدها الحجاج ويتوضأون بمائها  
من أجل التبرك بها وهى ضمن أوقاف عائلة السيد فضل عجيل وهم من أبناء  
الحسين بن على رضى الله عنه .

انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٨ .

(٤) الأزرقي : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢١٩ .

(٧) بئر الجفر:

حفرها أمية بن عباس شمس لسقاية أهل مكة وتقع بطرف أجياد قـرب  
البيمارستان المستنصرى وحينما تعطلت هذه البئر سنة ٦٣٣ هـ أمر الخليفة  
العباسى بإصلاحها. (١)

(٨) بئر السنبلة :

تشتهر بعدوة مائها وتقع بأسفل مكة وسميت ببئر النبى - صلى الله  
عليه وسلم - وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم - بصق فيها حتى  
اصطلح على تسميتها أخيرا ببئر التفلة. (٢)

(٩) بئر السيرة :

كان يشرب منها سكان مكة لغزارة مائها بعد سقوط الأمطار. (٣)  
ومن المفيد أن نذكر أن هذه الآبار قد حفرت فى العصر الجاهلى  
ولما تم للرسول - صلى الله عليه وسلم - فتح مكة أصلح هذه الآبار وجدد

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٧٤ .  
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ج ١ ص ٥٩ .  
(٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٧٤ .

بعضها واشرف على اصلاحها عتاب بن اسيد والى مكة . واهتم الخلفاء الراشدون والامويون الذين ساروا على نهجهم بتوفير المياه واصلاح هذه الابار . (١)  
ومع بداية مطلع القرن الخامس الهجرى نشطت بناء الارططة فى مكة بواسطة التجار والامراء الذين اهتموا ببنائها وخر الابار بداخلها لتوفير المياه لسكانها حتى أننا نجد فى شرط الوقفية ذكر لكلمة سبل السقى يذكرها المؤرخون فى شرط وقفية الرباط أو المدرسة . وفى هذا دلالة واضحة على استمرار حفر الابار فى بعض هذه الارططة .

\* \*

---

(١) السباعى : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٥٣ .

### العيون

عين شعب الارّين : أمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان واليه على مكة  
عام ٤٣ هـ بأجراء عين تستمد ماءها من عين قديمة بشعب الارّين ومد قنوات  
منها لا يصل مائها الى المساكن المجاورة للحرم حتى لا يعاني الحجاج صعوبة  
في حصولهم على الماء . (١)

ويعتبر هذا الصنيع من حسنات معاوية التي قدمها لسكان مكة .

### عين الرشاش

أجريت في عهد هارون الرشيد وتقع في أعلى مكة داخل شعب  
الخرمانية . وقد أمر الخليفة بإيصال قنوات من هذه العين الى قنوات  
معاوية . (٢)

وقد استفاد سكان مكة والحجاج معا من هذه العين ، وما تجدر الإشارة  
اليه أن الخليفة هارون الرشيد قد دفع أموالا لأصحاب عين الرشاش لشراؤها

- 
- (١) الارزقي : أخبار مكة ، ج ١ ص ٢٢٥ .  
الفاكهي : المنتقى ، ص ٦٠ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٦ .  
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٧ .

منهم ليستفيد أهل مكة وحجاجها من مائها<sup>(١)</sup>، ويعتبر هذا من أهم الخدمات التي قدمها الرشيد لسكان مكة والوافدين إليها.

عين حنين :

بعد أن تعرضت الآبار المحيطة بمكة لموسم الجفاف استغل أهل مكة الموقف لصالحهم وبدأوا في احضار المياه من خارج مكة وبيعها للحجاج حتى بيعت الراوية بعشرة دراهم<sup>(٢)</sup>، وفي هذه السنة ١٩٣ هـ حجت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وشاهدت معاناة الحجاج في الحصول على الماء فأمرت وإلى مكة بدراسة مصادر المياه وكيفية وصولها إلى مكة وبعد أن أجريت هذه الدراسة تبين أنه لا يمكن دخول ماء الحل إلى الحرم بسبب صعوبة جغرافية مكة وخاصة المنطقة المحيطة بالحرم ، لذا رأى وإلى مكة والصناع زيادة حفر الآبار داخل الحرم ولم تقتنع السيدة

---

(١) القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٧ .

الفاكهي : المنتقى ، ص ٦٦ .

(٢) الأزرقى : أخبار مكة ، ج ٢ ص ٢٢٧ .

الفاكهي : المنتقى ، ص ٦٧ .

زيدة بهذه الدراسة فأوفدت من بغداد المهندسين والصناع والزمتهم بضرورة  
ايصال مياه عيون الحل الى داخل الحرم ، وأظهرت الدراسة أن هناك  
عيونا خارج الحرم منها عين حنين ، وعين وادي النعمان يمكن الاستفادة  
منهما في سقاية أهل مكة وأمكنة المشاعر . (١)

فأمرت السيدة زبيدة ببناء قناة يجري فيها الماء محترفة الجبال والسهول  
وأقامت على قمم الجبال بركا مختلفة لاستقبال مياه الأمطار وايصالها  
بالقناة الرئيسية لمجرى العين حتى كثرت المياه ولم يعد للناس شكوى  
من نقص الماء ونبتت السيدة زبيدة البرك المختلفة على امتداد مجرى القناة  
حتى وصل الماء الى الحرم بالاضافة الى بناء البازانات في كل حي من  
أحياء مكة من أعلاها حتى الحرم . (٢)

ولقد أنفقت السيدة زبيدة في سبيل ذلك أموالا طائلة وأوصلت بعض

- 
- (١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ص ٤٢٢ .  
الفاكهي : المنتقى ، ص ٧٠ .  
القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٧ .  
عبد القادر ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ص ٨ .  
(٢) الفاكهي : المنتقى ص ٧٢ .  
ملا قلندر : الخلاصة المفيدة من ص ١٠ - ١٢ .



الآبار القديمة التى تقع فى طريق مجرى القناة الرئيسية واشترت عيونا كثيرة مثل عين ميمونة ، وعين الصرفه ، وعين ثقبه ، وعين الخريبات وأصلتها جميعها فى قناة واحدة بعين حنين وأمرت بعمل البوك حول الحرم<sup>(١)</sup> ، ومن المفيد أن نذكر فى هذا المقام أن توفير المياه فى مكة المكرمة يعتبر من أهم الخدمات التى قدمتها السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وهذا المشروع لازال باقيا حتى الوقت الحاضر يحمل اسمها على مر العصور التاريخية<sup>(٢)</sup> ، كما أن الدراسة الحديثة عن توفير المياه فى مكة لم تتوصل لمعرفة مصدر جديد للحياة سوى إضافة عيون لهذه العين التى اعتمد عليها مشروع السيدة زبيدة .

وفى سنة ٢٥١ هـ تعطلت مياه عين حنين فى احدى بركها ، فأخبر والى مكة الخليفة المعتر بن المتوكل العباسى بهذا الخراب الذى حدث لهذه العين فأرسل له أموالا لاصلاحها فتم اصلاحها وأضيف اليها عدة آبار

- 
- (١) ملا قلندر : الخلاصة الفيدة ، ص ١٥ .  
محمد رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢١١ .  
محمد أنور شكرى : لوجان أثريان ، ص ٤٠ .  
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٢٨ .  
ابن الفلاح الحنبلى : شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٧٦ .

لتغذية المجرى الأساس للعين<sup>(١)</sup> حتى زاد منسوب الماء وفي سنة ٢٧٠ هـ تعطلت بعض البادانات في مكة بسبب دخول الأثرية الى المجرى الاصل للعين مما أدى الى تصدع القناة الأساسية لمجرى العين فأرسل والى مكة الى الخليفة العباسي المعتمد بالله تخبره بما حدث للعين من خراب فأرسل الخليفة اليه الأموال لاصلاح القناة التي تعطلت والبادانات وأمره بتعيين رجال لحراسة قناة ماء العين والاشراف على نظافتها من ترسب الأثرية في قنواتها فقام والى مكة بتعيين الحراس وأشخاص يهتمون بتنظيف مجرى القناة من الأثرية ولاخبار والى مكة لوط ث خراب في العين . (٢)

ومن المعلوم أن أمكنة المشاعر كانت تتزود بمياه الآبار ، ففي عوفة أرسع آبار<sup>(٣)</sup> وفي المزدلفة مثلها<sup>(٤)</sup> ومنى خمس عشرة بئرا وهذه الآبار منها ما حفر

- 
- (١) الأزرقى : اخبار مكة ج ٢ ص ٢٥٨ .
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٩٢ .
  - (٢) الصباغ : تحصيل المرام ورقة ٢٣٢ .
  - الأزرقى : أخبار مكة ج ٢ ص ٢٣١ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢١١ .
  - ملا قلندر : الأحوال المفيدة ص ١٦ .
  - (٣) الأزرقى : أخبار مكة ج ٢ ص ٢٣١ .
  - القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٤٥ .
  - (٤) الأزرقى : اخبار مكة ج ٢ ص ٢٣١ .
  - القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٤ .

بأمر من الخلفاء الراشدين ومنها ما حفر بأمر من خلفاء الدولة الأموية ، ومنها ما حفر بأمر من خلفاء الدولة العباسية الأوائل . (١)

وفي سنة ١٩٢ هـ نقصت مياه الآبار في أمكنة المشاعر وأصاب الحجاج عطش شديد حتى بلغت راوية الماء عشرة دراهم وعلمت السيدة زبيدة بمآعانه الحجاج وقد سبقت الإشارة لما قامت به السيدة زبيدة في هذا المجال آنفاً وتبعاً لذلك مدت عين وادي النعمان إلى أمكنة الشاعر ونيسبت القنوات من هذا الوادي حتى جبل الرحمة في غرفة في جوف الأرض ، ونيسبت لها برك في غرفة لتصب قناة العين فيها ثم تسير هذه القناة مع سفوح الجبال الممتدة حتى مزدلفة في قناة محكمة حتى تصل إلى الفجر قرب منى وتنتهي هذه القناة عند بئر زبيدة لتصب فيه لسقاية الحجاج في أيام منى . (٢)

ومن المفيد أن نذكر أن بناء هذه القناة يعبر عما وصل إليه الفن المعماري

- 
- (١) ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ص ٢٠ .
  - (٢) القاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٧ .
  - الفاكهي : المنتقى ص ٨٩ .
  - ملا قلندر : الخلاصة المفيدة في أحوال عين زبيدة ، ص ١٣ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢١٣ .
  - محمد شكري : لوحان أثريان ، ص ٨ .

الهندس في تلك الحقبة الزمنية إذ أن القناة لاتسير في خط واحد داخل الأرض بل في تعاريج اقتضتها طبيعة الأرض إذ أن انحدار الماء داخل القناة كان انحدارا تدريجيا .

لم يستطع هو<sup>١</sup> لا<sup>٢</sup> الصناع أن يوصلوا هذه العين الى مكة لصعوبة المنطقة ووعورتها فاكتفوا بأن تكون عين وادي النعمان لسقيا أمكنة المشاعر ثم بسنى فيما بين عوفة ومزدلفة ومنى خمس وعشرون خرزة لسقيا الحجاج فى موسم الحج . (١)

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن أية اصلاحات حدثت لهذه العين سوى مانشره ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين عن أربعة نقوش أثرية ثلاثة منها تشير الى اصلاح عين عوفة والمصانع التى بها فى عهد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله والنقش الرابع يشير الى اصلاح هذه العين فى عهد الخليفة العباسي أبو جعفر

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

ملا قلندر : الخلاصة المفيدة ، ص ١٥ .

محمد شكرى : لوحان أثريان ، ص ١٩ .

المنصور المستنصر بالله ولقد نقلت هذه اللوحات الى مصلحة الآثار العامة بالملكة العربية السعودية وما جمعتها هذه المصلحة من نقوش وأثار مختلفة لم تتم دراسته بعد وسأكتفى بما أورده إبراهيم رفعت في كتابه واليك نص النقش الأول :

(( بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى امام الله ظل مولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره ، أمر الامام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زيد الدين صاحب اربل سنة ٥٠٠ هـ لابن جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الاسلام )))

ولدينا عدة ملاحظات على هذا النقش :

أولاً : أنه ذكر اسم خليفتيهما الناصر لدين الله والمستنصر بالله وهذان الخليفتان لم يكونا في هذه الحقبة الزمنية • وأن زمن خلافة الخليفة الناصر لدين الله تنحصر في الفترة من ٥٧٥ هـ الى ٦٢٢ هـ (١) .

---

(١) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ج ١ ص ١٣ ، ج ٢ ص ٣٤٩ .

ثانياً : ان الأمير نصير الدين صاحب اربل كان متولياً اتابكيه  
اربيل فى الفترة من ٥٦٣ هـ حتى ٥٨٦ هـ (١) وهذا أيضاً يختلف مع ذكره  
عن تاريخ اصلاح العين كما ورد بالنقش وخلاصة القول أن هناك خطأ فى  
تحديد تاريخ الاصلاح المذكور بالنقش فالمرجع الذى أورد هذا النقش  
ذكر التاريخ بالأرقام فى حين أن العادة جرت فى كتابة مثل هذه التواريخ  
بالحروف وليست بالأرقام ويبدو أن ابراهيم رفعت لم يحاول التحقيق فى  
صحة هذه التواريخ وربما يعود ذلك الى عدم تخصصه أو أن عوامل  
التعريف قد أثرت بشكل أو بآخر على هذا النقش مما جعل من الصعب  
قراءته وقد حاولنا قراءة هذا النقش من مصلحة الآثار فلم نستطع  
ولم تتح لنا الفرصة من أجل التحقيق التاريخى .

ويستدل من النقش الثانى على عمارة عين عوفة والمصانع والبرك بأمر  
ال خليفة العباسى الناصر لدين الله سنة ٥٨٤ هـ ونصه كالتالى :  
((( بسم الله الرحمن الرحيم : أمر سيدنا ومولانا الامام خليفة الله  
على كافة أهل الاسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أعز الله

---

(١) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام ،  
أجزل الله ثوابه آمين ، وذلك على يد الأمير الاصفهيتلار<sup>(١)</sup> والكبير مجير  
الدين أمير الحاج والحميين طاشتكين نصر أمير الموّنين آدام الله توفيقه ،  
وذلك في سنة أربع وثمانين وخمسمائة ))) . (٢)

وأما النقش الثالث يشير الى عمارة عين عرفة في سنة ٥٩٤ هـ بأمر من  
ال خليفة العباسي الناصر لدين الله واليك نص النقش الثالث :

(( بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي وآله ،  
أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التي بها ملتقى مولانا أمير الموّنين أعز  
الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سوء له ومناء وأمله ومبتغاه في سلالته  
الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهيتلار<sup>(٣)</sup> الكبير

---

(١) الاصفهيتلار وصحته الاسفهلار وهو لفظ فارسي تركي ، الكلمة الاولى  
أسفه فارسية وتعني المقدم والثانية سلار تركية وتعني العسكر فيصبح  
معنى اللقب مجموعا مقدم العسكر وكان هذا اللفظ مستعملا في الدولة  
الفارسية ومنها انتقل الى بغداد حتى عصر الاتابكة .  
حسن الباشا : الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق ، ص ١٥٧ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحميين ، ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) هكذا مذكور في النص . انظر حاشية (١) في الصفحة السابقة .

مظفر الدين بكبرى<sup>(١)</sup> بن على صاحب اربل سيف أمير الموٴنين أيد الله  
سلطانه وأعلى أبدأ شأنه سنة ٥٩٤ هـ تقبل عن يد عبدالرحمن بن أبى  
جرى<sup>(٢)</sup> غا الله عنه<sup>(٣)</sup> .

ولقد تعطلت عين عرفة مدة عشرين عاما لذا فان الخليفة العباسى  
المستنصر بالله أمر باصلاح العين والبرك التى تعطلت بسبب الخراب الذى  
حدث لها واليك نص النقش :

((( بسم الله الرحمن الرحيم ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) شرع  
لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه المباهى بهم الملائكة صلى الله تعالى  
ورجاء غوه ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مضرا ) بالارسل<sup>(٤)</sup>

- 
- ( ١ ) وصحة الاسم مظفر الدين كوكبرى بن الأمير زين الدين أبى الحسن على كجك بن  
يكتكين . ولد سنة ٥٤٩ هـ فى الموصل أما كوكبرى الذى ذكرها ابراهيم رفعت  
( بكبرى ) نصحتها كوكبرى أو كوكبرى وهى مكونة من لفظين ( كوك ) وهو تركى  
يعنى أزرق و ( يرى ) ويعنى ذئب والاسم مجتمع يعنى ذئب أزرق .  
انظر : ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ٢٧٧ .  
محسن محمد حسين : اربل فى عهد الاتابكة ، ص ١٨٧ .  
( ٢ ) ويبدو أن عبدالرحمن بن أبى جرى هو الذى اشرف على اصلاح العسسين  
لذلك ورد اسمه فى النقش الأخير .  
( ٣ ) انظر : ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ص ٢١٥ .  
( ٤ ) يبدو أن النقش أورد كلمة الاربل وكان يقصد بها الاربل وهى المدينة السقى  
كان يتولى حكمها مظفر الدين كوكبرى ، أنا صاحب تاريخ اربل فى عهد الاتابكة  
كان يذكر كلمة اربل ويقصد بها مظفر الدين حاكم اتابكيه اربل .  
انظر : حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ، ص ١٥٨ .



الأشرف النبوي الإمامي المستنصري زاده الله تعالى شرفاً ، وقد شاده  
جلال المطوع<sup>(١)</sup> بعمارة عين عرفة والبرك التي بها ملتفة بعد عطلها خراباً  
عشرين سنة ، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف  
الدين جلال الدولة عبد الخلافة<sup>(٢)</sup> المعظم محي الأمانة المكرمة ملك  
الملك ومليك المعالي زعيم الجيوش ملك الملك الإمام الأغر أبو الفضائل والمكارم  
أمثال الخاص النبوي المستنصري خاص أمير المؤمنين<sup>(٣)</sup> ، مملوك سيدنا  
ومولانا الإمام الأعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الأمم عبد الله خليفة الله  
في أرضه المستنصر ابد بالله أمير المؤمنين ))) .

\* \*

- 
- (١) جلال المطوع هو الذي اشرف على عين عرفة بأمر من صاحب اتابكين اريل  
محسن محمد حسين : اريل في عهد الاتابكة ، ص ١٨٩ .  
(٢) أورد هذا اللقب ابن خلكان في كتابه وهو من ألقاب الأمير مظفر الدين  
انظر ابن خلكان : ج ١ ص ٨٧ .  
(٣) أورد هذا اللقب صاحب كتاب ( النوادر السلطانية ) ص ١٠٥ .

### الأربطة في مكة

من المعلوم أن بداية بناء الأربطة في مكة بدأ منذ مطلع القرن الخامس الهجرى • ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن الأربطة اقيمت فى مكة قبل هذا التاريخ • ويعود السبب فى ذلك الى كثرة الوافدين الى مكة لاقامتهم من أجل طلب العلم والبعد عن العواصم الاسلامية التى كانت تترج بكثرة الفتن التى انتابت هذه الحقبة الزمنية • (١)

والأربطة التى ذكرتها المصادر هى :

#### (١) رباط السارة :

أوقف هذا الرباط سنة ٤٠٠ هـ ، كما يذكر الفاسى • وأن هذا الرباط يقع عند باب السلام ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية سوى شرط واحد لوقفية هذا الرباط وهو أن يكون سكنا للمنقطعين • وهو أول رباط أنشئ فى مكة (٢) •

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٩ •

المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ١٢٨ •

(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ •

(٢) رباط دار الخيزران :

ويقع هذا الرباط قرب الصفا (١) . ويذكر الفاكهي في كتابه ان دار الخيزران أوقف على أن يكون رباطا للمنقطعين والغرباء سنة ٤٠٢ هـ . (٢)  
ويقول النهرواني أن الذي أوقف هذا الرباط والي مكة . وأنه جعل في شرط وقفه أن يكون سكنا لاقامة الحجاج في فترة الموسم . (٣)

(٣) رباط الفقاعية :

أوقفت هذا الرباط والدة الخليفة العباسي المقتدى بالله على النساء المنقطعات الاعجيبات وأن تاريخ وقفه سنة ٤٩٢ هـ . (٤)

(٤) رباط القزويني :

أوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ ، ويقع قرب المسجد الحرام ، ويذكر لنا (٥)

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٠ .
  - (٢) الفاكهي : المنتقى ، ص ٨٤ .
  - (٣) النهروالي : الاعلام ، ص ٩٨ .
  - (٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .
  - ابن بهير : الجامع اللطيف ، ص ٧٨ .
  - (٥) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ١٦٣ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .

الفاكهى (١) والفاسى انه لم يعرف من الذى اوقفه وان شرط وقفته على جميع الرجال الغرباء المقيمين فى مكة من سائر أنحاء العراق . واشتهر هذا الرباط باسم رباط القزوينى لأن حجاج قزوين ، كانوا ينزلون فى هذا الرباط فترة الموسم . (٢)

٥) رباط الدمشقية :

انشأه تجار مدينة دمشق ، وسوى رباط الدمشقية نسبة الى مدينة دمشق حاضرة الشام ، واقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ . وشرط وقفته على الفقراء من أهل الشام والعراق العلماء منهم والمجاورين فى مكة والحجاج . (٣)

٦) رباط الزرنسدى :

(٤) أوقف الشيخ نجيب الدين أبو الحسن محمد من أهل زرنسدة

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٣ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٨٥ .
  - (٢) باقازى : بلاد الحجاز ص ١٢٨ .
  - (٣) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .  
النهروانى : الاعلام ص ٩٨ .
  - (٤) زرنده بلدة تقع بين اصفهان وساووه وهى مدينة قديمة وكبيرة وهى من أهم مدن كرمان .  
انظر : ياقوت معجم ج ٣ ص ١٢٨ .

رباطا جعل شرط وقفته أن يكون سكنا للغرباء من أهل زرنده وسساوة<sup>(١)</sup>  
المقيمين في مكة وللحجاج القادمين من بلاد فارس لهم حق الإقامة فيه في  
فترة الموسم . (٢)

(٧) رباط المغاربة :

في سنة ٥٦٢ هـ ، أوقف مجموعة من تجار بلاد المغرب رباطا في  
مكة . (٣) ، ويقول الفاكهي<sup>(٤)</sup> أن هذا الرباط يقع عند باب العمرة .  
بناء تجار المغرب لكي يكون سكنا للمقيمين في مكة من طلبة العلم  
للرجال دون النساء ، وأن يسمح للحجاج بالسكن في هذا الرباط  
فترة الموسم . ويذكر لنا أحد المعمرين في مكة أن هذا الرباط كان

- 
- (١) ساوه : بلدة تقع بين الري وهمدان .
  - انظر : ياقوت ، معجم ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .
  - (٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ .
  - (٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٧٦ .
  - (٤) الفاكهي : المنتقى ، ص ٨٩ .

موجودا عند باب العمرة أحد أبواب الحرم الشريف . وقد ازيل في  
التوسعة الاخيرة التي قام بها جلالة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٢٥هـ .

(٨) رباط الحضارمة :

أسس هذا الرباط سنة ٥٧٠ هـ . ويقع في منطقة اجياد .<sup>(١)</sup> والذين  
بنوه تجار من مدينة حضرموت وان شرط وقفته على طلبة العلم  
المقيمين في مكة ، وان يكون سكنا للحجاج القادمين من حضرموت فـ  
فترة الموسم<sup>(٢)</sup> . وان هذا الرباط لازال موجودا حتى الوقت الحاضر .  
وقد جدد بناؤه في العصر الحديث .

(٩) رباط المرائس :

اوقف هذا الرباط قاضي القضاء أبوبكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم  
المرائس سنة ٥٧٥ هـ . ويقع هذا الرباط عند باب الجنائز .<sup>(٣)</sup> وان

- 
- (١) الفاس : العقد الثمين ، ج ٣ ، ص ٧٠ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤١ .  
الفاس : تحصيل المرام ، ورقة ٦٦ .  
الفاكهين : المنتقى ، ص ٩١ .  
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤ .  
الفاس : تحصيل المرام ، ورقة ٦٨ .

شرط وقفيته أن يكون مقصورا على الصوفية من الرجال الزهاد من العرب  
والعجم الذين يقيمون في مكة .

(١٠) رباط البخارية :

أوقف هذا الرباط سنة ٥٧٦ هـ مجموعة من تجار مدينة بخارى . ويقع  
هذا الرباط في منطقة السوق الصغير بمكة المكرمة . وجعلوا شرط وقفيته  
أن يكون سكنا للحجاج من بلاد بخارى . وأن يسكنه الفقراء المقيمون  
في مكة طوال السنة ماعدا موسم الحج . (٢)  
ولتجار بلاد بخارى عدة أربطة أكثرها في أسفل مكة (٣) وغالبا لا يعرف  
تاريخ وقفيته ومن الذي أوقفها ، ولا يزال موجودا فيها حتى اليوم خمسة  
أربطة .

(١١) رباط الخاتون :

أوقفت الشريفة فاطمة الخاتون (٤) رباطا سعى بلقبها سنة ٥٧٦ هـ . وعرف

- 
- (١) الفاكهي : المنتقى ص ٩٢ .  
(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٤١ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣١ .  
(٣) يسمى هذا الحي الواقع جنوب مكة باسم حي المسفلة نسبة الى أسفل مكة .  
انظر : ياقوت ، معجم ، ج ٤ ، ص ٨٠ .  
(٤) الشريفة فاطمة بنت الشريف محمد الحسني محمد بن سليمان وكانت تلقب  
بالخاتون .  
انظر : الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .

فيما بعد برباط ابن محمود لأن المشرف على هذا الرباط كان اسمه ابن محمود  
ويقع هذا الرباط عند باب العمرة .<sup>(١)</sup> وأن شرط وقيته على الصوفية  
الرجال من العرب والعجم .<sup>(٢)</sup>

(١٢) رباط قايمـاز :

نسبة الى الأمير قايمـاز بن عبد الله بن قلع بن ارسلان الشامى السلجوقى  
من أمراء سلاجقة الروم والارمن . أوقفه على المجاورين المقيمين فى مكة — من  
الأنحاف فى سنة ٥٧٨ هـ . وعلى أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم .<sup>(٣)</sup>

(١٣) رباط الزنجبيلسى :

فى سنة ٥٧٩ هـ بنى عثمان بن على الزنجبيلى نائب أمير عدن امام  
مدرسته فى مكة عند باب العمرة رباطا أوقفه على طوب المدرسة وعلسى  
الانحاف المقيمين فى مكة .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٢ .  
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٦ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣١ .  
(٢) الفاكهى : المنتقى ، ص ٩٤ .  
(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٤٤١ .  
الفاسى : تحصيل المرام ، ورقة ٦٥ .  
(٤) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٢ .  
أبوشامه : الراضتين ، ج ٢ ، ص ٢٦ .  
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٩١ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .



(١٤) رباط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أوقف هذا الرباط سنة ٦٠٤ هـ . ويقع فى السوق الصغير ويعرف  
برباط المغاربة نسبة لأنه يقع فى زقاق المغاربة . (١) وسمى بهذا الاسم  
لأنه يقع فى دار عثمان وأنه موجود حتى وقتنا الحاضر . وقد جدد بناؤه  
فى العصر الحديث ، وعليه نقش يقرأ على هذا النحو :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد  
وعلى آله .

(٢) هذا ماوقف وجبى وسبل (٢) وتصدق به القاضى الفقيه الموفق  
المكين الأمين جمال الدين . (٣)

(٣) ولى أمير الموٴنين أبو الحسن على بن القاضى السعيد الايمن  
أبى القاسم عبد الوهاب بن الشيخ أبى عبد الله بن محمد .

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٦ .  
القاسى : العقد الثمين ، ج ٧ ، ص ٢٠٥ .  
(٢) سبل والمقصود بكلمة سبل نسبة الى السبيل والسبيل عبارة عن مياه  
الشرب التى تقدم سبيلا للناس . والغرض من كلمة سبل لوجود بئر فى  
داخل الرباط وجعله سبيلا لكى يرتاده الناس للشرب .  
(٣) هو القاضى أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن محمد بن أبى الفتوح  
الاسكندرى ، انظر هذا النسب الذى ذكره ابن فهد .  
انظر : ابن فهد ، اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٧ .

(٤) ابن أبي الفرج العدل بالأعمال المصرية رضى الله عنه ، وقف

وحبس وسبل وتصدق بجميع هذا الرباط .

(٥) على فقراء المغرب الغرباء المتعبدین ذوی الحاجات المجردین

ليس للمتأهلين فی حظ ولا نصيب .

(٦) تقبل الله ذلك منه وإثابه عليه بالاحسان وقف ذلك وحبس

بجميع حقوقه وقفا صحيحا .

(٧) " (١) فمن غير ذلك فعليه لعنة الله

ولعنة اللاعنين وجرى ذلك فی سنة أربع وسبتمائة .

فان هذا الرباط لم تذكره المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الحقبة

الزمنية . وان هذا النقش يوضح لنا تاريخ تأسيس هذا الرباط وان الذى

بناه هو أحد قضاة مصر جمال الدين أبوالحسن على بن القاضى

أبى القاسم عبد الوهاب بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن أبى الفرج ،

وانه أوقفه وتصدق به على الفقراء المغاربة الغرباء ، المنقطعين فى

مكة للعبادة .

---

(١) لم أستطع قراءة هذه الكلمات الموجودة فى بداية السطر السابع من  
هذا النقش .



كذلك بنى بیمارستان عرف بالمستنصرى عام ٦٤٨ هـ فى مكة لمعالجة  
مرضى الرجال والنساء • ولقد أمر بإنشائه الخليفة العباسى المستنصر بالله  
عند مدخل شعب أجياد (١) ، وهو عبارة عن مبنيين أحدهما خاص بالنساء  
وثانيهما خاص بالرجال • وكل مبني مكون من طابقين • وإمام كل طابق  
روقه خاصة به وبينهما فناء به بئر خصص لسقيا من يسكن هذا بیمارستان مسن  
المرضى والخدم والأطباء • (٢)

#### السبيل والسبرك :

نظرا لضرورة توفر المياه فى مكة فقد أهتم بعض الخلفاء والأمراء والسلاطين  
وعامة النامريين بإنشاء السبيل والسبيل عبارة عن خرائات صغيرة تبني على فوق  
سطح الأرض تملأ بالمياه لسقيا الناس فى غدوهم ورواحهم بها • ومن أهم  
هذه السبل التى تذكرها لنا المصادر التاريخية هو سبيل الجوخى (٣)

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٦ •
  - القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٢١ •
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ •
  - القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٢١ •
  - النهرى : الاعلام ص ٩٩ •
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٥٦ •
  - النهرى : الاعلام ص ١٠٠ •

ويقول الفاسي : ان الذي أمر ببنائه هو الخليفة المقتدر بالله العباسي . وأمر  
بحفر بئر خلف هذا السبيل ، ليتزود منه السبيل بماء الشرب . (١)  
الفاكهين موقعه ، اذ يقول انه يقع بمنى قرب حجرة العقبة الكبرى . وهو  
أقدم سبل مكة (٢) .

وتوجد غده سبل انشئت لسقيا الفاسي من أهمها : سبيل الملك  
المنصور ، صاحب اليمن بمكة الذي أمر ببنائه . وجدت عمارة هذا السبيل حينما  
تعطل زمن سلاطين المماليك . (٣)

في سنة ٥٧٩ هـ ، أمر الزنجبيلي ببناء سبيل قرب المسجد الحرام حيث يقع  
قرب مدرسته التي أمر ببنائها في السنة نفسها (٣) .  
ومن المعلوم أن بأعلى مكة عدة سبل لم توضح لنا المصادر التاريخية تاريخ

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٧ .
  - (٢) الفاكهين : المنتقى ، ص ٩٦ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٥٨ .  
ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٨٤ .  
على السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢١٦ .
  - (٤) النويري : نهاية الأرب ج ٣١ ص ٢١٢ .

بينائها ، ومن أوقفها ، ويعرف منها سبيل واحد يسمى بسبيل أم سليمان  
المتصوفة . (١)

أما عن أهمية البرك ، فقد اقتضت الحاجة بينائها لاستخدامها فى  
الاعراض التالية وهى :

لتخزين مياه الأمطار فى أطراف الأودية ، ولسقى الدواب التى كانت  
هى الوسيلة الوحيدة للنقل آنذاك . وتبنى داخل البساتين لتدريب أبنائهم  
على السباحة ، وفرعت منها قنوات لرى المزارع . (٢)

وتوجد بركتان بأعلى مكة عند باب المعلاة متلاصقتين أحدهما لتخزين  
المياه والأخرى لسقى الدواب . وتوجد بأعلاهما أيضا بركتان بداخل بستان  
المصارى . وهاتان تستخدمان لرى زرع هذا البستان (٣) وفى شعب  
بنى هاشم قرب مكان ولادة النبی صلى الله عليه وسلم بركة يستخدمها الناس  
لسقى الدواب . (٤)

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٨ .
  - (٢) الفاسى : تحصيل المرام ورقة ٦٦ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٢٩ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٦٠ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٣٩ .
  - (٤) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٦٢ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٠ .
  - الفاكهى : المنتقى ص ١٠٢ .

وبأمكنة المشاعر توجد عدة برك لم توضح لنا المصادر التاريخية من أمر  
بنائها ، ويذكر لنا الفاسي أن إحدى هذه البرك أمر ببنائها والدرة الخليفة  
المقتدر بالله العباسي (١) وبنى بعضها بأمر من المظفر صاحب اربل . وأسفل  
مكة بركة كبيرة تسمى بركة باب الماجن ، إذ تقع عند باب مكة المعروف  
بباب الماجن . وتستخدم هذه البركة لسقيا المزارع التي تقع بأسفل مكة .  
ولم تذكر لنا بعد ذلك المصادر التاريخية أى توضيح عن باقى البرك الستى  
أنشئت داخل الحوم وخارجه وعن تاريخ بنائها .

\* \*

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٣٤٠ .

### المنشآت الاجتماعية في المدينة المنورة

من أهم المنشآت الاجتماعية التي تمت في المدينة في هذه الحقبة  
من البحث هي الآبار والعيوان وأنشاء البازانات في جميع أطراف المدينة  
لتوفير المياه للحجاج ، وإقامة الأرططة لسكنى الغرباء والمنقطعين الذين كان  
قصدهم المجاوره .

#### الآبار :

من المفيد ذكره أن المدينة بلد زراعى لأنها تشتهر بكثرة مياهها ، ولذلك  
تشتهر منازلها بوجود آبار في داخلها هي :

#### ( ١ ) بئر أنسا :

هي بئر ليهود بنى قريظة وتقع في منطقة العوالى بالمدينة ، يستفيد منها  
سكان المدينة في سقيا مزارعهم . ( ١ )

#### ( ٢ ) بئر أنس :

هي ملك لأنس بن مالك وقد زارها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرب  
منها وتشتهر بعذوبة مائها . ( ٢ )

- 
- ( ١ ) ابن شبه : تاريخ المدينة ورقة ٢٠٢ .  
عبد القدوس الانصارى : آبار المدينة ص ( ٢٤١ ) .  
( ٢ ) السهمودى : وفاء الوفاء ، ج ٣ ص ٩٥٣ .  
العباسى : عمدة الاخبار ، ص ٢٦٦ .



(٣) بئر اهاب :

يقع فى الحىرة • ارتادها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرب منها  
ويسببها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها • (١)

(٤) بئر حلوة :

وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد فى زقاق حلوة • وهذه البئر أوقفت  
فى القرن الرابع لسقيا الحجاج • (٢)

(٥) بئر القريصة :

تقع فى شرق المدينة أتاها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشرب  
منها • ويقال بأن خاتمه وقع فيها • وهى معروفة حتى اليوم ببئر الخاتم •  
يقصدها الحجاج للزيارة تبركا بها • (٣)

- 
- (١) ابن شبة : تاريخ المدينة ورقة ١٠٣ •  
السمهودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٥٤ •  
(٢) المرائى : تحقيق النضرة ص ١٠٧ •  
السمهودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٦٢ •  
(٣) المرائى : تحقيق النضرة ص ١٢٤ •  
العباس : عدة الاخبار ص ٢٢٦ •  
الانصارى : آثار المدينة ص ٩٥ •

(٦) بئر حار :

هذه البئر ملك لابی طلحة الخزرجی وتقع خارج سور المدينة المنورة .  
وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين الى المدينة . (١)

(٧) بئر عروة :

وتقع فی طرف وادی العقیق . وتنسب الى عروة بن الزبیر . وتشتهر  
بعذوبة مائها . ويذهب اليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها . (٢)

(٨) بئر فاطمة بنت الحسين :

تقع فی الحرة جنوب غربی المدينة المنورة . وقامت بحفرها السيدة  
فاطمة بنت الحسين . وواقفته لسقيا المسلمين . (٣)

- 
- (١) السمهودی : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .  
العباسی : عمدة الأخبار ص ٢٥٤ .  
(٢) ابن شبة : تاریخ المدينة ورقة ١١٣ .  
السمهودی : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ .  
الانصارى : اثار المدينة ص ٩٥ .  
العباسی : المدينة بین الماضی والحاضر ، ص ٢١٨ .  
(٣) ابن الاثیر : الكامل ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .  
السمهودی : وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ٩٩٠ .  
العباسی : عمدة الأخبار ، ص ٢٥٦ .

العيون :

(١) عين الخيف :

تقع شمال شرق المدينة المنورة ، من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسيح • ولقد انشئ لها قنوات ومجارى لسقيا المزارع التي تحيط بها واصلحت هذه القناة التي خربت في عهد الخليفة هــارون الرشيد ولم تذكر المصادر التاريخية ان اصلاحات حدثت لهذه العيون في الحقبة الزمنية لهذا البحث •

ومن المفيد أن نذكر أن أصحاب المزارع اهتموا باصلاح هذه القنوات حينما تعطل لانهم المستفيدون من ذلك • (١)

(٢) عين الشهيد :

تقع هذه العين قرب جبل احد شمال المدينة • وانشئت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة • واصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة الى

---

(١) ابن هشام : السيرة ، ج ٣ ص ١٢٨ •  
الانصارى : اثار المدينة ص ١٠٢ •  
على حافظ : فصول في تاريخ المدينة ص ٣٨ •  
حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ص ٥٤ ، ٥٥ •

شهداء<sup>١</sup> أحد أو الى حمزة بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم . ويذكر لنا  
المسعودي أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية من أبى سفيان . أما  
المراغى فإنه يوءد بأنها كانت عينا قديمة . وكان يستفيد منها المزارعون  
فى سقيا مزارعهم . ومن المرجح أنها سميت بعين الشهداء نسبة الى  
شهداء<sup>٢</sup> أحد . ومن الملاحظ أن الذى كان يقوم باصلاحها حين خرابها  
أصحاب المزارع لحاجتهم اليها فى سقيا مزارعهم . (١)

### (٣) عين الزرقاء :

تقع جنوب غرب المدينة . وتستمد ماءها من عين الجعفرية . تتصل  
بمياه آبار عديدة . أوصلت بواسطة قنوات لتتصل هذه الآبار بعضها  
ببعض لتلقى بمجرى هذه العين ثم تنقسم الى ثلاث قنوات رئيسية تصب  
فى ثلاثة بازانات بداخل المدينة لسقيا أهلها والحجاج معاً . (٢)

- 
- (١) المقرئى : الذهب المسبوك ص ٣٠ .  
الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٣ .  
العياشى : المدينة بين الحاضر والماضى ص ١٤٢ .  
حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ص ٦١ .  
(٢) الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٤ .  
على حافظ : فصول من تاريخ المدينة ص ٤٠ .  
العياشى : المدينة بين الحاضر والماضى ص ١٤٠ .

ولقد أنشأ هذه العين الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠ هجرية  
بعد أن رأى راحة أهل الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية  
في بلاد الشام وكان هدف الخليفة واهتمامه من إيصال ماء العين إلى  
المدينة هو استمالة سكانها إليه . (١)

وسيتبعين الزرقاء نسبة إلى والي المدينة مروان بن الحكم لزرقاء  
عينه (٢) . وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية إذ أن أحـدى  
هذه الآبار المتصلة بها تسمى ببئر الأزرق . وهي تقع قرب عـين  
جـهرانس . (٣)

وتذكر لنا المصادر أن هذه العين لم يحدث ثلها إصلاح سوى ما قام به  
ابن أبي الهيثم (٤) سنة ٥٦٠ هـ حينما تعطلت بعض قنوات هذه

- 
- (١) أحمد الشريف : دور الحجاز في الحياة السياسية ص ٦٥-٧٠ .  
الانصارى : آثار المدينة ص ١٠٧ .  
(٢) السهمودي : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٠٦ .  
(٣) المراقى : تحقيق النضره ص ١٤٨ .  
ابن الثمار : الدرة الثمينة ص ١٨ .  
(٤) هو مقاتل بن عطية ولد سنة ٥١٥ هجرية وكان شاعرا ويعتبر من شعراء  
العصر العباسي الثاني ولقد قصد الذهاب إلى أداء النسك سنة ٥٦٠ هـ .  
وحينما ذهب إلى زيارة المدينة المنورة قام بأعمال خيرية فيها . منها عمل  
البازانات وزيادة عدد قنوات العين .  
انظر : ابن خلكان وفیات الأعيان ج ٨ ص ١٢٠ ، ١٢٤ ، وخير الدين  
الزركلي ، الاعلام ج ٩ ص ١١٩ .

العين ، اذ أمر باصلاحها ، وقام ببناء بازانات جديدة تحت سطح الأرض ينزلها السقاء بواسطة سلالم بنيت لهذا الغرض . كما أنه قسام بتعيين عمال يشرفون على هذه العين وتنظيف قنواتها الرئيسية من الترسبات . (١)

### (٣) الأربطة :

لقد نشط بناء الأربطة في المدينة منذ بداية القرن الخامس الهجرى . وكان الغرض الاساسى من بنائها لتكون سكنا للمجاورين والمنقطعين والغرباء والارامل وطلبة العلم ، لكى يقيموا فيها . وبعضها خصص فى شرط وظيفته أن يكون سكنا لزوار المدينة . ومن أهمها :

#### (١) رباط سيدنا عثمان بن عفان :

فى سنة ٤٢٣ هـ اشترى مجموعة من تجار المغرب الدار الصغرى لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . وجعلوها رباطا لطلبة العلم من بلاد المغرب (٢)

- 
- (١) السمهودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١١١٨ .  
المراعى : تحقيق النضرة ص ١٣٦ .
  - (٢) المراعى : تحقيق النضرة ، ص ١٢٦ .  
الانصارى : آثار المدينة ص ٤٩ .

الذين يقيمون في المدينة • وان تجعل هذه الدار سكنا للحجاج في موسم الحج • (١)

ولقد تمت توسعة هذا الرباط فيما بعد • وبعد توسعته خصصوا غرفة منه لتكون مكتبة • وغدت هذه المكتبة من أهم المكتبات التي احتوت على أعظم كتب الفقه المالكي ويمكن القول بأن هذا الرباط كان يسكنه علماء وطلبة العلم اذ انها كانت تقام فيه حلقات الدروس • (٢)

ويذكر بعض نظار هذا الرباط وصفا لهذه المكتبة ويقول ان الدواليب أو الخزائن الحاوية للكتب الموجودة في مكتبة هذا الرباط قد اهديت الى مكتبة الحرم النبوي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري • (٣)

#### ٢) رباط الناصر لدين الله :

أمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله في سنة ٥٧٠ هـ ببناء

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينة • ص ٥٨ •

(٢) الانصاري : آثار المدينة • ص ٥٠ •

(٣) المرجع السابق ص ٥٣ •

رباط فى المدينة المنورة ليكون سكنا لطلبة العلم والغرباء المقيمين فى  
المدينة • ويقع هذا الرباط عند باب النساء قرب الحرم النبوى الشريف •<sup>(١)</sup>

(٤) رباط المراغى :

اقف قاضى القضاء أبوبكر محمد بن عبدالله المرغى سنة ٥٧١ هـ  
رباطا يقع عند باب السلام • وجعل فى شرط وقفته أن يكون سكنا  
لصوفية الزهاد المقيمين فى المدينة • وان يكون سكنا للحجاج من العرب  
والعجم للزيارة فترة الموسم • (٢)

(٥) رباط البخارى :

لقد بنى تجار مدينة بخارى عدة أربطة فى المدينة • وأشهرها الرباط  
الذى يقع أمام باب الرحمة وجعلوا شرط وقفته أن يكون سكنا للمجاورين  
والغرباء المنقطعين فى المدينة المنورة • (٣)

- 
- (١) المرغى : تحقيق النصرة ص ١٧٨ •  
القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٢ ص ١٦١ •  
الانصارى : آثار المدينة ص ٥٤ •
  - (٢) العباسى : عدة الاخبار ص ٣٩٦ •  
المرغى : تحقيق النصرة ص ١٧٨ •  
الانصارى : آثار المدينة ص ٥٥ •
  - (٣) المرجع السابق ص ٥٦ •



(٦) رباط الزنجبيلى :

أمر ببناء هذا الرباط عثمان بن على الزنجبيلى نائب أمير عدن فى سنة ٥٧٩ هـ ويقع عند باب النساء • أوقفه على الاخوان المقيمين فى المدينة المنورة • وجعل فى شرط وقفته أن يكون سكنا للحجاج القادمين من عدن أثناء موسم الحج • (١)

(٧) رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله :

أوقت والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسى رباطها المعروف بالمدينة المنورة قرب باب جبريل عليه السلام سنة ٥٩٩ هـ ، وجعلت فى شرط وقفته أن يكون سكنا للفقراء المنقطعين المقيمين فى المدينة وسمى هذا الرباط فيما بعد باسمها • (٢)

(٨) رباط الاصفهانى :

أوقف جمال الدين محمد بن على بن منصور الاصفهانى رباطه المعروف

- 
- (١) المراعى : تحقيق النضره ص ١٧٩ •  
ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٧٨ •  
(٢) ابن النجار : الدرة الثمينة ص ٧٩ •  
المسعودى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٥٧ •

برباط الاصغهانى • ويقع هذا الرباط فى الدار الكبرى لسيدنا عثمان  
ابن عفان رضى الله عنه • وأوقف هذا الرباط فى أواخر القرن السادس  
الهجرى • وجعله سكنا للفقراء المنقطعين من الاعاجم من بلاد الفرس •  
ويذكر السهوى بأن هذا الرباط يسمى برباط العجم نسبة الى شرط  
وقفته • ولقد جعل شرط وقفته بأن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم •  
(١)

#### ٩) رباط خالد بن الوليد :

يقع هذا الرباط فى دارى خالد بن الوليد • وعمره بن العاص حيث  
كانتا متجاورتين وقد اشتراهما تجار بلاد غزنه سنة ٦٢٠ هـ • وبنيتا  
رباطا بعد هدمها لسكنى الغرباء من سكان الهند المجاورين فى المدينة •  
وكان شرط وقفته أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم • وسى هذا  
الرباط فيما بعد برباط السبيل • (٢)

- 
- (١) المرافى : تحقيق النضره ص ١٨٠ •  
السهوى : وفاء الوفاء ج ٣ ص ١٠٥٨ •  
(٢) ابن النجار : الدرر الثمينه • ص ٨٠ •  
الانصارى : آثار المدينة • ص ٥٧ •

## الحياة العمرانية

### توسعة المسجد الحرام وعمارته :

أول من قام بتوسعة المسجد الحرام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أدخل ضمن مساحة المسجد الدور المجاورة بعد أن اشتراها وهدمها • وأحاط المسجد أيضا بجدار قصير ثم سار على نهجه ونسج على منواله من تولى الخلافة بعده وهو عثمان بن عفان الذي قام بتوسعته وعمارته (١) ويذكر لنا الأزرقى (٢) في كتابه أن عبد الله بن الزبير قد زاد في الجدار المحيط بالمسجد ورفعده وسقف جزءا منه ليحتمى الناس تحته حماية من أشعة الشمس •

ويقول الفاكهي : (٣) ان توسعة ابن الزبير كانت من جانبه الشرقي وبعد أن تم القضاء على عبد الله بن الزبير وتمكن عبد الملك بن مروان أمر واليه

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ٨٩ •
  - الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٢ •
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٦٨ •
  - باسلامه : عمارة المسجد الحرام ص ٣٤ •
  - (٢) الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ٩٠ •
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢٨ •
  - (٣) الفاكهي : المنتقى ص ٧٤٠ •
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢٩ •

على مكة الذي يدعى الحجاج بن يوسف الثقفي بتجديد بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة مما حدث لها من خراب وأرسل الأساطيع لتزين بها أروقة المسجد .

ويذكر الأزرقى (١) أن الأساطيع هذه قد نمت جزء منها من حجارة مكة والآخر أرسله عبد الملك بن مروان من الشام وهو من الرخام . وقد حليت رؤوس هذه الأساطيع بصفائح من فضة وذهب حتى لقد بلغت هذه الحلية أربع أوقيات . (٢)

ثم أتى من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك وقام بتعمير المسجد الحرام بعد أن نقل أساطيع الرخام إليه من الشام . وأرسل إليه الفسيفساء

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٣ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .  
ياسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٦ .  
(٢) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٤ .  
ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٢٠ .  
ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١١٠ .  
النهر والى : الاعلام ، ص ٦٨ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٨٨ .

حتى تزيد النوافذ والابواب وكانت هذه الزيادة سنة ٨٩ هـ . (١)

ثم توقف تعمير المسجد واصلاحه حتى كانت خلافة أبي جعفر المنصور العباس الذى وسع المسجد من جهة الشمال ومن جنوبه عند بواب اجياد وقد بناء بالحجارة وزينه بالقناديل والمشاعل وزاد من الاساطين الرخامية ، وأنشأ المنارة التى تقع فوق باب بنى سهرم وتولى هــ سـ ذ ا التشييد زياد بن عبيد الله الحارثى القائم بأعمال شرطة مكة . (٢)

وقد زينه بالفسيفساء وسقف أروقته بخشب العرعر الذى أتى به من الطائف وقد قام بتوسيع مساحة المسجد ايضا فأدخل دار الندوة ، ودار شيبه بن عثمان ودار العجله ضمن مساحة المسجد . وبعد ذلك رصف أروقته بالحجارة المنحوتة . (٣)

ومما يدل ويشهد على ما قام به أنه عشر على نص كان موجودا

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٥ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ٨١ .  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٢ .  
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٢ .  
(٣) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٦ .

حتى زمن أبي الوليد الأزرقى صاحب كتاب تاريخ مكة . (١)

وقد سجل هذا النص الأعمال المعمارية للمسجد الحرام فى عهد أبى جعفر المنصور وقد كتب على اسطوانة من اسطوانات المسجد الحرام وهذا نصه :

(( " بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بتوسعة المسجد الحرام ، وعمارته والزيادة فيه نذرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم ، وكان الذى زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وأمر ببنائه وتوسعته فى المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وفرغ منه ورفعت الأيدي عنه

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
  - (٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
  - (٣) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ١١٢ .

فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة بتيسير أمر الله بأمر أمير المؤمنين  
ومعونة منه له عليه وكفاية منه له وكرامة أكرمه الله بها فأعظم الله أجر أمير  
المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه (١) .

وحين حج ابنه المهدي سنة مائة وستين هجرية وجردت الكعبة من  
كساءاتها المختلفة . قام بتعمير المسجد الحرام وأمر بزيادة ارتفاع أروقته ،  
وشراء الدور المجاورة التى تقع من الجانب الغربى للمسجد لاضافتها  
اليه . (٢) .

وتنفيذا لذلك فقد ترك أموالا كثيرة عند قاضى مكة محمد بن عبد الرحمن  
المخزومي ليقوم بتجديد بناء المسجد وتوسعته . (٣) .

ونتيجة لذلك فقد أدخل دار جبير بن مطعم ، وسباع الخزاعي ، وأدخل

- 
- (١) هذا النص منقوش على أحد أعمدة المسجد الحرام التى بداخل أروقتها  
حتى الوقت الحاضر وقد ذكرها الأزرقى فى كتابه تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٣  
وابراهيم رفعت ج ١ ، ص ٢٢٦ .
- (٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٨ .  
السيافى : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٩٨ .
- (٣) الأزرقى ، ج ٢ ، ص ٧٤ .  
النهر والى : الأعلام ، ص ١٣٢ .

أيضا دار القوارير • ثم الصق الجدار بالجدار القديم ، وشيد الأروقة الجديدة بعد أن نقل أساطين الرخام من دمشق الى مكة التي جرت بواسطة العربات وأقيمت هذه الأساطين في الأروقة على ثلاثة صفوف • وقد اعتمدت على أساسات من الحجارة والتدرة • (١)

وقد زاد أيضا في عدد أبواب المسجد الحرام وأصلح بعض المنائر فيه • (٢)

هذا كله عن عمارة المسجد الأولى في زمن المهدي ، ولله زيادة ثانية قام بها في تزيين المسجد حتى أصبح عرضه كطولـه تقريبا وتحت العمارة الثانية للمهدي في سنة ١٦٤ هـ حينما تبين له أن عمارته الأولى لا تتناسب فنيا مع التوسعة التي جرت له في زمنه ، فأمر المهندسين

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٥ •  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٣٩ •  
(٢) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٥ •  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٣١ •  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد ، ص ٤٠ •



بتوسعته حتى تتوسط الكعبة المسجد ولو استنفد الأمر ما في بيوت  
المسلمين من أموال . (١)

وقد نصبت الرماح على الدور التي تقع في الوادى ووضعـت  
الاشارات ، وقيست بالأذرع المعمارية فاشتروا الدور من الناس ،  
ونقلت المومـن من مصر والشام ، وأحضر العمال والصناع من  
أبصار الدولة الاسلامية . (٢)

وقد بدأ تنفيذ هذا العمل سنة ١٦٧ هـ اذ قاموا بجـرف  
مجرى الوادى عند باب احياد ورفعوا أروقة المسجد عن مستوى الوادى  
خوفا من دخول ماء السيل الى الحرم وانتهى العمل منه زمن ابنه  
الهادى . (٣)

- 
- (١) الأزرقي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٦ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
  - (٢) الأزرقي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٧ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
  - (٣) الأزرقي : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٧٧ .
  - الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢١ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

ويقال ان عدد الاساطين من الجهة الشرقية بلغت ثلاثة ومائة  
اسطوانة ، ومن الجهة الغربية مائة اسطوانة ومن الجهة الشمالية  
ثلاثون ومائة اسطوانة ، ومن الجهة اليمانية واحد وأربعون بعـد  
المائة اسطوانة .

ويلاحظ أن المسافة بين كل اسطوانتين عشرة أذرع وبلغت  
جملة الاسطوانات المحلاة بالذهب ثنتان وأربعون اسطوانة . (١)  
وبلغت المحلاة بالفضة ثنتان وسبعون اسطوانة وقد حليت  
الفسيفساء أيضا بماء الذهب والفضة . (٢)

وأما القناديل فقد صنع بعضها من النحاس والآخر من  
القوارير . (٣) أما عن نوافذ المساجد هذا فقد بلغت عدد نوافذه أربعمئة

- 
- (١) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٤ .  
ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٣٤ .  
الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٨٤ .  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد ، ص ٤١ .  
(٢) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٠ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٣ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .  
الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٢ .  
(٣) الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٤ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

نافذة ، ولم تحدثا المصادر التاريخية عن أى اصلاحات أو توسعة  
حدثت سوى مقام به بعض أهل الخير في مكة حينما كتبوا الى الخليفة  
المعتضد العباس سنة ٢٨٤ هـ يطلبون توسعة الحرم الذى ضاق عمن  
عدد الصلّين وخاصة في المواسم الدينية الأسبوعية أو السنوية كـ  
عـام . (١)

ولهذا فقد أمر بادخال دار الندوة ضمن الرواق الشامى للمسجد  
ثم وضع لها باب من باب الزيادة لأنها خرجت عن شكل تزيين  
المسجد . (٢)

وقد تم الانتهاء من الزيادة هذه سنة ٢٨١ هـ ، أما التوسعة  
الأخيرة فهي الزيادة التى حدثت عند باب ابراهيم زمن خلافة  
المقتدر بالله العباس سنة ٣٠٧ هـ من الجهة الغربية للمسجد . (٣)

- 
- (١) الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٦ .  
الفاكهى : المنتقى ، ص ١٢٧ .
  - (٢) الصباغ : تحصيل المرام ، ورقة ٣٠٩ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٦ .  
باسلامه : عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٤ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٥ .  
الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٣٦ .  
باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٥ .

ولم تطرأ بعد ذلك أى توسعة جديدة حتى زمن سلاطين  
المماليك . (١)

أما الإصلاحات فقد اقتصر على النوافذ والابواب والقناديل حتى  
نهاية هذا البحث .

وللمسجد الحرام أربع منائر رئيسية شيدت زمن عبد الملك بن  
مروان . وأنشئت المنارة الخامسة زمن الخليفة أبى جعفر المنصور على  
باب العمرة . (٢)

وقد قام ابنه من بعده بإنشاء منارة سادسة على باب السلام .  
ثم أنشأ وشيد قايتباى المنارة السابعة (٣) والتي بقيت حتى يومنا

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٦ .

الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

الفاسى : العقد الثمين ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٢) الفاسى : تاريخ مكة ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

الفاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٣) ابن فهد : اتحاف الورى ، ورقة ٢٣٧ .

باسلامه : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ٤٧ .

هذاء شاهدة على براعة ما قام به الخلفاء والسلاطين والامراء من  
أعمال عظيمة لكان عظيم من بناء وتشبيد وزيادة وزخرفة احتفاء به  
لما له من مكانة في قلوبهم وأيضاً لطبع خلافتهم بطابع ديني أمام جموع  
المسلمين في أمصار الدولة الإسلامية .

\* \*

### توسعة المسجد النبوي وعمارته

حين تمت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى يثرب الذي سماها طيبة يتمنا واستبشارا . كان أول عمل قام به فيها أن اختط مسجده الشريف وسط دور الأنصار وقد بنى حوله حجرات أزواجه رضى الله عنهن . (١)

وقد ضرب النبي صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة والمثالية فى العمل والمشاركة بنفسه فى تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله . (٢)

هذا وقد جعل مواد بنائه أن يبنى من اللبن واستخدم فى سقفه واسطواناته النخيل فجعل سقفه من الجريد المغطى باللبن ، واسطواناته من خشبه الاسطوانى الشكل وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى . (٣)

- 
- (١) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ١٦٣ .  
المراغى : تحقيق النضرة ، ص ٣٢ .  
ابن النجار : الدرر الثمينه ، ص ٥٨ .
  - (٢) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ١ ، ص ١٦٤ .  
العباسى : عمدة الأخبار ، ص ٥٨ .  
ابن النجار : الدرر الثمينه ، ص ٥٩ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣١ .
  - (٣) السهمودى : وفاء الوفا ، ص ١٧٨ .  
المراغى : تحقيق النضرة ، ص ٣٤ .

خلفه أبوبكر رضى الله عنه فلم يزد على ما كان عليه أيام النبی صلى الله عليه وسلم . (١)

وحین آلت الخلافة الى عمر رضى الله عنه قام بتوسعته من جهة القبلة أخذاً من اشارة النبی الى التوسعة من جهة القبلة فلقد سمع النبی صلى الله عليه وسلم يقول : ( لو زدنا فی مسجدنا هذا وأشار بيده نحو القبلة ) وقد أقام أساسه بالحجارة فی جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع . (٢)

وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقته بالجريد وعمده بخشب النخل ، ولم یغیر فی الأبواب شيئاً عما كانت عليه من قبل . (٣)

- 
- (١) ابن النجار : الدرہ الثمینة ، ص ٦٠ .  
العباسی : عمدة الأخبار ، ص ٧١ .  
ابراہیم رفعت : مرآة الحرمین ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .  
(٢) العباسی : عمدة الأخبار ، ص ٧٢ .  
ابراہیم رفعت : مرآة الحرمین ، ج ١ ، ص ٣٧١ .  
ابن النجار : الدرہ الثمینة ، ص ٣١ .  
(٣) السخاوی : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٥ .  
ابراہیم رفعت : مرآة الحرمین ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .

وفى خلافة عثمان بن عفان زيد المسجد زيادة هائلة ولكنه جعل  
مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد مرة ثانية  
وخاصة فى المواسم الدينية للمسلمين الأسبوعية والسنوية كـ  
عام . (١)

وقد غير الوضع عما كان عليه من قبل فوضع الاسطوانات  
الحجرية بدلا من خشب النخيل . (٢)

وقد زاد فى مساحته من الجهة الشمالية خمسين ذراعا ، ومن  
جهة المشرق ستين ذراعاً ، ومن جهة المغرب خمسـ  
ذراعا ، ومن جهة الجنوب مائة ذراع ، ولم يزد من أبوابه ، بل زاد  
من عدد نوافذه . (٣)

هذه جملة ما زيد فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه

- 
- (١) السهمودى : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .
  - المراغى : تحقيق النضره ، ص ٤٧ .
  - ابن النجار : الدرر الثمينة ، ص ٣٨ .
  - (٢) المراغى : تحقيق النضره ، ص ٤٧ .
  - (٣) المصدر السابق ، ص ٤٨ .



وحين تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر واليه على المدينة عـسـر بن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوي من جهة المشرق والمغرب ، وشـسـرا الدور المجاورة بعد دفع الثمن لذويها فأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وثلاث دور لعبد الرحمن بن عوف ، دار عبد الله ابن مسعود ، ومن جهة الغرب دار طلحة بن عبيد الله ، ودار عـسـار ابن ياسر ، ودار العباس بن عبد المطلب . (١)

وأمر بإرسال الأعمدة الرخامية من الشام ، والفسيفساء من مصر ، وخمرة النور في المدينة . (٢)

وأقيم الأساس من الحجارة والرصاص ، والحديد ونى الجدار بالحجارة

- 
- (١) المسهودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .  
المرافى : تحقيق ، ص ٤٩ .  
(٢) ابن النجار : الدرر الثمين ، ص ٦١ .  
العياص : عدة الأخبار ، ص ١٠٣ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٩ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

المنقوشة التي حشيت بالرصاص فأصبح طول المسجد بعد ذلك مائة  
وثمانين ذراعاً ، مائة وعشرون من ناحية الشمال . (١)

ونقشت جدره بالفسيفساء ، وبذلك أدخل قبر النبي صلى الله عليه  
وسلم ضمن المسجد . (٢)

هذا وأقيم أربع منائر في زوايا المسجد . (٣)

وفي عهد الخليفة أمر جعفر المنصور سنة ١٤٠ هـ تصدع جدر المسجد  
فأمر بتجديدها . (٤)

وفي عهد ابنه الخليفة المهدي سنة ١٦١ هـ ضيق المسجد بحجـاج  
الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن علي العباس بزيادة  
المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسون  
ذراعاً ، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل والنص الاتي يبين

- 
- (١) ابن النجار : الدرر الثمينه ، ص ٦١ .  
المسعودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .  
(٢) المسعودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .  
(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .  
المسعودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

ما قام به من انشاء وزيادة<sup>(١)</sup> واليك نص النقش الخاص بأمر الخليفة :

(((( أمر عبد الله المهدي أمير المؤمنين أكرمهم الله وأعز نصره بالزيادة فـسـ  
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل  
والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من  
أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من  
حسنه في ذلك وأحسن ثوابه " انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم  
الآخر . .

وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أكرمهم الله من  
الزيادة في مسجد الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ  
منه سنة خمس وستين ومائة ، فأمر المؤمنين أصلحه الله بحمد الله على  
ما أذن له واختصه من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته  
حمدا كثيرا ، والحمد لله رب العالمين على كل حال ))) .

---

(١) وقد ذكر هذا النص المراعي في كتابه تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار  
الهجرة ص (٥) كما أوردها ابن النجار في كتابه الدر الثمينة ص ٦٣  
وأن كلا من ابن النجار والمراعي قد نقلوا عن رواية ابن زياله ويقال  
بأن هذا النص كان منحوتا في إحدى اسطوانات المسجد النبوي الشريف  
ولكنها غير موجودة في الوقت الحاضر .

ثم استمر بعد ذلك خلفاء البيت العباس في ارسال  
الأموال الى ولائهم في المدينة لاصلاح وترميم مايتصدع  
من المسجد . (١)

ولما حج نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٥٥ هـ أمر  
بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص  
وفي خلافة الناصر لدين الله العباس عمر المسجد النبوى  
الشريف بواسطة ارسال النقاشين والصناع من بغداد  
سنة ٥٧٦ هـ لعمارة المسجد . (٢)

وأرسلت القناديل التى صنعت وهيئت لاضاءته .  
ولقد احترق المسجد ولم يبق منه الا الحجرة الشريفة وذلك  
في عهد الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٤ هـ ، فأمر  
بعمارته سنة ٦٥٥ هـ وأكمل زمن السلطان المنصور

---

(١) الموائى : تحقيق النضرة ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٣ .

عمر بن رسول صاحب اليمن وانتهت عمارته سنة ٦٥٧ هـ بعد  
أن أنفق على عمارته أموالاً طائلة . (١)

\* \*

- 
- (١) السهمودي : وفاء الوفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ .  
الخزرجي : العقود اللوئية ، ج ١ ، ص ١٤٣ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ، ص ٤٤٣ .  
ابراهيم رفعت : امرأة الحمير ، ج ١ ، ص ٣٨٦ .

## بناء المساجد وتجديدها

### أ - المساجد بمكة :

#### مسجد التنعيم :

أشهر هذه المساجد الذى يقع فى منطقة التنعيم خارج حدود مكة المكرمة .

وينسب الى السيدة عائشة رضى الله عنها .

ولا يكاد يعرف من بنى هذا المسجد . والذى أمر بتجديده بنائه هو الخليفة المقتدر بن الراضى سنة ٣١٥ هـ والذى قام بتعمير الأعلام التى تحدد نهاية حدود الحرم ، وبداية حدود الحل والدة الخليفة المقتدر العباس . (١)

ويذكر لنا فى كتابه تحقيق النظر (٢) . أن زوج الملك المنصور صاحب اليمن أمر بتجديد مسجد السيدة عائشة سنة ٦٤٥ هـ وأيضا بإنشاء حوض خلف المسجد لتخزين الماء ، وقد بنى بالحجارة .

---

(١) ابن السجار : الدرر الثمينه ، ص ٧٨ .

السخاوى : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٥٨ .

(٢) المراغى : تحقيق النظره ص ٥٧ .

ويؤكد لنا هذا القول ما ذكره ابراهيم رفعت في كتابه —مرآة  
الحرمين بأنه شاهد هذا الخزان الذي شيد لخدمة المصلين  
بالمسجد . (١)

مسجد نمرة :

يحيى هذا المسجد بمسجد عرنه ويقع على حدود عرنه وهو مسجد  
كبير يتسع لجمع غفير من المسلمين .

وقد شيد أروقته الخليفة الرشيد . (٢)

ثم جدد بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وأيضاً  
زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي وأخيراً أصلح  
السلطان نور الدين عمر بن رسول مابه من خراب سنة  
(٣)  
٦٤٢ هـ .

- 
- (١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٩٢ .  
(٢) ابن النجار : الدرر الثمين ص ٧٨ .  
المعاصي : عمدة الأخبار ص ٨٩ .  
(٣) المسعودي : وفاء الوفا ج ٢ ص ٣٤٤ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٠٠ .

مسجد الصخرات :

سمى بهذا الاسم لوقوعه وسط الصخرات الثلاث ويقع أسفل  
جبل الوحمة . (١)

هذا ولم تحدث المصادر التاريخية عن أمر بنائه وتجديده  
فلا تزال جداره مهدمة حتى يومنا هذا . (٢)

مسجد الكبش :

يقع بنى على يسار الذهاب الى عرفه وسمى بهذا الاسم لموقعه  
بمجر الكبش ، وتيمنا بما أقدى الله به نبيه اسماعيل حين شرع أبوه  
الخليل على تنفيذ أمر ربه بذبحه عليهما السلام . (٣)  
وجدد بأمر من الحاكم بأمر الله الفاطمي . ثم جدده الخليفة الناصر  
لدين الله العباسي .

---

(١) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ١٣٩ .

القاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٧٧ .

السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٧٤ .

(٢) انظر ابراهيم رفعت ، امرأة الحرمين ، ج ١ ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) الأزرقى : تاريخ مكة ، ج ٢ ص ١٣٠ .

ابراهيم رفعت : امرأة الحرمين ، ج ١ ص ٤٦ .



مسجد البيعة :

وسمى بهذا الاسم نسبة الى ما وقع فيه من بيعة الأنصار لرسول الله صلى

الله عليه وسلم في هذا المكان قرب العقبة بداخل شعب نهاية حدود منى<sup>(١)</sup>.

والذى أمر ببنائه في هذا المكان هو الخليفة أبو جعفر المنصور العباس . وقد

جدد بناؤه سنة ٢٤٤ هـ ، وفي سنة ٦٢٩ هـ جدد بناؤه بأمر من

الخليفة المستنصر العباس . (٣)

مسجد منى :

ويسمى مسجد ال . ويذكر لنا الفاسي<sup>(٤)</sup> بأن هذا المسجد

يقع قرب دار المنحر يمين الصاعد الى عرفه ، ولقد أمر ببنائه وتشييده الخليفة

- 
- (١) الفاكهي : المنتقى ص ٧٦ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٨٦ .
  - السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٩٧ .
  - ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٥٧ .
  - (٢) الفاكهي : المنتقى ص ٧٧ .
  - (٣) ابن فهد : ورقة ٢٦٥ .
  - الفاسي : العقد الثمين ج ٧ ص ٢٨٩ .
  - (٤) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١١٧ .

المهدي وجدده أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٥ هـ وشيّد  
له أربعة أروقة . (١)

كما يذكر لنا ابراهيم رفعت أنه شاهد نصا يؤكّد عمارة الملك المنصور  
صاحب اليمن مكتوب فيه مايلي :

(( هذا مسجد سيدي الأولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحس  
هدية فيه : ان الملك قطب الدين أبا بكر الدين الملك المنصور عمر بن علي  
ابن رسول صاحب اليمن أمر بتجديد عمارته بعد زيارته في سنة ٦٤٥ هـ )) (٢)

#### مسجد الكوثر :

ويقع هذا المسجد بمنى . وقد عسر زمن الخليفة المعتمد سنة ٢٥٦ هـ  
وقام بتجديده الوزير محمد بن علي المعروف بالاصفهانى سنة ٥٥٩ هـ . (٣)

---

(١) الفاكهى : المنتقى ص ٧٨ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤١٧ .

(٣) الفاكهى : المنتقى ص ٨٠ .

النهر والى : الاعلام ص ٤٣ .

وقامت بتجديد بنائه والددة الخليفة الناصر لدين الله  
العباسي . (١)

وجدد بناءه أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة  
٦٤٧ هـ . (٢)

هذا ومع سردنا لمساجد مكة الا أنه توجد مساجد أخرى  
أشهرها :

مسجد الراية :

ويقع بأعلامكة .

و مسجد الجن :

ويقع هذا المسجد بنهاية سور مكة وهو الذي استمع فيه الجن  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يتلو القرآن الكريم .  
ولقد تحدث القرآن الكريم مبينا ومفصلا بلسان عرب مبين هذا المشهد  
فيقول تبارك وتعالى : ( قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا

- 
- (١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١١٨ .  
(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٦٩ .  
يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ، ج ١ ص ٤٣٣ .  
الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ١٢٣ .

سمعنا قرأنا عجباً يهـدى الى الرشـد فأما به ولن نـشرك بـرنا أحـدا  
الآيات )) ويوجد أيضاً بمكة مسجد بلال بن رباح بأعلا جبل قبيس عند  
مشق القمر. (١)

وأيضاً يوجد مسجد أبي بكر الصديق بأسفل مكة .

وهذه خلاصة أشهد مساجد مكة القديمة .

\* \*

- 
- (١) القاسى : شفاء الغرام ٥ ج ١ ص ١٢٣ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٠٧ .  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٧٤ .

بـ مسجد المدينة المنورة :

مسجد قباء :

هذا هو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل  
قام به النبي صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى قباء  
في هجرته إلى المدينة المنورة . (١)

وجدد بناؤه في خلافة عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه ، وللمسجد أهمية إسلامية وذكرى طيبة  
تهفو إليها نفس كل مؤمن ، ولعموم زائري  
المدينة . (٢)

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

(( من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين

كان له كأجر عمره )) .

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك جدد المسجد

وزيد في توسعته . فأرسلت الأسطوانات من دمشق

---

(١) ابن النجار : الدرة الثمينه ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

كما جدد بناؤه في عهد أبي جعفر المنصور (١).

وفي سنة ٥٥٥ هـ أمر نور الدين محمود زنكسى بتجديد بناءه  
بعد أن أضررت له أساطين رخامية من بلاد  
الشام. (٢)

#### مسجد القلبيين :

ويقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي  
العقيق.

ويقال إن الذي جدد بناءه أخيراً هو الملك المنصور صاحب  
السيم سنة ٦٤٧ هـ. (٣)

#### مسجد الفتح :

ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق صاحبه تسمية غزوة الخندق

- 
- (١) المصدر السابق ص ٨١.
  - (٢) المرافق : تحقيق النضرة ص ٥٩.
  - المسعودي : وفاة الوفا ج ٢ ص ٣٥٤.
  - (٣) المرافق : تحقيق النضرة ص ٦٠.
  - العباس : عمدة الأخبار ص ١٠٣.
  - المخاوي : الدرة الثمينه ج ١ ص ٨٨.

تبعاً لهذا المكان وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم فيه فاستجاب  
الله دعاءه ، والذي قام بتعميره عمر بن عبد العزيز رضي  
الله عنه حين كان والياً على المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك  
اذ شيد أروقته (١) وفي سنة ٥٧٥ هـ جدد الأمير أبو الهيثم  
أيضاً بناءه وشيد قبابه ، وأعدته الرخامية ، وعقوداً محكمة  
بين أعدته . (٢)

#### مسجد الإجابة :

ويقع شمال البقيع قرب قرية بني عوف من الأوس وترجع سبب  
هذه التسمية الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى فيه ودعا الله  
فاستجاب الله له ، ولذا سمي مسجد الإجابة . (٣)

#### مسجد المائدة :

ويقع هذا المسجد شرقي المدينة وأقيم على شكل مائدة  
الطعام .

- 
- (١) السخاوي : التلخفة اللطيفة ص ٨٩ .  
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٢٠ .  
(٢) ابن النجار : الدرر الثمينة ص ٨٠ .  
(٣) الصدر السابق ص ٨٢ .

وكان يسمى أولاً باسم مسجد الجمعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى  
فيه أول جمعة بالمدينة وحين جدد بناؤه شيد على شكل مائدة  
فسمى باسمها. (١)

\* \*

---

(١) المرافى : تحقيق النضرة ص ٦٣ .  
الانصارى : آثار المدينة ص ١٢٣ .



مساجد جدة والطائف

يوجد في وسط جدة القديمة أربعة مساجد

أقدمها المسجد الجامع .

وهذه المساجد أنشئت مع بداية القرن الخامس الهجري حين

تعطل ركب الحاج المصري البري . فأصبح طريق الحجاج الى جدة عن طريق

البحر . (١)

ولذا اهتم الأمراء بإنشاء المساجد في حيرة لازدحام المصلين بها

فترة الموسم . (٢)

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية السنوات التي أنشئت فيها المساجد

ولا سنوات تجديدها .

أما الطائف ، فقد اهتم خلفاء البيت العباسي ببنائها

---

(١) ابن جبير : الرحلة ص ٣٦ .

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٧ .

(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٢ .

المساجد فيه أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببناء مسجد عبد الله  
ابن العباس رضي الله عنهما سنة ١٣٨ هـ الذي يقع قرب داره لهجرته مسن  
مكة إلى الطائف زمن خلفاء بني أمية . (١)

ثم سار على نهجه الرشيد الذي أمر بتوسعة المسجد سنة ١٨٤ هـ ،  
وأخيرا قام بتجديده الخليفة الناصر لدين الله العباس (٢) ، ثم  
السلطان المنصور صاحب اليمن أن جدد وجدد أيضا بناء مأذن قس  
سنة ٦٤٨ هـ . (٣)

وهناك مسجد الهادي الذي ينسب إلى الخليفة العباس  
الهادي بن المهدي الذي جدد بناءه ولم تذكر  
لنا المصادر التاريخية شيئا عن تجديد بنائه فيما بعد .

- 
- (١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٥٦ .
  - (٢) الفاكهي : المنتقى ص ٨٧ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٠٤ .
  - الخزرجي : القود اللوئية ج ٢ ص ٧٣ .
  - (٣) الفاكهي : المنتقى ص ٨٧ .

مسجد المشناه :

وهو الذى يوجد فيه أثر كعج الرسول صلى الله عليه وسلم ويقع هذا  
المسجد بطرف وادى الوهط بالطائف فى قرية المشناه . (١)

وقد اصطلح على تسميته باسم مسجد الكعج لوجود أثر كعج الرسول  
صلى الله عليه وسلم داخل صخرة فيه ولم تحدثا المصادر التاريخية عن بناء  
أو من أمر بتجديد بنائه . (٢)

\* \*

- 
- (١) الفاس : شفاء الغرام ج١ ص ١٩٨ .  
النهر والى : الأعلام ص ٨٣ .  
السباعى : تاريخ مكة ج١ ص ٩٣ .  
(٢) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج١ ص ١٦٠ .

### بناء الأسوار حول المدن

امتازت المدن الإسلامية منذ بداية القرن الثالث الهجري حتى سقوط الخلافة العثمانية ببناء الأسوار حول المدن وكان القصد منها حماية المدينة من اعتداءات القبائل عليها . (١)  
ونخص في هذا البحث الحديث عن أسوار مدن الحجـاز وأهمها سور مكة .

كان يحيط مكة سوراً من أعلاها إلى أسفلها ويقع هذا السور بعد مسجد الجـن وله باب محكم يسمى باب المعـلاء .

ويمثل آخر حدود المدينة وآخر دورها ويأتي بعد

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢١٥ .

المقريزي : الخطط ج ١ ص ١١٣ .

الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ١٠ .

السور ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو لحماية وادى ابراهيم من سسيول  
الامطار العارمه التى تجتاح مكة . (١)

ومن جهة الشمال تقع القاراه وسها الباب الشامى ومن ناحية  
الشبيكه بعد جبل الكعبه يقع السور وبه باب الشبيكه . (٢)  
ومن الجهة الجنوبية بعد بركة الماجن يمتد السور ويقع به الباب  
الجنوبى . (٣)

ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن بنى هذا السور ؟  
ونذكر لنا الفاسى (٤) فى كتابه شفاء الغرام ، أن الشريف  
أبا عزيز قتاده بن ادريس هو الذى قام بتجديده من الجهه  
الشرقية .

- 
- (١) الأزرقى : تاريخ مكة ج ٢ ص ١٤٥ .
  - (٢) الشهروالى : الأعلام ص ٩٥ .  
الفاكهى : المنتقى ص ٨٢ .
  - (٣) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١١ .  
الشهروالى : الأعلام ص ٩٦ .
  - (٤) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ١٢ .

ويذكر لنا الفاكهي في كتابه أن سور مكة كان موجودا زمن خلافة المقتدر

العباس سنة ٢٩٥ هـ وهذا الرأي هو الأرجح .

وجدد بناء هذا السور من جهة الشبيكة الملك المظفر صاحب اربل

سنة ٦٠٧ هـ وهو الذي مهد الجبال التي تقع طرف هذا السور . (٢)

#### سور المدينة :

حينما تعرضت مكة لاعتداء القرامطة طلب أمير المدينة من الخليفة

المقتدر بالله العباس ببناء سور حول المدينة وذلك لحمايتها

من أي اعتداء يقع عليها فأمر الخليفة في سنة ٣١٨ هـ ببناء سور حول

---

(١) الفاكهي : المنتقى ص ٨٤ .

(٢) ولد أبو سعيد مظفر الدين كوكبرى بن الأمير زين الدين أبي الحسن علي كسجك بن بكتكين في السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٤٩ هـ وهناك اختلاف في لقبه ، فالذهبي في كتابه تاريخ الاسلام ورقة ١٨٣ يطلق على اسمه كوكبرى وابن خلكان يطلق عليه كوكبرى لاعتقاده بأنها كلمة تركية مكونة من كوك يعنى أزرق ، ويرى تعنى ذئب ويقصد بها ذئب أزرق انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ص ٢٧٧ .

محسن محمد حسين ، اربل في العهد الاتاكي ص ١٣٩ بغداد ١٩٧٦ .



وفي سنة ٦٤٦ هـ جدد بناء سور المدينة بأمر من الملك المنصور بـرسول صاحب اليمن . (١)

أما مدينة جدة والطائف فلم ينشأ لها أسوار في الفترة الزمنية التي تخص هذا البحث .

ولكن تم بناء أسوارها زمن سلاطين الماليك حينما أصبحت جدة ميناء هاماً للحجاز فاهتم سلاطين الماليك بها فبنوا حولها أسواراً كما فعلوا ذلك حول الطائف أيضاً .

\* \*

---

(١) الخزرجي : العقود اللوئية ج ٢ ص ٩٨ .



## الفصل الخامس

### الحياة العلمية في بلاد الحجاز

## أ - الحياة العلمية :

لبلاد الحجاز دور قيادي في الحركات العلمية وفي الحفاظ على التراث الاسلامي والعربي . وفي العقيدة الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى وقتنا الحاضر . (١)

وتعددت المراكز العلمية بين حلقات بالمساجد وأخرى خارجها مثل المدارس وقد بدأت الحركة العلمية بالحجاز مشثلة في حلقات العلم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي المسجد الحرام ، وقد لعبت الحلقات دورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية وظلت المساجد تقوم بدور فعال في تطور الأمة الاسلامية فكثيرا وحضاريا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين (٢) ، الذين تولوا أمر الحركة العلمية في المسجدين الحرام والنبوي الشريف اعتمادا على الكتاب والسنة في جميع المعاملات والعبادات والعقيدة . (٣)

- 
- (١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٣ ص ١٥٨ .  
مرزوق بكري : المسجد محور للنشاط ، ص ٤٦٠ رسالة المسجد .
  - (٢) النهر والى : الاعلام ص ٢٨ .  
ابراهيم رفعت : مراة الحرمين ، ج ١ ص ٦٦ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٩٣ .
  - (٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٠ .  
أحمد سيف : عمل أهل المدينة ص ٣٥ .

ومنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد التابعين وتمسكهم بأشعار  
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . فنجد الامام مالك يتتبع منهاج الرسول  
صلى الله عليه وسلم في أوائل القرن الثاني الهجرى ، ثم يسير على  
منهاجه طلبته ، حتى أصبح متعارفا بعمل أهل المدينة . ( ١ )  
وساعد على ذلك كثرة الصدقات التى تفتد اليها من قبل التجار  
والقضاة والخطباء ، التى كانت تعطى للمجاورين . بالاضافة الى  
ذلك فريضة الحج . فقد كان يفد مع الحجاج علماء من جميع أقطار  
العالم الاسلامى . فتقام في مكة المناظرات العلمية ، فيتدارس العلماء  
أحوال المسلمين ، وما يتعلق بالعقيدة الاسلامية . ويأخذون عن بعضهم  
علم القراءات ، والتفسير والحديث والفقه وعلوم

---

( ١ ) مرداد : نشر النور والزهور ، ج ١ ، ص ١١ .

Dohaish Abduliatif History of Education p. 33 .

أحمد سيف : عمل أهل المدينة ، الطبعة الاولى ١٩٧٧ — دار الاعتصام

مصر ، ص ٣٧٢ .

اللغة العربية (١) . ومنهم من يجاور ومنهم من يعود الى بلده .  
ويشعرون بما استفادوا من علوم . وأما من يقيم فيدرس ويدرس ويجاور .  
لذا فان المجاورين في الحرمين أصبحوا يشكلون جزءا من المجتمع  
على مر العصور . (٢)

### حلقات العلم في المسجد الحرام والنبوي الشريف :

قلنا ان حلقات العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف  
قد لعبت دورا هاما في الحياة العلمية والثقافية في بلاد الحجاز . (٣)  
ومن المفيد أن المسجد كان ولا يزال يساهم مساهمة فعالة في تطوير

- 
- (١) الفاسي : العقد الثمين ج ٢ ص ٩٨ .  
النهر والى : الاعلام ص ٨١ .  
السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٩٦ .  
محمد حسين يوسف : رسالة المسجد ص ٤٦٦ .  
الشامخ : التعليم في مكة والمدينة ص ١١ .
  - (٢) : أحمد أمين : ظهر الاسلام ص ١٨ .  
حسين ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٦٠ .  
محمد الحسيني : الحياة العلمية ص ٩-١١ .
  - (٣) شوقي ضيف : تاريخ الادب عصر الدول والامارات ص ٥٢-٦٢ .  
عبد الرحمن الحوت : رسالة المسجد ص ١٥٢ .  
محمد الحسيني : الحياة العلمية ص ١٥ .

### الحركات العلمية فكريا وحضاريا . (١)

ويذكر لنا ابن جبير موضحا لهذه الحلقات ، وما يدور فيها من علوم دينية مختلفة ، وأهم هذه العلوم ، علم القراءات ، وتفسير القرآن ، والحديث الشريف ، والفقه ، والعلوم العربية ، وكان لعلم التصوف نصيب قليل في هذه العلوم . (٢)

أما دروس الشعر والعلوم العقلية كالمنطق ، والفلسفة ، فلم يكن لها نصيب من حلقات العلم بالمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف (٣) ومن الجدير ذكره أن أروقة المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف قد انتشرت فيها حلقات العلم ، لأن المسجدين يمثلان المركز الأول للتوعية الدينية ، فازدهت الحلقات برجال الحديث والقراءات بسبب كثرة وجود العلماء المجاورين بمكة والمدينة . الذين هاجروا اليهما لبعدهما

---

(١) محمد الشامخ : التعليم في مكة والمدينة ص ١٩ .

السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٤٤ .

الحسيني : الحياة العلمية ص ٢٠ .

(٢) ابن جيد : الرحلة ص ٦٢ .

(٣) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي - عصر الدول ص ٦٣ .

عن الفتن والاضطرابات السياسية . (١)

وظل هو " لا " العلماء " يؤدون رسالتهم فيهما جيلا بعد جيل . والدراسة في الحرم المكي والنبوي الشريف لم تنهج منهاجا مقروا ، أو محسدا فالمدرس هو الذي يقرر ما يريد تدريسه لطلبته . وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم . والدرس يعقد يوميا من قبل هذا الشيخ في المسجد وتضم الحلقة الجميع بلا تفرقة ، جاعلا البساطة والتواضع الواجب الاساسي تجاه طلبته .

ونلاحظ أن الطلبة يستمعون الى شيخهم ، فيناقشهم ويناقشونه . والطالب يدرس بجد واخلاص . لذا فان الدراسة تأخذ صبغة التنظيم . كما أنهم يستخدمون طريقة الاملاء والقراءة ودراسة الرواية والدراسة . وقد كان لكل مذهب من المذاهب ركنا خاصا به في المسجد الحرام والمسجد النبوي

---

(١) السباعي : تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٧ .

عبد الرحمن الحوت : رسالة المجد ص ١٥٥ .

السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٤٦

الشريف . (١) ويجتمع رجال كل مذهب على حدة للصلاة والدراسة  
معاً .

وتحدثا كتب المؤرخين وكتب الوفيات دائماً عن مدى تحصيل طلبية  
العلم . فهم لا يحصلون على شهادات ، ولكن يحصلون على إجازات  
علمية من أساتذتهم . واتباع العلماء في منح هذه الإجازات التقاليد  
العلمية فيقال : " وفيها توفي . . . وكان شيخاً جليلاً ، إماماً عالمياً  
فاضلاً . . . منعكفاً على العبادة . . . والاشتغال بالله تعالى . . . سمع من  
. . . وتوفي . . . " .

وهذا نموذج من أنواع الإجازات التي قام بمنحها العلماء وذكرها  
المؤرخون ورجال كتب الوفيات . (٢)

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ١٩٠ .  
الحسيني : الحياة العلمية ص ٣٢ .

(٢) الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٤٧ .  
القاسم : العقد الثمين ج ٢ ص ٣٩٢ .  
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٣ .  
الخزرجي : العقود اللوئية ج ٨٨ .  
الباخرزي : دمية القصر ج ١ ص ٦ .  
المكناس : درة الحجال ج ١ ص ١٥ .  
الفيروزبادي : درة الحجال ج ١ ص ١٥ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء العلماء لم يتقاضوا راتبا معيناً —  
لقاء الدروس في المسجدين — الحرام ، والنبوي الشريف — كما أنهم  
لم يأخذوا من الطلبة صدقة أو زكاة لأن تعليمهم كان في سبيل الله<sup>(١)</sup>  
ومن المفيد ذكره أن حلقات العلم لم تكن تقتصر على الدرس ، بل كان  
يتم فيها مناظرة العلماء ، من المجاورين والوافدين عليهم من شتى أقطار  
العالم الاسلامي . وهذا كانت تعقد في الحرمين المكي والمدني في أوقات  
موسم الحج حلقات مختلفة من جميع العلوم العقلية والعقلية ومختلف  
المعارف . (٢)

ومن الملاحظ أن بيوت العلم قد انتشرت في مكة المكرمة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ١٣٢ .

الأنصاري : تحفة المحبين والأصحاب ص ٢٢ .

السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج ١ ص ٣٣ .

(٢) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢١٥ .

الفاسي : العقد الثمين ، ج ٢ ص ١٠١ .

مرداد : نشر النور والزهر ج ١ ص ٤ مطبوعات نادي الطائف .

الحسيني : الحياة العلمية ص ٣٦ .



والمدينة المنورة ، وتوارثها أبناؤهم من بعدهم ، كما كان يتوارث بيوت  
الخطباء والائمة في المساجد . (١)

أما عن المدارس النظامية فان هذه الحقبة التي تخص البحث قد  
انتشرت فيها المدارس بمكة المكرمة ، أما المدينة المنورة فلم تحدثت  
المصادر عن المدارس التي أنشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية .  
(٢)

\* \*

- 
- (١) مرداد : نشر النور والزهر ج ١ ص ١٧ .  
الحوت : رسالة المسجد ص ١٥٧ .  
(٢) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .  
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٣ ص ١٦٩ .  
الحسيني : المدارس النظامية ص ٣٧ .

## المدارس النظامية

### (١) مدرسة الارسوقي :

تبين لنا المصادر أن أول مدرسة انشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية لهذا البحث هي مدرسة الارسوقي . ويذكر لنا الفاسي (١) في كتابه شفاء الغرام أن تأسيس هذه المدرسة كان سنة ٥٧١ هجرية وأن مؤسسها هو العفيف عبد الله بن محمد الارسوقي . كما يذكر لنا ابن ظهيرة (٢) أن تاريخ تأسيس هذه المدرسة هو سنة ٥٩٢ هجرية .

ويتضح لنا من وثيقة هذا الرباط الذي يعود الى رقيه وهو المعروف برباط العفيف صاحب هذه المدرسة ولكن ابا رقيه قد نسب اليه أن الذي أوقف الارسوقي صاحب المدرسة وعن شريكه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني سنة احدى وسبعين وخمسمائة . والحجج التي على باب هذا الرباط يوضح هذا التاريخ .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج ٢ ص ٣٣٠ .

(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ٦٨ .

ومن المعلوم أن هذه المدرسة كانت تدرس المذهب الشافعي  
اذ تعتبر أول مدرسة نظامية تأسست في مكة المكرمة (١) . وتقع عند  
باب العمرة من جهة الشبيكة . أما الرباط فيقع أول المسفلة (٢) .

#### (٢) مدرسة الزنجبيلي :

وثاني المدارس النظامية التي أسست في مكة هي مدرسة الزنجبيلي .  
وقد تم تأسيسها سنة ٥٧٩ هجرية عند باب العمرة . وبنى بجوارها رباط  
خاص بسكن الدارسين فيها ويفصلها عن المسجد الحرام دار واحدة (٣) .  
ويذكر لنا ابن ظهيره أن تاريخ تأسيس بناء هذه المدرسة كان سنة عشرين  
وستمئة للهجرة . (٤)

- 
- (١) القاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣٢ .  
الفاكهي : المنتقى ص ٩١ .  
النهر والي : الأعلام ص ٨٩ .  
ناجي معروف : المدارس الشراييه ص ٣٤٨ الطبعة الثانية ١٣٩٧ .  
الحسين : الحياة العلمية ص ٣٨ .
  - (٢) القاسي : شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٣٦ .
  - (٣) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٤٢ .  
ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٣٥ .  
أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٦ .  
السخاوي : التحفة اللطيفة ج ٣ ص ٣٩٧ .  
ناجي معروف : المدارس الشراييه ص ٣٤٩ .
  - (٤) ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٦٨ .

(١)  
ويذكر لنا صاحب كتاب شفاء الغرام أن الزنجبيلي توفي قبل سنة ٦٢٠ هـ  
ومن المرجح أن يكون التاريخ الأول هو التاريخ الصحيح لبناء هذه المدرسة  
كما أن الرباط أوقف هذه السنة .

ويذكر لنا المؤرخون أن الدراسة فيها كانت على مذهب الإمام أبي—  
 حنيفة النعمان . (٢) وللمدرسة عدة أسماء منها : المدرسة الفخرية نسبة للامير  
 فخر الدين والاسم المتعارف عليه هو مدرسة التنجيبيلي نسبة الى مؤسسها  
 فخر الدين عثمان بن علي التنجيبيلي نائب عدن . (٣)

(١)  
المدرسة بدار زبيدة ، وأوقفها طاب الزمان وقصرتها على فقهاء الشافعية .

(٤) مدرسة الشهاوندى :

تقع هذه المدرسة عند الدريية . وقد أسست فى أوائل القرن السابع  
الهجرى . ولم تذكر لنا المصادر لماذا سميت بهذا الاسم . ومن هم  
فقهاءها . (٢)

(٥) مدرسة ابن أبى زكريا :

سميت بذلك نسبة الى على بن أبى زكريا ويعرف بأبى ظاهر المؤذن  
وأوقفها باسم الامام الشهيد ، ولا يعرف شئ عن المدرسة سوى ما ذكره  
الفاسى فى كتابه . (٣)

- 
- (١) الفاكهى : المنتقى ص ١٠٤ .
  - النهر والى : الأعلام ص ٩٨ .
  - (٢) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٤٤ .
  - الفاسى : العقد الثمين ج ١ ص ١١٨ .
  - معروف : المدارس الشراييه ص ٣٥٠ .
  - (٣) الفاسى : تحصيل الغرام ورقة ٦٥ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ .
  - ناجى معروف : المدارس الشراييه ص ٣٥٠ .

(٦) مدرسة أبي الحداد المهدوي :

وتعرف هذه المدرسة بمدرسة الاشراف الادارسة وتاريخ وقفيتها في شهر ربيع الثاني سنة ٦٣٨ هجرية . أوقفت على المالكية ولايعرف من أوقفها ولا شرط وقفيتها . وكانت الدراسة فيها على مذهب الامام مالك . (١)

(٧) المدرسة المظفرية :

في سنة ٦٤١ هجرية ، أنشئت مدرستان في مكة . الاولى المظفرية والثانية الفخريه (٢) وتعرف بأسماء عديدة " الفخرية - مدرسة الشلاج - أو المنصورية - أو مدرسة السلطان " . ويظهر لنا أن هذه الاسماء الخمسة ، أطلقت على هذه المدرسة نسبة الى الاسم واللقب ، أو نسبة الى الواقف أو المتولى أمره هذه

---

(١) الفاسي : تحصيل المرام ورقة ٦٦ .

ناجي معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٥٠ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٠ .

المدرسة . فالفخرية نسبة الى فخر الدين ، والشلاج نسبة الى فخر الدين الشلاج أمير مكة . والمنصورية نسبة الى المنصور صاحب اليمن ، الذى عمرها على يد الأمير فخر الدين الشلاج . ومدرسة السلطان نسبة الى السلطان السابق ، وتسمى المظفرية نسبة الى الملك المظفر صاحب اليمن . (١)

ويذكر ابن بطوطه (٢) فى رحلته عن هذه المدرسة أنه سكن بها وجلس فى حلقات الدرس . وكان مقبلا فى الشباك الذى يشرف على المسجد الحرام ، وجلس فى حلقات درس الفقيه الزاهد الحاج أبو الحسن على بن رزق الله الانجلى من أهل طنجة . ويصف ابن بطوطه (٣) هذه المدرسة فيقول : ان لها رواقين من الداخل ، رواق يشرف على الكعبة ، تجاه الركن اليمانى . والآخر يشرف على مخرج باب العمرة . وبداخلها فناء بنيت فيه بركة وسبيل باسم الملك المنصور صاحب اليمن .

- 
- (١) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٥٠-١٥٤ .  
القاسى : شفاء الغرام ، ج ١ ، ص ٣٣٢ .  
ناجى : المدارس الشراعية ص ٣٥٢ .  
(٢) ابن بطوطه : الرحلة ص ١٥٥ .  
(٣) المصدر السابق ص ١٥٦ .

ويضيف صاحب كتاب "العسجد المسبوك" <sup>(١)</sup> ان أخت السلطان الملك

المنصور صاحب اليمن وزوجته حجت سنة ٦٤٥ هـ • وسكنتا بهذه المدرسة  
طوال فترة اقامتهما بمكة • وانهما أمرتا بخفر بئر داخل المدرسة من أجل توفير  
المياه لطلبة هذه المدرسة لسقيا الطلاب • ولكي يظل السبيل مملوءاً بالماء ،  
خدمة لطلب العلم •

ومن المعلوم أن الأمير شرف الدين الشرايين المستنصر العباسي بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام من باب بني شـ—————  
واقف على هذه المدرسة كتباً كثيرة • وتاريخ وفتية هذه المدرسة سنة ٦٤١ هـ  
وظلت المدرسة حتى أواخر القرن العاشر الهجري ثم أهملت بعد ذلك •  
وبنى بجوارها رباط على أن يكون ملحقا بالمدرسة وسكن للطلبة—————  
والدارسين • (٢)

- (١) الفسافي : العسجد المسبوك ص ٢١٠ .  
 (٢) النهروالي : الاعلام ص ٢٥١ .  
 ابن ظهيره : الجامع اللطيف ص ١١٨ .  
 ناجي معروف : المدارس الشراعية ص ٣٧١ .



ويصف ابن فهد (١) في كتاب اتحاف الوري بأن مكتبة هذه المدرسة

كانت تضم كتباً نفيسة في فنون العلم والمعرفة .

وذكر ابن بطوطة (٢) في الرحلة وصفاً للمدرسة وللرباط معا فيقول :

انهما تتكونان من طابقين تقام بهما المدرسة .

كما يذكر صاحب كتاب المدارس الشرايية (٣) أنه لم يعثر على أسماء

المدرسين أو الفقهاء بهذه المدرسة على الرغم من أنها ظلت تقام فيها الدراسة

ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف منذ تأسيسها حتى زمن الموءرخ قطب الدين

الدين النهرواني .

ووءكد لنا صاحب كتاب المدارس الشرايية (٤) أنه أتى الى مكة

لأداء الحج والعمرة سنة ١٩٥٤ ميلادية ، وبدأ يتجول عند باب السلام ،

من الجانب الايمن لملاحظة مابقى من أطلال هذه المدرسة الشرايية ، فرأى

ببقايا من المباني القديمة . كما وجد عدداً من الحجرات الصغيرة تشبه

---

(١) ابن فهد : اتحاف الوري ورقة ٢٥٥ .

(٢) بطوطة : الرحلة ص ١٥٨ .

(٣) ناجي معروف : المدارس الشرايية ص ٣٧٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

الخلاوى • ويبدو أنها من حجرات رباط الشرابى • وهى تشبه فى الحجم والسعة ومادة البناء شرابية بغداد • وهذا يوضح أن التصميم والبناء فى كل من شرابية بغداد وواسط ومكة كان على أيدى مهندسين معماريين من العراق أوفدهم الشرابى لبناء المدارس • كما أنه لاحظ الرباط الذى بجـوار المدرسة ، والذى بناه وكيل الشرابى فى مكة الشهاب ربحان ، كما لاحظ أمكنة التدريس بهذا الرباط •

ويذكر بأن هذا الرباط ظل قائما حتى العهد العثمانى • وكانت أوقاف الشرابى على طلبة هذه المدرسة والمدرسين بها قسرى فى وادى مروقى أخرى فى وادى نخلة على أن يتم توزيع ربح هـــــهـ الاوقاف بشرط هذه الوقفية • (١)

وقد وقف الواقف على المدرسين والفقهاء والسكان بالمدرسة والرباط ما اشتراه من حدائق فى وادى مرو وادى نخلة من أعمال مكة المشرفة •

---

(١) ابن فهد : اتحاف الورى ورقة ٢٥٦ •  
الفاكهى : المنتقى ص ٢٤١ •  
النهر والى : الاعلام ص ٢٦٠ •  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٦٢ •

وجعل ريع ما يحصل عليه منها كل سنة خمسة أقسام ، قسم للمدرسين بالتساوي فيما بينهم وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية ، والقسم الأخير يقسم ثلاثة أقسام :  
قسم يصرف على مصالح المدرسة من ..... والماء ..... والقسمان  
الآخران يصرفان لخدمة المدرسة والمكتبة . (١)

ومن المعلوم أن هذه المدارس أنشئت في مكة المكرمة اهتمت بدراسة العلوم الدينية وأهمها القرآن وعلومه فقد كان الشغل الشاغل للمدارس تدريس العلوم الدينية على المذاهب الأربعة فمدرسة الزنجبيلي اقتصت بتدريس المذهب الحنفي . ومدرسة ابن الحداد بتدريس المذهب المالكي . وأما الشراعية فقد اهتمت بتدريس المذاهب الأربعة وعلوم اللغة . وأما المدرسة المظفرية فقد اقتصت بتدريس فقه الشافعي وعلم الحديث والرواية . (٢)

- 
- (١) ناجي معروف : المدارس الشراعية ص ٣٧٦ .
  - (٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ١٥٤ .
  - الفاسي : شفاء الغرام ، ج ١ ص ٢٤٠ .
  - ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، ص ١٠٥ .
  - النهر والي : الاعلام ، ص ٩٨ .
  - باقاسي : بلاد الحجاز ، ص ١٣٦ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدارس التي ظهرت في مكة فـسـى  
هذه الحقبة الزمنية أنشأها الحكام المسلمون من خارج مكة ولعل ذلك  
سببه الرئيسى مكانة مكة بالنسبة لقلوب المسلمين ولهجرة أكثر العلماء المهتمين  
بالعلوم الدينية الى مكة ولذا فان هذه الحقبة أدت الى رواج هذه المدارس  
وتولى هؤلاء الحكام أمر هذه المدارس وأوقفت أوقاف مختلفة لها

\* \*

### الكتاتيب :

للكتاتيب دور علمى هام فى الحياة العلمية والثقافية فى بلاد الحجاز  
ومن المعروف أن الكتاب ظهر كمؤسسة تعليمية مع بداية نشوء الدولة  
الاسلامية منذ بداية العهد الاسلامى . اذ يعتبر الكتاب هو المؤسسة  
التعليمية التى وجدت فى المجتمع الاسلامى ليهتم بتربية الصغار . وسعى  
بهذا الاسم لأن الطفل يتعلم فيه الكتابة والقراءة . ثم انتشر هذا الاسم حتى  
صار متعارفا على أية مؤسسة تعليمية تعتنى بتعليم الصغار . (١)  
ومن الواضح أن الكتاب نشأ مع نشوء المسجد ليسهم فى نشر العلم  
والمعرفة ومع بداية نشوئه كان مقره المسجد . (٢) ومن أهم العلوم التى ساهم  
الكتاب فى نشرها ، قراءة القرآن الكريم ، وحفظه وتجويده . وجميع علماء  
الدولة الاسلامية تتلمذوا فى هذه الكتاتيب فى بداية حياتهم . (٣) فمثلا

- 
- (١) النهروالى : الاعلام ص ٢٦٣ .  
الشامخ : التعليم فى مكة والمدينة ص ١٤ .  
السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٧ .  
(٢) مرزوق بكري : المسجد محور للنشاط ص ٥٠٥ .  
(٣) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٣٦٣ .  
الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٣٣٣ .

الامام الشافعى درس فى طفولته فى مكة • وقراً على يد مقررئها الكبير ابن قسطنطين سنة ١٧٠ هجرية • (١) • حينما انتقل الى مصر سنة ١٩٨ هجرية ادخل الى المصريين قراة المكيين وهى التكبير من سورة الضحى الى آخر القرآن الكريم بعد أن انتشرت فى مصر منذ الفتح الاسلامى قراة ورش التى كانت تكون المدرسة المصرية فى القراة (٢) • وجاء الامام الشافعى فادخل لهم قراة المدرسة المكية (٣) ومثال ذلك قراة الآية : " ذلك أدنى ألا تعدلوا " وهى قراة مكية • وأما القراة المصرية " ذلك أدنى الا " وهناك أمثلة كثيرة فى اختلاف القراءتين • (٤)

وللمدرسة المدنية دور فى التحام المدرستين معا اذ أن ورش هو من تلامذة المدرسة المدنية • والمدرسة المصرية تشبه الى حد كبير المدرسة المدنية

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج ٢ ص ٢١٠ •
  - ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٣٢ •
  - الحسينى : الحياة العلمية ص ٣٢ ، ٣٣ •
  - (٢) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٤٣٤ •
  - خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص ١١٢ ، ١١٣ •
  - دار المعارف بمصر ١٩٧٥ •
  - (٣) السبكى : طبقات الشافعية ج ١ ص ١٨٨ •
  - (٤) خورشيد : القرآن وعلومه فى مصر ص ١١٨ •

التي رفع لواءها نافع واستطاع تلاميذته أن يجعلوا من قراءته مثلاً آخر  
للمدرسة المدنية في مصر ، وعلى رأسهم تلميذه ورش أحمد بن صالح  
الطبري . (١)

وقد تتلمذ ورش على غير نافع مثل اسماعيل وعبد الحميد أبناء أخت  
الامام مالك . (٢) وهذا فقد اشبهت المدرسة المصرية المدرسة المدنية  
في وجوه القراءات المختلفة كالوصل والوقف والمد اللازم وإثبات الألف  
في الوصل . (٣)

ومن المعلوم أن تاريخ القراءات ارتبط ارتباطاً وثيقاً بقراءة مكسرة  
والمدينة ، فالمدرسة المصرية والبصرية والكوفية ومدرسة بغداد ودمشق تتشابه  
وتتحد في قراءتها مع المدرستين المكية والمدنية (٤) والنظام المتعارف  
عليه في الكتاتيب هو تعليم الأطفال قراءة القرآن ومساعدتهم على

- 
- (١) خورشيد : القرآن وعلومه في مصر ص ١١٨ .
  - (٢) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٢٤ .
  - (٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨ .
  - (٤) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٤٠ .

على حفظه وتلاوته تلاوة جيدة . (١)

وقد سبق أن أوضحنا ذلك في الباب الرابع من هذه الرسالة عند الحديث عن العشر الاواخر من شهر رمضان واحتفالهم بحفظ أطفالهم للقرآن واحتفالهم في أيام الوتر منها .

\* \*

---

(١) القاسي : شفاء الخرام ، ج ١ ص ٣٣٢ .  
السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ص ٢١٨ .  
الحسيني : الحياة العلمية ص ٣٣ .



### حلقات الدرس فى الأريطة :

أما النوع الأخير من النظام التعليمى فهو حلقات الدرس فى  
الأريطة والزوايا • فان عموم الأريطة التى انشئت فى مكة والمدينة كان  
يسودها طابع الدراسة (١) ، لأن الذين يسكنون فى الأريطة هم  
طلبة العلم • كما كان يوجد أريطة خاصة للصوفية وأهمها رباط  
الخطون الذى انشئ وأوقف سنة ٥٧٧ هجرية • ومكتوب على بابيه  
ان هذا الرباط أوقف وحبس على الصوفية الرجال الصالحين من العرب  
والعجم • والذى أوقفه هى الشرفة فاظمة وهذا الرباط كانت تقام  
فيه حلقات الدرس والذكر والتدريس فيما بينهم (٢) •

ولا يتضح لنا مدى التقدم العلمى فى هذا الرباط فى نفوس الطلاب ،  
بل يظهر فى نفس الطلاب الحرارة الروحية والشوق للتقرب الى الله •

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ •  
السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ١٥٦ •  
السبكى : طبقات الشافيه ج٤ ص ١٨ •  
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص ٨٥ •  
السخاوى : التحفة اللطيفة ص ١٥٩ •

فربما يقضى الطالب فيه سنوات عديدة دون أن يصل الى درجة روحية  
فيتخرج الطالب وهو غير صالح للتصوف . وربما يقضى طالب آخر فترة  
قصيره فيخرج من كبار أهل الطرق الصوفية (١) .

وثانى هذه الأريطة التى اشتهرت بالتصوف رباط الحوزى السنى  
أوقف سنة ٦١٧ هجرية . وقد أوقف على الصوفية الفرس فقط دون غيرهم .  
(٢)  
أما النوع الاخير من أنواع الدراسة وهو الأعم والاغلب فهو الدراسة  
فى المقامات الأربع فى المسجد الحرام (٣) . وفى الحرم النبوى اتخذ  
أصحاب المذاهب الاربعة زوايا فيه للدراسة والمناظرة ، فيجتمع رجال

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٤٠ .
  - الخزرجى : العقود اللؤلؤية ج١ ص ١١٠ .
  - شوقى ضيف : تاريخ الادب ج٥ ص ٤٨ .
  - (٢) الفاسى : العقد الثمين ص ٢٥٨ .
  - الفاسى : شفاء الغرام ج١ ص ٣٣٠ .
  - (٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٤٦ .
  - الفاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ .
  - السباعى : تاريخ مكة ج١ ص ٢٢٠ .

المذاهب كل على حده للدراسة والصلاة (١) . واخذ نظام الدراسة  
صبغة نظامية . واهتمت حلقات في علم الحديث والتفسير وعلوم اللغة .  
فكان الطلبة يجلسون في المقام كل حسب مذهبه ، يستمعون من مشايخهم .  
ويتدرج هؤلاء الطلبة في الاجازات حتى الطالب الى درجة علمية تتم فيها  
حفله عظيمه ، يقيمها مشايخه لاعطائه الاجازة الكبرى التي تجيز له  
التدريس في الحرمين الشريفين (٢) .

■ ■

- 
- (١) ابن بطوطه : الرحله ص ١٨٠ .  
(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٨٥ .  
السخاوي : التحفه اللطيفة ج١ ص ١٦٣ .

### العلوم العقلية :

تتمثل هذه العلوم فى علوم الفلسفة والرياضيات والطبيعة وأول العلماء الذين اشتغلوا بهذه العلوم من سكان الجزيرة العربية هو يعقوب بن اسحق الكنهي فقد صنف فى علوم الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات (١) .

وصف لنا ابن النديم (٢) فى كتابه الفهرست انه زاد فى هذه العلوم فصنف فى الطب والمنطق • وله ما يقرب من مائتين وأربعين كتاب • ويقول : انه ترجم أغلب هذه الكتب من اليونانية الى العربية •

ومن الملاحظ أن الكندي اشتهرت علومه بالبصرة التى تعلم بها وهو من أصل يمنى (٣) .

- 
- (١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ١٨٠ •
  - ابن الربيع : ذرة العيون ، ج ٢ ص ٦٨ •
  - السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٥٩ •
  - (٢) ابن النديم : الفهرست ص ٦٢ •
  - (٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٨ ص ١٠٨ •
  - خيرالدين الزركلى : الاعلام ج ٦ ص ١٣٧ •

ومن المعلوم أن اليمن تعتبر أكثر اقاليم الجزيرة العربية اشتراكا فى مراكز العلوم . وفى بداية العصر العباسى الثانى برز عالم يمنى هو أبو محمد الحسن الهنداوى الذى صنف المصنفات المختلفة . ومن أهمها كتاب " سرائر الحكمه " وهو يختص بعلم الفلك كما انه ألف فى الطب والانساب والتاريخ : وله كتب عديدة فى علوم مختلفة (١) .

ومن الملاحظ ان الدعوة الاسماعيليه زمن الدولة الصليحية ساعدت على نشر علوم الفلسفة . ولقد اتخذت من رسائل اخوان الصفا دعاية لنشر هذه العلوم . وبرز دعاة الفاطميين فى هذه العلوم .

ولقد انتشرت علوم المعقولات والمحسوسات (٢) . ويبدو أنه بعد سيطرة الرسوليين على اليمن والحجاز برزت علوم الطب وعلوم الفلك والرياضيات والهندسة فى هذه الفترة الزمنية . ويعود السبب الى تشجيع سلاطين بنى رسول للعلماء ، واغداق الاعطيات والهبات لهم (٣) .

---

(١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٣ .

(٣) الخزرجى : العقود اللؤلئيه ج ١ ص ١٨٦ .

ابن الربيع : قره العيون ج ٢ ص ٦٧ .

### علم الملاحة :

برز علم الملاحة في الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الهجري • وبدأ يزدهر هذا العلم مع دراسة للرياح والشواطئ • والجزر في البحر الأحمر والمحيط الهندي • وهذا ساعد على اتصال الهند وجزر الهند الشرقية • وانتقال الحضارات بين الجزيرة العربية وهذه الأقاليم (١) • ومن أشهر هؤلاء البحارة هو شهاب الدين أحمد بن ماجد الذي ولد سنة ٨٣٠ هجرية • وكان ينظم الشعر ويجيد النثر وله أواجيز وقصائد تبلغ العشرين كانت مخصصة في علم البحار والفلك والملاحة • وألف كتاباً في أصول علم البحر والقواعد • وهو من ضمن مخطوطات مكتبة باريس (٢) • ويختص هذا الكتاب في الملاحة والبوصلة والاسطرلاب (٣) • ومعرض لكتب الملاحة التي قبله •

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٠١ •

الغساني : المسجد المسبوك ص ٢٢٩ •

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي ج ٥ ص ٦٣

(٣) المرجع السابق : ص ٦٤ •

ويذكر ثلاثة من البحارين هم : سهل بن أبان ومحمد  
ابن شاذان وليث بن كهلان ، معتمدا في ذلك على كتيب شرعليه  
لسهل بن أبان كان تاريخه سنة ٥٨٠ هجرية (١) .

ومن الواضح أن ابن ماجد استفاد من هؤلاء الملاحين الذين  
سبقوه ، وشيد بهم ، إلا أن معارفهم البحرية تدل بأنها لم تتجاوز  
البحر الأحمر والخليج العربي . ويقول في كتابه : ان هذا العلم  
قد توارثه عن ابيه عن جده ، لذا فان عائلته كانت تشتهر بالملاحظة .  
وهو أبرزهم لما صنفه من مصنفات (٢) .

ولقد استفاد الملاحون البرتغاليون من ابن ماجد وعن طريقه  
استطاعوا الوصول الى الهند (٣) .

- 
- (١) حسين الصيرفي : علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية  
العدد ٢٤ مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٤٢ .
  - (٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .
  - (٣) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٦ ص ٦٢ .

## العلوم الدينية :

### ( أ ) التفسير والحديث والفقه :

من الثابت أن العلوم الدينية انتشرت في جميع امصار الدولة الاسلامية .  
فالجزيرة العربية شاركت واشتركت في نشر هذه العلوم والمعارف ، اذ انه  
لم توجد فوارق بين بلد وبلد . ولم يكن طلاب العلم مكثفين بالأخذ من  
علماء بلدهم ، بل كانوا يرحلون للقاء العلم في مصر والعراق والشام  
ليتلقوا العلم عندهم ، وحيث أن الحج والزيارة كانتا ملتقى العلماء وطلاب  
العلم من جميع الاقاليم (١) فمثلا العالم الفقيه عبد الملك بن عبد الله  
النيسابوري كان من علماء الفقه ، أتى الى مكة وجاور بها سنة  
٤٧٨ هجرية وقلت بها أربع سنوات قضى جزءا منها بالمدينة المنورة ،  
ولقب بامام الحرمين . فكان يدرس ويجتهد في فقه الامام الشافعي

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٣٤ .

ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ ص ٦٨ .

خورشيد : القرآن وعلومه ص ٢٣٠ .



حتى وصفه علماء بغداد بأنه وقف على المشرق والمغرب لمجزهم  
امامه في بعض المسائل الفقهية (١) .

ولما بلغت شهرته في بغداد عاد الى بلده نيسابور اذ أمر  
نظام الملك وزير السلطان الب أرسلان ببناء مدرسة له في نيسابور .  
وكان يقوم بالتدريس فيها حتى يقال بان حلقته كان عدد طلابها ما يقرب  
من أربعمائة طالب (٢) .

واشتهر في مكة علماء آخرون اشتهرهم محب الدين الطبري المكسي  
لقب بشيخ الحرك المكسي ولد سنة ٦١٥ هجرية . وتلمذ على يــــد  
استاذة أبي الحسن بن علي بن المقير درس على يده علوم الحديث .  
وبرع في علم الرواية . ثم قرأ صحيح مسلم على يد عبدالرحمن بن حزمي  
المشهور بالحافظ . وتلمذ على أعمامه من عائلة الطبري امشال  
على بن يعقوب الطبري . وتلمذ على شيخ الحرم المكسي

- 
- (١) السبكي : طبقات الشافيه ج١ ص ٢٤٨ .  
ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ ص ٣٠٤ .  
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٧ ص ٥٧٨ .  
المكناسي : درة الحجاج ج ٣ ص ١٣٤ .

نجم الدين التبريزي • وهو الذي اسند اليه مشيخة الحرم المكسي  
سنة ٦٤٩ هجرية (١) •

ومن تلامذته المحدث عبيد الله بن عبدالعزيز المهدوي المكي  
ونجم الدين بن عبد الحميد وعلاء الدين العطار وشمس الدين بن مسلم  
الحافظ الديماطي • وهو من قضاة المدينة (٢) • وقد برع تلامذته  
في علم الحديث في الحجاز ومغداد ومصر • وقد استنداء المظفر  
الرسول وسمع منه مؤلفاته • وسمع منه علوم الحديث وصحح للملك  
المظفر كتاب العمدة • وهذا الكتاب جمع فيه احكام الصحيحين وهو  
كتاب مختصر (٣) •

ومن أهم كتب الطبري كتاب القرى لقاصد أم القرى وقد حققه الاستاذ  
مصطفى السقا جمع فيه احاديث المناسك من كتب السنة • ولن كتاب  
آخر يسمى غاية الناسك من احكام المناسك بصف فيه حجة النبي صلى الله  
عليه وسلم (٤) •

- 
- (١) الفاسي : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ •
  - (٢) المصدر السابق ج٧ ص ١١٩ •
  - (٣) الفاسي : العقد الثمين ج٧ ص ١١٩ •
  - (٤) مرداد : نشر النور والزهر ج١ ص ٧٨ •

ومن مصنفاته الفقهية شرحه على كتاب التنبيه لابي اسحق الشيرازي .

وله مختصرات في غريب القرآن منها : الكافي (١) .

ومن المفيد أن نذكر أن محب الدين الطبري كان رمزاً للحركة العلمية

في بلاد الحجاز في هذه الحقبة الزمنية . وسمعتة فافت جميع اقطار

الجزيرة العربية (٢) .

ومن المعلوم ان علم التفسير نشط نشاطاً عظيماً كعلوم الحديث .

فنلاحظ أن الطبري خدم التفسير خدمات جليلة . وأهمها كتابه الجامع

لتفسير القرآن . وقد توفي قبل ان يكمله ويتمه (٣) .

وقد سبقه من علماء التفسير الامام الزمخشري محمود بن عمر الذي

جاور بمكة قبيل فترة الطبري ، ولقبه الفاسي في كتابه بانه الامام الكبير

---

(١) أنظر الطبري : القرى لقاصد ام القرى ص م تحقيق مصطفى

المسقا .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٧ ص ١٢٠ .

ابن العماد : شذرات الذهب ج٥ ص ٢٢٦ .

مرداد : نشر النور والزهر ج٢ ص ٣٦٦ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ج٧ ص ١٢٣ .

فى التفسير اذ صنف كتابه الكشاف بمكة المكرمة الذى ضمنه آراءه ،  
الاعتزاليه ، ولقبه ابن خلكان بانه كان امام عصره وان تفسيره الكشاف لم  
يؤلف مثله من قبل وقام بتدريس كتابه فى مكة • وكان يعتز بآراءه  
قاضى مكة ابي المعالى يحيى بن عبد الرحمن الشيبانى (١) .

• •

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج٧ ص ١٢٣ •  
ابن العماد : شذرات الذهب ج٥ ص ٢٣٠ •

مشاهير العلماء والقضاء والمجاورين بالحرمين :

لقد ازدهرت الحركة العلمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن  
الخلفاء الفاطميين والايوبيين وبنى رسول . ولقد اقتضرت هذه الحركة  
على حلقات المدربين في المسجدين الحرام والنبوي قبل نشأة المدارس  
النظامية في الربع الاخير من القرن السادس الهجرى . ولقد برزت عائلات  
اشتهرت بعلمها فأوقفت ابناءها على هذه الحركة (١) .

وتعدنا المصادر التي تخص هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث بذكر  
العلماء الذين جاؤوا في كلتا المدينتين مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولا يكاد  
يخلو مصدر من هذه المصادر من التحدث عن هؤلاء العلماء الذين  
جاؤوا وسرؤا حتى أصبحت أهميتهم بالغة في الحرمين الشريفين (٢) .

- 
- (١) بن فهد : اتحاف الورى ، ورقه ٢١٥ ، القاسى : العقد  
الشرين ج٢ ، ص ١٠١ ، النهروالى : الاعلام ص ٧٨ ،  
السباعى : تاريخ مكة ج١ ص ٩٣ .  
(٢) السخاوى : التحفه اللطيفه ج١ ص ٤٠ ، ابن بطوطه : رحله  
ص ٥٤ ، بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ، ص ٤٠٣ ،  
السباعى : تاريخ مكة ج١ ص ١٠٣ .

ربما لاشك فيه أن هؤلاء المجاورين كانوا من المصريين ، والسبب واضح في أن هذه الفترة ارتبطت بالحجاز فيها بمصر ارتباطا وثيقا .  
ويأتى من بعدهم في العدد والعدة الشاميون والعراقيون من بعدهم ثم المغربيون وأخيرا اليمنيون ، إذ أن أكثرهم كانوا مصريين ، والسبب هو قرب المسافة بين البلدين ، وارتباط أشراف مكة بالخلفاء الفاطميين لذا كان من السهل انتقال العلماء من مصر إلى الحجاز . وربما كانت قلة العراقيين ترجع إلى اختلاف الخلافة العباسية مع أمراء مكة والمدينة (١) .

من الواضح أن هؤلاء المجاورين ربما كانوا شارا من مختلف أوصاف الدولة الإسلامية ، أتوا إلى مكة للمجاورة ، أو لتقديم الصدقات للفقراء في الحرمين الشريفين . وربما كان بعض هؤلاء الكجاورين يأتون إلى مكة ليقضوا فترة من عمرهم الزمنى للراحة والصفاء الروحى (٢) . وربما

- 
- (١) السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٤٨ ، الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٦٨ ، بن بطوطة : الرحلة ، ص ٧٦ ،  
ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين ج١ ص ٢١٠ .  
(٢) المقرئى : السلوك ج٢ ص ١٧٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج٢ ص ١٢١ .

كان بعضهم يأتون للمجاورة ويقضون بقية عمرهم الزمنى فى مكة ،  
حتى صاروا جزءا من المجتمع المكي والمدنى (١) . وربما كانت هجرة  
أغليبيتهم من منتصف القرن الثالث الهجرى . وسبب ذلك يرجع إلى  
كثرة الاضطلة التى انشئت فى هذه الحقبة الزمنية بكلتا المدينتين .  
وانشاء المدارس النظامية فى مكة ساعد على استقرارهم . فاصبحوا بذلك  
يقولون المناصب العلمية فى هذه المدارس العلمية (٢) .

ولقد اشتهرت بعض هذه العائلات التى استقرت فى مكة والمدينة  
والذين اصبحوا متخصصين بالعلم ونهج ابناؤهم على نهجهم العلمى  
واشهر هذه العائلات آل الطبرى وآل ظهيره القرشيين وآل النويرى .  
وحز منهم اسماء كثيرة ، استطاعوا ان يشاركوا حتى فى القضاء (٣) .

- 
- (١) المقرئى : السلوك ج٢ ، ص ١٨٠ .
  - (٢) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٢٩ ، والنهر والى : الاعلام ص ١٩٨ ،  
بن ظهيره : الجامع اللطيف ص ٦٨ .
  - (٣) الطبرى : الزج المسكى ، ورقه ٧٦ ، ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين  
ج١ ص ١٩٦ ، السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٠٨ .

ومن الثابت أن آل الطبري خرج من نسائهم عالمات كن يجزن رواية الحديث الذي اخذن روايته عن آبائهن بالعلماء (١) .

ومن الثابت أن منصب الخطابة كان ينتقل في ثلاث بيوت هي : بيت الطبري ، بيت ظهيره ، بيت النويري . وأقدم هذه البيوت هو بيت الطبري . وأول من قدم منهم الى مكة المكرمة هو الشيخ رضی الدين أبوبكر ابن محمد بن ابراهيم بن علي الحسيني الطبري سنة ٥٧٠ هجره (٢) . وقد انجب الشيخ رضی الدين سبعة أولاد أصبحوا كلهم فقهاء وعلماء ومدرسين وقضاة وخطباء حتى توفي سنة ٦١٣ هجرية (٣) .

وذكر القاسي (٤) في كتابه العقد الثمين انه توفي في عوفات سنة ٧١٣ هجرية . ومن الملاحظ أن وظيفة القاضي في الحجاز ، تعتبر الوظيفة الثانية بعد ولاية مكة والمدينة المنورة . ولا بد أن يكون قاضي البيت

- 
- (١) القاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٢٦٦ ، القلقشندی ، صبح الاعشى ج٨ ص ١٤٠ . النهروالي : الاعلام ص ٢٨٨ .  
(٢) بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٢٥ ، القاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٢٧٦ ، السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ١١٨ .  
(٣) القاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٢٨٢ ، دحلان : خلاصة الكلام ص ٥٠ .  
(٤) القاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٢٨٦ .



الحرام والمسجد النبوي من كبار العلماء والفقهاء • ومن أشهر من  
تولى منصب القضاء من عائلة الطبري هم : القاضي محيي الدين أبو جعفر  
أحمد بن أبي بكر بن إبراهيم الطبري المكي ، الذي ولد بمكة سنة  
٥٢٣ هجرية • وتلقى تعليمه على يد زاهر بن رستم ويوسف الهاشمي  
وأبي المطهر بن علوان وأبي بكر بن حرز الله • وتفقه عليهم وتلمذ على  
أيديهم في علوم شتى • وتولى القضاء محيي الدين أبو جعفر واستمر فيه  
حتى توفي سنة ٦١٤ هجرية (١) • وكان أخوه تقي الدين أبو الحسن على  
ابن أبي بكر بن إبراهيم الطبري المكي إماما للمقام وخطيبا للمسجد  
الحرام (٢) •

ومنهم أيضا أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن الحسن الشيباني الحسيني  
الطبري الذي تولى أمر قضاء مكة سنة ٥٤٠ هجرية • وقد عاصره أبو القاسم

- 
- (١) بن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٢٦٢ ، ابن العباد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ٢٢٨ ، المخطوط : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٢١٠ •  
(٢) الفاسي : العقد الثمين ج١ ، ص ٣٣١ ، ابن العباد : شذرات الذهب  
ج٦ ، ص ٢٨٠ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٢٣٥ •

الطبرى الذى تولى أمر قضاء مكة سنة ٥٥١ هجرية (١) .

ولقد تولى أمر القضاء بمكة من هذه العائلة ايضا عبدالكريم بن يحيى  
عبدالرحمن الشيبانى الطبرى المكى الشافعى . ويبدو مما ذكره الفاسى  
انه توفي القضاء سنة ٦٤٢ هجرية . واستمر فى هذا المنصب حتى  
عزل فى شوال سنة ٦٤٥ هجرية (٢) .

ومن أشهر قضاة المدينة المنورة أبو الطيب الحسنى الخنقى الازهرى .  
وقد وفد من مصر وتلمذ فى الازهر الشريف ثم رحل الى المدينة ففى  
منتصف القرن السادس الهجرى وتولى أمر القضاء فيها . ومن ابناءه أحمد  
وعباس اللذان توليا أمر الخطابة والامامة بالمسجد النبوى الشريف (٣) .  
ومن أشهر قضاتها أيضا الحاج أحمد الاندلسى الذى تولى أمر القضاء  
أيضا فى بداية القرن السابع الهجرى . ومن أشهر القضاة أيضا القاضى

---

(١) السخاوى : التحفة اللطيفة ج ٢ ، ص ٤٠ ، المقرئى ، السلوك

ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، مرداد : نشر النور والزهر ج ١ ، ص ٣٨ .

(٢) الفاسى : العقد الثمين ج ٤ ، ص ٢٢٤ ، النهر والى : الاعلام

ص ١٨٢ ، السباعى : تاريخ مكة ج ١ ، ص ٢١٢ .

(٣) بن العماد : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

أحمد المغربي المالكى الغربانى ، قدم المدينة سنة ٦٠٠ هجرية وتولى  
أمر القضاء بها سنة ٦٢٥ هجرية . وتوفى سنة ٦٧٠ هجرية وهو لا يزال  
بمهنة القضاء . ومن ابنائه عبدالقادر الذى تولى أمر القضاء بالمدينة  
بعد والده . وأما عبدالقادر فكان يقوم بتدريس المذهب المالكى فى  
رباط المغاربة بالمدينة المنورة (١) .

ومن المعلوم أن تعدد القضاة فى بلاد الحجاز قد صاحبه أيضا تعدد  
العلماء الوافدين الى الحجاز . والذين كانوا يهدفون من وراء ذلك  
المجاورة والتعليم . ومن أشهرهم أبو عبدالله محمد بن على بن اسماعيل  
اليمنى الشافعى الذى استوطن بمكة . ولغزارة علمه اسندت اليه رئاسة  
الفقه والحديث . واستمر بمكة حتى سنة ٦٠٩ هجرية (٢) .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج١ ، ص ٢٣١ ، النهروالى : الاعلام ،  
ص ١٩٢٨ ، بن ظهيره : الجامع اللطيف ، ص ٩٨ ، السباعى :  
تاريخ مكة ج١ ص ٢١٢ .

(٢) بن العماد : شذوات الذهب ، ج١ ، ص ٢٣٤ ، الفاسى : العقد  
الثمين ج١ ، ص ١٣٦ ، السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ، ص ٣٣٥ .

ومن العلماء ايضا الشيخ مكيين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم محمد  
الاصفهانى الاصل • البغدادى المولد • وقد تفقه فى مذهب الامام مالك  
ثم رحل الى مكة وتتلذذ على يد مشايخها أحمد بن أبى بكر الطبرى • وظل  
يتتلذذ على يده حتى اتيح له التدريس بالمسجد الحرام • واستمر يمارس  
هذه المهنة اعواما حتى توفى سنة ٦٠٩ هجرية (١) .

ويعتبر الشيخ أبو بكر بن ابراهيم بن محمد الارصى من أشهر علماء  
الفقه الشافعى بمكة المكرمة • وقد نزل بها • واستمر فى مهنة التدريس  
بالمسجد الحرام حتى توفى سنة ٦١٣ هجرية (٢) .

أما الفقيه الشافعى امام الدين أبو طالب عبد المحسن بن أبى العميد  
الذى تولى أمرا مامة مقام الشافعى فانه تلقى علومه بهمدان وبغداد • ثم  
رحل فى طلب العلم الى القاهرة ودمشق • واجيز من الجامع الأزهر

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج٣ ص ٦٦٨ • بن فهد : اتحاف الورى •  
ورقة ٢٢٥ • بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٢٠ • مراد :  
نشر النور والزهر • ج٢ ص ٧٦ •

(٢) بن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٣١ • مراد : نشر النور  
والزهر • ج٢ ص ٨٠ • السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٨ •

اجازة التدريس ، فأتى الى مكة وأقام برباط المراغى وأصبح امام  
المقام طوال حياته حتى توفي سنة ٦٢٤ هجرية (١) .

وأما الشيخ تاج الدين أبو القاسم الخضر بن عبد الواحد بن عيسى  
ابن الخضر الشافعى ، فقد كان من فقهاء الشافعية ، أتى الى مكة  
واستوطنها وأخذ يدرس فى الحرم الشريف سنة ٦٢٦ هجرية ، حتى  
وفاته سنة ٦٣١ هجرية (٢) .

أما المحدث المعزى جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر بن عثمان  
البجائى الذى يكنى بأبى الفضل ولد سنة ٥٨٨ هجرية ، وتلمذ على  
يد أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى فى بغداد ، ودرس علوم الحديث  
بها . ثم أتى الى مكة ، وقام بالتدريس فى المسجد الحرام والمدرس  
المنصورية المظفرية ، وتلمذ على يده الحافظ شرف الدين الدمياطى

- 
- (١) القاسى : العقد الثمين ج٣ ص ١٦٨ .  
السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ٢٤٥ .  
ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٧ .  
مرداد : نشر النور والزهر ج٢ ص ١٥٥ .  
(٢) القاسى : العقد الثمين ج١ ص ٢٤٨ .  
النهرى : الاعلام ص ٢١٩ .  
مرداد : نشر النور والزهر ج١ ص ٨١ .



اجازه التدريس في المسجد الحرام • واستمر بمكة حتى توفي بها  
سنة ٥٧٣ هـجرة (١) .

ومنهم جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الفتوح المكبسي  
أمام المالكية بالحرم الشريف ، أتى الى مكة سنة ٥٨٨ هـجرة ، وجاور  
بها ، وألف كتاب المقرب الذي يقع في ستة مجلدات وتوفي سنة ٥٩٢ هـجره •  
أما الامام ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عمر النوروزي (٢) فقد  
تلقى علومه الدينية على يد أبي الحسن شهاب الدين وقرأ عليه كتاب  
عوارف المعارف وكتاب العروض ، وأتى الى مكة سنة ٦٢٠ هـجرة • ودرس  
بمدرسة المالكية التي أسسها ابن الحداد المهدوي بالشبيكة في مكة ،  
وكان يسكن برباط المغاربة امام باب ابراهيم عليه السلام وتوفي بمكة (٣) .

- 
- (١) ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٤ •  
مرداد : نشر النور ج١ ص ١٨١ •  
(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٤ ص ٢٤٥ •  
ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ٢٧٤ •  
(٣) ابن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٣١٨ ، ابن العماد : شذرات  
الذهب ، ج٦ ص ٢١٢ ، النهر والي : الاعلام ص ٢٣٨ •

وكان لفقهاء الحنابلة وعلمائها دور في الحياة العلمية في هذه  
الحقبة الزمنية ومن أشهرهم أبو محمد مبارك بن علي بن الحسين البغدادي  
امام الحنابلة بالحرم المكي تلقى علومه على يد أبي الحسين عبيد الله البيهقي  
دلائل النبوة • ودرس على يده تاريخ الازرقى • وتلمذ على يد  
أبي القاسم محمد بن أحمد المقرئ • وقام بالتدريس في الحرم المكي  
منذ سنة ٥٧٥ هجرية (١) .

أما أبو الفتوح محمد بن عبدالله الخبيلي امام الحنابلة بالحرم الشريف  
فانه تلمذ في بغداد ثم رحل الى القاهرة ثم توجه الى مكة المكرمة  
واستوطن بها ودرس فيها حتى توفي سنة ٥٩٠ هجرية (٢) .

ومن أئمة الحنابلة ايضا الذين وفدوا الى مكة المكرمة نصريين محمد  
ابن علي بن ابي الفتوح الهمداني المعروف بالحصري • قرأ القرآن الكريم

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ج٤ ص ٢٧٢ • ابن طهيرة : الجامع  
اللطيف • ص ١٨٠ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج١ ص ١٣٢ • النهر والى : الاعلام ص ١٣٧ •  
ابراهيم رفعت • مرآة الحرمين ج١ ص ٢١٠ •  
السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ٢٢٥ .



على يد ابي بكر محمد بن عبدالله وأبي الكرم المبارك الشهرزوري وتلمذ  
على يد الشريف ابي طالب سنن ابي داود وعلى يد ابي زرة المقدسي  
سنن النسائي وابن ماجه ، وخصائص القرآن الكريم ، وتلمذ على يد  
جماعته من الحفاظ برهان الدين والضياء المقدسي والشيخ الحصري .  
وخج من بغداد الى مكة وجاور بها ، وعين اماما لمقام الحنابلة  
بالمسجد الحرام (١) .

ومن اشهر علماء وفقهاء الاحناف أبو الفتح بن علي بن أحمد بن محمد  
الحنفي امام الحنفية بالمسجد الحرام ، تلمذ على يد المبارك بن الطباخ  
وعلى يد الشيخ نجيب الدين ، ودرس على يدهم اخبار مكة للازرقى ، تولى  
امامة مقام الحنفية سنة ٦١٦ هجرية (٢) .

أما النساء فقد برزن من عائلة الطبري واشهرهن زينب بنت القاضي

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ج٥ ص ١١٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ١٨٠ ، السخاوي : التحفة اللطيفة ج١ ص ٤١٠ ، النهر والي :  
الاعلام ص ١٨٦ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج٢ ص ٢٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ٢٣٠ ، مرداد : نشر النور ج٢ ص ٧١ .

الحافظ التي اخذت عن والدها علوم الحديث وتعلمت على يده ع  
الرضي الطبري وهو ابن عمها . ولقد برزت السيدة الطبرية بنت القاضي  
ابي جعفر في علم القراءات وتعلمت على يد والدها ، وكانت تجيز ابنائها  
في القراءات (١) .

ولقد لعبت المدينة المنورة دورا بارزا في الحياة العلمية التي تخص هذه  
الحقبة الزمنية . وكان من اشهر علمائها عبد الله بن محمد بن ابي الحسن  
السعودي الهذلي وقد تولى اقامة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم  
سنة ٦٢٠ هجرية (٢) .

أما الشيخ أحمد بن عبد اللعين محمد فقد تعلمت على يد المحمـد  
أبو محمد عبد العزيز المهدي القسطلاني سنة ٦٤٧ هجرية . ولقب بشيخ  
الحجاز . أما العالم المضيف أبو محمد عبد السلام محمد بن مزروع المغربي  
البصري المكي فزيل المدينة فقد تعلمت على يد أبي القاسم بالبصرة وعلى يد  
شيخ الحرم بدر الشهابي . ويقال انه حج اربعين حجة متوالية قدم فـى  
أكثرها من المدينة وكان يقوم بتدريس الحديث في المسجد النبوي الشريف .  
(٣)

(١) بن فهد : اتحاف الوري ، ورقة ٣٣٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب  
ج٦ ص ٨٧ ، مرداد : نشر النور ، ج٢ ص ٦٩ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠ ، ابن العماد شذرات الذهب ج٦ ص ١٤٢ .

(٣) السخاوي : التحفة اللطيفة ج٢ ص ٢٣١ ، المراغي : تحقيق النضرة ص ٨٢ .

### (ب) علم القراءات :

بدأ الاهتمام بعلم القراءات في عهد الخليفة علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — ويرجع السبب في ذلك الى اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول عدد كبير من الاطّاجم في الاسلام ووقوعهم في أخطاء لغوية ونحوية اثناء تلاوتهم للقرآن الكريم ما جعل الخليفة علي — كم الله وجهه — يكلف ابا الاسود الدؤلي بوضع القواعد اللغوية والنحوية ليسير عليها كل قارئ \* ودارس للقرآن الكريم \* وقد سار على نهج الخليفة علي — معاوية بن ابي سفيان ومن بعده خلفاء المسلمين (١) .

ولم تظهر مدارس القراءات المختلفة الاّ من منتصف القرن الثاني الهجري اذ بدأ لكل قارئ مدرسة خاصة به فمثلا عاصم كانت تشتهر به مدرسة الكوفة \* وحمزة والكيماي كانت تشتهر بهما مدرسة البصرة \* وقد انتقلت القراءات الى اقاليم الدولة الاسلامية فقراءة عاصم أخذها قراء مصر الذين يسند أيتنشرون في كل مكان ويسير على نهجهم قراء عديدون في أماكن مختلفة (٢) .

---

(١) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١١٢ .

الحسيني : الحياة العلمية ص ٤٧ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٨ .

الفاسي : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٣٢ .

شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٧٠ .

لقد انتشرت القراءات السبع مع بداية القرن الرابع الهجرى واشتهرت  
بعض القراءات فى كل من الحرمين الشريفين (١) . ففى مكة كانوا يفضلون  
قراءة نافع وفى المدينة كانوا يفضلوا قراءة ابن كثير . وظلت القراءتان  
متداولتين جيلا بعد جيل (٢) .

وأشتهر من القراء أبو يحيى المكي المتوفى سنة ٣٤٤ هجرية . وأبو عبدالله  
البلخى الذى ولد سنة ٣٧٢ هجرية . ويذكر لنا الفاسى فى العقد  
الثلثين أشهر القراء فى مكة والمدينة (٣) .

\* \* \* \*

- 
- (١) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١١٢ .
  - الحسينى : الحياة العلمية ص ٤٨ .
  - (٢) خورشيد : القرآن وعلومه ص ١٣٧ .
  - (٣) الفاسى : العقد الثمين ج ٤ ص ٣٣٤ .
  - شوقى ضيف : تاريخ الادب ج ٥ ص ٧٣ .
  - الحسينى : الحركة العلمية ص ٤٩ .

### علم الكلام :

وأما علم الكلام فلم ينتشر في بلاد الحجاز فلم يكن له نصيب يذكر في حلقات العلم ، ولم يهتم به علماء الحجاز ، ولقد اهتم به علماء اليمن وفقهاؤها ويظهر واضحا في مصنفاتهم وكانوا ينفضون آراء المعتزلة في كثير من المواقف ومثل ذلك كتاب الحروف السبعة في الرد على المعتزلة للمواغبي (١) .

أما علماء الزيدية فانهم ناصروا آراء المعتزلة ، وتابعوهم في القول بخلق القرآن ، وألقوا كتابا سموه " الدافع للباطل من مذهب الحنابل " ورد على الحنابلة ردا غنيا (٢) .

ومن المعلوم أن الامام زيد بن علي زين العابدين امام مذهب الزيدية تتلمذ على يد واصل بن عطاء صاحب مذهب المعتزلة .

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ج١ ص ٥٠٦ .

العباسي : عدة الاخير ص ٢٥١ .

(٢) العباسي : عدة الاخير ص ١٩٥ .

لذا فان مذهب الزيدية أخذ بآراء المعتزلة ، مما أدى الى نمو آراء  
الاعتزال في مذهب الزيدية وانتشارها في اليمن . واستمر تأليف الكتب  
الكلامية من أئمة علماء الزيدية مثل كتاب شرح القلائد في علم الكلام ،  
والأدلة على الله في التوحيد ، وألفت كتب عديدة في معرفة رجال  
المعتزلة (١) .

\* \* \*

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ج٤ ص ٣٣٠ .

### علم اللغة :

وما تجدر الإشارة اليه أن جميع امصار الدولة الاسلامية  
قد اشتركت فى التراث اللغوى والنحوى • ولذا لم يظهر كتاب من  
كتب اللغة فى بيته من بيئات الدولة الاسلامية الا نجده قد نقل  
الى البيئات الاخرى فى جميع المجالات اللغوية وغيرها • وساعد على  
ذلك الرحالة • وما قاموا بجمعه من كتب • كما أن بعض العلماء  
اذا فقد كتابا ولم يستطيع الحصول عليه نادى فى يوم الحج فيخبره  
من علم بهذا الكتاب (١) .

وكان العلماء يرون ان علومهم لا تكتمل الا اذا رحلوا شرقا وغربا  
ولمناظرة العلماء امثالهم وقراءة الكتب المختلفة الخاصة بالعلم أو الفن  
الذى يواد التعمق فيه (٢) .

ولقد اهتم علماء الحجاز بعلم اللغة ، كما اهتموا بعلم

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج٤ ص ٣٣٦ •

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج٤ ص ١٨٩ •

النحو وسرز علماءهم فى ذلك (١) . ومن أشهرهم عبد الله بن طلحة  
الاندلسى المتوفى سنة ٥٢٣ هجرية . وله مؤلفات عديدة فى  
اللغة ، وشرح ابيات سيويه (٢) . ومن كبار اللغويين الحسن  
ابن محمد الصاغى الذى توفى سنة ٦٥٠ هجرية . وكان قد جاور  
بمكة . وهو من أهل بنجاب . رحل الى مكة ومغداد فى طلب العلم  
وتتلمذ على ائمة علماء مكة فى اللغة ، ولف كتباً عديدة فى معاجم  
اللغة من أمثال التكملة والذيل والصلة وكتب النوادر فى اللغة  
والعباب الزاخر (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا العالم لم ينشأ فى الجزيرة ولا فى أى  
بلد غرسى وإنما نشأ فى الهند . ومع هذا استطاع ان يجيد اللغة

---

(١) القامى : العقد الثمين ج١ ص ٢٨٠

السخاوى : تحفة اللطيفة ج١ ص ٩٥

مرداد : نشر النور والزهر ج١ ص ١٥

الأنصارى : تحفة المحبين ص ٢٤

(٢) القامى : العقد الثمين ج٤ ص ١٢٦

ابن العباد : شذرات الذهب ج٤ ص ٢٥٠

(٣) القامى : العقد الثمين ج٣ ص ١٤٩

ياقوت معجم الأدباء ج٧ ص ٢٢٠



العربية حتى أصبح طالما من علمائها ثم اتى من بعده ابن عبد المعطى  
أحمد بن محمد الملقب بنحوى الحجاز . وهو من اصل مغربى ، تتلمذ  
فى مصر على يد علمها ابن حيان الغرناطى . قرأ على يده كتاب  
التسهيل لابن مالك . جاور بمكة واجتاز للتدريس بها ، واشتغل  
بتعلم العربية والعروض وتوفى بمكة سنة ٧٨٨ هجرية (١) ، واتى من  
بعده محمد بن أبى بكر المرجانى . وهو من ائمة العربية كان يقوم  
بتعليمها بمكة والمدينة وقرى الحجاز (٢) .

ولا غرو أن اهتمام علماء الحجاز بعلم البلاغة وأعجاز القرآن كان  
واضحا فقد سار علماء العربية على نهج كتاب الامام على كرم الله وجهه  
" نهج البلاغة " ورز من علماء البلاغة فى الحجاز على بن ميثم البحرانى  
المتوفى سنة ٦٧٩ هجرية . فتحدث فى مؤلفه عن البيان . وزعه على  
ثلاث قواعد الأولى لداسة الالفاظ والثانية لداسة المعانى والثالثة لداسة  
الخطابة (٣) .

- 
- (١) الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٤٢٩ .
  - السخاوى : التحفة اللطيفة ج١ ص ١٦٩ .
  - (٢) ياقوت : معجم الأدباء ج١٣ ص ٢٤٣ .
  - الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٢٩٢ .
  - السخاوى : التحفة اللطيفة ج٢ ص ٧٨ .
  - (٣) الفاسى : العقد الثمين ج٢ ص ٢٨٠ .

ومن أهم علماء البلاغة أيضا الامام الزيدى اليمنى يحيى  
ابن حمزة العلوى صاحب كتاب التبيان فى علم البيان ، ونهاية  
الايجاز فى درايه الاعجاز والطراز المتضمن لاسرار البلاغه وعلـوم  
حقائق الاعجاز • وقد طبع فى ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة ١٩١٤م (١) .

ولقد برز علماء اليمن فى هذه الحقبة الزمنية بسبب انتشار التشيع  
فيما بينهم •

❖ ❖

---

(١) شوقى ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ج ١ ص ٣٥ •

### الأدب :

من الواضح أن القرنين الرابع والخامس الهجريين امتازا بنمو اللغة وكثرة تغيراتها المختلفة • فنلاحظ أن اللغويين في هذا العصر بدأوا مرحلة تبسيط اللغة من قواعد النحو والصرف • ودونوا دواوين الشعراء • كى يتفقه الناشئون فيها • وشارك الشعراء هؤلاء في هذا الصنيع (١) • ويعود السبب في مشاركتهم أنهم شعروا بصعوبة اللغة وبدأوا يسيطون الشعر وعدم الخوض فى غرائب اللغة كى تكون سهلة التداول من قبل المتلقين لها (٢) •

وقد ساعد ذلك كله الناشئين من ائمة العربية والوقوف على كثير من اسرارها • كما أن علماء الكلام اخذوا يعتنقون

- 
- (١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٦٨ •
  - (٢) المقرئى : الخطط ج٢ ص ٢٥٣ •
  - الباخرزى : دمية القصر ص ٢٩ •
  - شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٦٩ •
  - أحمد سيد محمد : الشخصية المصرية فى الأدبين ص ٧٣ •

بالصيغ البلاغية التي يفهمها هؤلاء الناشئون<sup>(١)</sup> . وأكبر  
مثل على ذلك الجاحظ وكتاب البيان والتبيين . فقد صور لنا فيه  
كثيرا من أسرار البيان العربي تصويرا يتيح للشباب أن يصل للمعروفه  
دون مشقة . وان يتذوق هذه الخصائص<sup>(٢)</sup> . والأمثال كثيرة في  
هذا الصدد . مثال ذلك المبرد صاحب كتاب الكامل . لذا فان هذا  
العصر قد خدم الناشئين في تذوق الأدب . وأصبح الأدب ميسورا  
لكل طالب علم . فيستطيع الناشئ ان يقرأ ديوانا شعريا دون عناء<sup>(٣)</sup> .  
كما أن دواوين الخلفاء امتازت بتوفر الكتب الماهرة في هذه  
الحقبة الزمنية . لكي يكونوا بمثابة موظفين بديوان الانشاء .

- 
- (١) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٤٤ .  
شوقي ضيف : تاريخ الادب ج ٥ ص ٦٩ .  
" " : " " " " " " ص ٧٠ .  
(٢) أحمد بدوي : الحياة الادبية في عصر الحروب ص ٢٦ .  
أحمد سيد : الشخصية المصرية ص ٧٣ .  
(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٢٦ .  
الفاسي : العقد الفريد ج ١ ص ٢٨٠ .



معايير أخرى ليست من طبيعته أو من بيئته • وهذا المبدأ  
التزم به علماء العربيه في سائر امصار الدولة الاسلاميه (١) • فاستخدموا  
الاساليب التي توافق العصر آنذاك وتلائم الزمن • فبرز الكتاب في  
جميع المجالات الأدبيه المختلفه • ونشأ نظام المقامات • وكتاب  
الانشاء والشعراء وعلماء اللغة • وأهم عامل من عوامل الأدب ظهور  
الشعر في هذه الفترة الزمنية (٢) • وسنتكلم عن ذلك تفصيلاً •

❖ ❖

- 
- (١) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ص ٧٤ •  
(٢) الباخريزي : دمية القصر ص ٢٩ •  
شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٧٤ •

### الشعر :

ظل الشعر في الجزيرة العربية طوال هذه الحقبة لهذا البحث ينهل من ينابيعه القديمة التي امتازت بها الجزيرة العربية شرقها وغربها شمالها وجنوبها • فنشط الشعر في الحجاز (١) • وفي كل أنحاء الجزيرة العربية وخاصة مكة التي استقر فيها عدد كبير من الشعراء وامتلاّت كتب التراجم بأشعارهم حتى أن أمراءها من الحسينيين كانوا يجيدون نظم الشعر والتغنى به (٢) • فقد كان الشعر غذاء المجالس • وانتشرت دواوين الشعر للشعراء المشهورين • وامتاز هذا الشعر بالتزامه باللغة العربية الفصحى (٣) •

- 
- (١) ابن العماد : شذرات الذهب ج٣ ص ١٣٨  
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٥ ص ٤٩  
القاسمي : العقد الثمين ج٤ ص ٢٩  
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ١١٢ •  
ابن العماد : شذرات الذهب ج٣ ص ١٤٢  
القاسمي : العقد الثمين ج٤ ص ١٠٢  
الباخري : دمية القصر ج١ ص ٣١ •  
(٣) المرجع السابق : ج١ ص ٣٢ •

ولم يأخذ علماء اللغة فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ،  
اللغة والشعر عن مكة والمدينة • والسبب يعود الى أن هاتين المدينتين  
نح اليهما كثير من الموالى (١) ، مما جعل علماء العربية لا يعتدون  
بهما فى وضع قواعد اللغة العربية • بسبب اعجميتهم واستمرارهم  
بالمجاورة فى مكة والمدينة • واشتغالهم بالتدريس واجادتهم اللغة  
ونظم الشعر زاد من أهمية هاتين المدينتين فى هذا العصر • وكذلك  
لمناظرتهم علماء اللغة الذين يفدون فى موسم الحج أدى الى نبوغتهم  
فى اللغة (٢) • وكان منهم اساتذة كثيرون يعملون الناس اللغة  
العربية فى الحرمين المكي والمدنى • وكان منهم من يقوم بتعليم  
الصبية فى الكتاتيب مما أدى الى تمكنهم فى العربية • وادخال عبارات  
أعجمية فى الفاظ عربية (٣) •

- 
- (١) شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٨٩ •
  - (٢) الباخيزى : دمية القصر ج ١ ص ٣٢ •
  - ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٥ •
  - (٣) الناس : العقد الثمين ج ٤ ص ٢٠٨ •
  - السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٤٨ •



وذكر لنا عمارة اليمنى فى كتابه " الفيد فى اخبار زبيد " أن  
هؤلاء الوافدين الأعجم كانوا يجيدون العربية • وقد تتلمذ على  
أيديهم • ولم يشعر بأن واحدا منهم لحن فى شئ من الكلام (١).

وصف لنا عمارة اليمنى انتشار اللغة العامية فى الجزيرة العربية  
فيقول بأن مدن الحجاز واليمن تأثرت بهؤلاء الوافدين من الأعجم،  
فلحنوا فى لغتهم أما الجوادى فظلوا يحتفظون بنصاحة كلامهم (٢).

ومن الجدير بالذكر أن الشعر فى هذه الحقبة الزمنية كان يمثل  
الوانا مختلفة وكان يدور على السنة الناس • والشعر الذى أنتشر  
فى جميع أقاليم الجزيرة العربية هو شعر الغناء الصناعى واشتهر زمن  
سلاطين بنى رسول (٣) • وهذا الشعر لا يلتزم بقاعدة فى موسيقى العروض

---

(١) عمارة اليمنى : الفيد فى تاريخ اليمن ص ١٢٢ •

(٢) المصدر السابق ص ١٢٥ •

السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ٢٩٠ •

(٣) الباخزى : دمية القصر ص ٣٨ •

الخزجى : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٤٠ •

السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٢٤ •

وتكثر فيه المسهلات والموشحات • وظالما كانت تسوده اللغة  
العامية والجيد منه كان يؤدى باللغة الفصحى (١) •

ويرى الدكتور شوقي ضيف (٢) أنه من الشعر النبطى • والأرجح  
أن هذا الشعر كان متعارفا لدى جميع الناس فى شبه الجزيرة  
العربية • ومنه خرج الشعر النبطى • لأن النبطى لم يكن لديه  
قاعدة طمة • أما الصنعانى فانه كان يتغنى به الناس • وهو يشبه  
الموشح فى مقاطعة •

أما النبطى فهو نثر منظوم ولم يكن شعرا • وكان علماء اللغة  
آنذاك لا يعتبرون الشعر النبطى شعرا لكثرة اللغة العامية فيه •  
وخلوه من الفصحى • وعلى الرغم من ذلك فانه لم يعتبر شعرا له  
ازدهاره فى تلك الحقبة الزمنية • وقد انتشر هذا الشعر فى الهوى

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج٦ ص ١٣٢ •

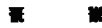
شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٣ •

على السليمان : العلاقات الحجازية ص ٢٣٤ •

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٤ •

وكان الحداة يميلون لاستخدام الشعر النبطى فى قوافلهم  
دائماً (١) .

وقد نشطت الحركة الشعرية فى هذه الحقبة الزمنية بسبب كثرة  
الوافدين الى الحجاز ، وهجرة بنى عقيل الى الحجاز واختلاطهم  
بالمداين فى العراق . وقد أدى ذلك الى نشاط واسع فى الشعر  
فى هذه الحقبة الزمنية (٢) .



- 
- (١) السباعى : تاريخ مكة ج١ ص ١٩٣ .  
(٢) شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٥ .

### الشعراء :

نبع في هذه الفترة شعراء كثيرون في اليمن والحجاز • والسبب في ذلك قيام دول صغيرة في اليمن • وأدى ذلك الى جذب الشعراء الى اليمن لكثرة الاعطيات والهبات من قبل امراء اليمن لهم (١) •

ومن اشهر هؤلاء الشعراء أبو الحسن التهامي وابن أبي مرة المكسي الذي يلحن بشاعر الحرمين ولقد يبرز امراء الحجاز وعلى رأسهم أبو الفتح أمير مكة الذي كان يعيل دائما الى نظم الشعر (٢) • ولقد وصفه ابن مرة في هذا البيت :

ياسيد افديته بروحى

خولك الله ابا الفتح (٣)

- 
- (١) السباعي : تاريخ مكة ج١ ص ٢٩٧ •
  - (٢) الباخريزي : دمية القصر ج١ ص ٣٨ •
  - شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ٩٦ •
  - ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ١١٧ •
  - المكناصي : درة الحجال ج٢ ص ٦١ •
  - (٣) الباخريزي : دمية القصر ج١ ص ٣٢ •

ويذكر لنا الباخزى فى كتابه دمية القصر<sup>(١)</sup> أن الشعراء  
اشتهروا فى مدن الجزيرة وبين قبائلها وقد حددتهم بقوله : " انهم  
مجموعة من المكيين والمدنيين ومن المثقفين واليمنيين ومنهم  
العامري والاسدي والبكري والفساني والشيحاني والهمداني  
وجميعهم يمثلون شعراء الجزيرة العربية حتى منتصف القرن الخامس  
الهجرى • وبعض هؤلاء الشعراء رحلوا الى بغداد وانشدوا القصائد  
بين يدي وزير السلاجقة نظام الملك فاعطى لهم الأعطيات  
والهبات المختلفة •

ومن اعلام الشعراء فى هذه الفترة الامير شكرين ابي الفتوح • ويذكر  
لنا الباخزى نماذج من شعره أهمها قوله :

وصلتني الهمم وصل هواك  
وجفاني الرقاد مثل جفائك  
وحكى لى الرسول انك غضى  
يا كفى الله شر ما هو حاك<sup>(٢)</sup>

---

(١) الباخزى : دمية القصر ج١ ص ٣٣ •

(٢) المرجع السابق : ج١ ص ٣٧ •

وهذان البيتان مطلع قصيدة قالها الشرف شكر سنة ٤٥٣ هجرية يعاتب بنى هلال وكان يشترك معهم فى أقاصيصهم • وحدث بينه وبينهم سوء فى العلاقة مما أدى الى أن تحتال القبيلة عليه فتأخذ ابنتها منه • فأنشد هذه القصيدة :<sup>(١)</sup>

ولنقصائد فى الشجاعة والمواقف الحاسمة والشعور بالكرامة  
ورفضه الصنيع ومن هذا الشعر قوله :

قوض خيامك عن أرض تضام بها  
وجانب الذل ان الذل يجتنب  
وارجل اذا كان فى الأوطان منقصة  
(٢) فالمدل الرطب فى اوطانه حطب

وذكر الباخريزى<sup>(٣)</sup> فى كتابه نماذج شعره لشاعر

- 
- (١) الباخريزى : دمية القصر ج ١ ص ٣٨ •  
(٢) الباخريزى : دمية القصر ج ١ ص ٤٠ •  
شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ٩٨ •  
(٣) الباخريزى : دمية القصر ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ •

الحرمين الشريقين المجاشعي في مدحه لنظام الملك  
وزير السلاجمة منها قوله :

فنبتهتهم والنوم كحل عيونهم  
بمدح نظام الملك أهل المدائح  
يجود بمضمون الشراء تكروما  
إذا قام غلات النفوس الش

ومن أهم شعراء هذه الفترة الشاعر أبو الفضل جعفر بن يحيى الحكاك  
المكسي وله قصيدة في الفخر بنفسه يقول فيها :

نوقر من جماحك في الزمام  
وأسفر عن قناعك واللثام  
ومنهم أيضا الشاعر هذاب بن دهمم الشيباني ومن نمانج  
شعره في مدح نظام الملك :

ما خلق الله تعالى وجل  
مثل وزير الوزراء الاجل

أروع كالتصل ولكنـــــــــه

(١) أمضى من النصل اذا ما بعل

وينضم الى هؤلاء الشعراء الامير على بن محمد الصليحي مؤسس الدولة  
الصليحية في اليمن . وكان يجيد شعرا الفروسيه ، ومن نماذج شعره  
قوله :

زوجت بيض الهند سمر رماحهم

فرؤوسهم عوض النثار نثار

وكذا الملا لا يستباح زواجهما

(٢) الا بحيث تطلق الأعصار

ويصور في هذه القصيدة معاركه مع خصومه الذين هزمهم وترتب على  
انتصاره بسط نفوذه على بلاد اليمن والدعوة للفاطميين ونشر المذهب  
الاسماعيلي (٣) وقال أنه حينما دخل الحجاز انشد قصيدة لاميته في  
الدعاية للمذهب الشيعي ، ويتعرض فيها لمعاركه الحربية ، ورد عليه  
الحسين بن يحيى الحكاك المكي بقصيدة على الوزن والقافية يعرفه بأن الحق

---

(١) الباخري : دمية القصر ج١ ص ٤٧ .

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ج٥ ص ١٠٣ .



لا يؤخذ بالباطل ومظلمها :

رويدك ليس الحق ينفسى

وليس مجد فى الأمور كهـازل

كوعك ان الدرع لبسك فى الوغى

(١) وذاك الجبن فيك غير مزايـل

ومذكر الفاسى (٢) فى كتابه " المعقد الثمين " ان الأمير الصليحى

أراد أن ينتقم من الشاعر حينما سمع هذه القصيدة ولكنه لم يستطع العثـور  
عليه لأنه كان شاعرا حريـمـين فـاخـفـاء الناس عنه حتى خرج من بلاد الحجاز .

ولا يفوتنا فى هذا المقام ان نذكر الشاعر عمارة اليمـنى وقصائده فى مدح

الخلافة الفاطمية ومدح امراء مكة . وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك فى الفصل

الأول من هذه الرسالة وشعره من الشعر السياسى (٣) .

(٤)

ومذكر ابن العماد الحنبلى ترجمة أحد امراء المخلاف السليمانى الذى

جاور بمكة بسبب خلافه مع أبناء عمومته امراء المخلاف فأقام بمكة ويسمى

" دهمش بن دهاش " وقد ذهب هذا الأمير الى صلاح الدين وهو

(١) الباخـزى : دمية القصر ج ١ ص ٥٨ .

(٢) الفاسى : المعقد الثمين ج ٦ ص ١٤٩ .

(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٠١ .

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٠ .

مقيم في حلب وقال قصيدة امامه يمدح فيها امير المدينة قاسم  
الحسيني مطلعها :

سما بكرام في ذوائبه هاشم  
غطاريف ماجدين حجاج

ويذكر لنا ترجمة سالم بن أبي سليمان • وهو مغربي الأصل ، أتى  
مكة وجاور بها ، ونظم قصائد في المديح ، واعتنق مذهب الزيدية (١)  
ولا غرابة في أن هذه الحقبة الزمنية التي تخص هذا البحث اتصفت  
بشعراء المديح • فمثلا ظهرت طائفة من هؤلاء الشعراء مدحت نظام  
الملك السلجوقي • وبرز في هذه الفترة الحكم امثال بنى عقيل فسي  
الموصل ومنو مزيد في الحلة شجعوا امراء المدائح (٢) •

ولقد برز في الجزيرة العربية شعراء • مما أدى الى ظهور روح  
التنافس بين شعراء الشام والعراق ومصر • وبرز شعراء العقائد  
ايضا • فالصليحيون في اليمن اهتموا بنشر المذهب الاسماعيلي •

---

(١) شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ١٠٤ •

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٥ ، ١٠٦ •

وال نجاح فى زبيد اهتم امراؤهم بالشعراء (١) .  
ويصف لنا عارة اليمنى (٢) فى كتابه المختصر أن لأحد امراء  
آل نجاح وهو جياش ، كان له ديوان ضخم وكان هذا الديوان كان  
يجمع بين النظم والنثر . وقد اهتم بنو زريع فى عدن بالشعراء وكان  
يدعون للمذهب الفاطمى فنظموا قصائدهم فى نشر هذا المذهب وحينما  
سيطر الايوبيون على اليمن والحجاز اهتموا بالشعراء ، واغدقوا  
عليهم الاموال ، مما أدى الى ظهور الحركة الشعرية فى المدائن  
المختلفة . وسار على منهجهم سلاطين بنى رسول الذين سيطروا على  
اليمن والحجاز من بعد سيطرة الايوبيين (٣) .

وامتاز بعض امراء مكة بنظم الشعر والتأخر بانفسهم فى  
نظمه . وأبرز شعرائهم الشريف قتادة بن ادريس الذى نظم الشعر

- 
- (١) الباخزى : دمية القصر ج١ ص ٦٢ .  
(٢) عارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٦٩ .  
(٣) أحمد بدوى : الحياة الأدبية ص ٣٥ .

وافتخر بنفسه وباسرته على غيره في هذا الغرض حيث يقول  
في إحدى قصائده :

ولى كف ضرغام أذل ببسطها  
وأشرى بها عز الودى وأبيع  
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها  
وفى بطنها للمجد بين ربيع  
أجعلها بين الرحى ثم ابتغى  
خلاصا لها انى اذا لوضع  
وما أنا الا المسك فى كل بقعة  
يضوع وأما عندكم فيضيع (١)

ونشأ شعر المراثى مواكبا لشعر المدائح ، فكان الشعراء ينظمون  
قصائد الرثاء كلما اقتضت المواقف ذلك • وكثر فى هذا العصر تأييس  
الشيوخ والفقهاء والمعلمين • وكان تلامذتهم وزملاؤهم ينظمون هذه  
القصائد ، ومثل ذلك ، شهاب الدين محمود القهرى فى

---

(١) الفاسى : العقد الثمين ج ٥ ص ١٤٨ •

ياقوت : معجم الأدباء ج ١١ ص ٦٨ •

النهرى الى : الاعلام ص ١٤٨ •

السباعى : تاريخ مكة ج ١ ص ١٢٨ •

القصيدة التي نظمها لشيخه نجم الدين الطبري قاضي مكة ومطلعها :

ما للجفون بها التسيهيد قد نـزلا  
وما لطبيب الكرى من مقلتي رجلا  
ما بال قلبي يتذكّر الهموم لـه  
شغل ودعوى ان كفته هملا  
مفتاح كنز علوم الدين كم فتحت  
(١) به بصائر قوم للورى ذللا

وقد نظمت قصائد كثيرة فى مواشى الشيوخ والامراء والعلماء فى  
الحجاز ونظمت مراسم كثيرة فى دعاة الدعوة الاسماعيلية ايضا ، ومراسم  
لسلاطين بنى رسول حتى انه لم يكن يموت سلطان منهم الا ونهال الشعراء  
بقصائدهم الحزينة تصف اهتمام سلاطين بنى رسول بالشعراء (٢) .

ولم يقتصر الشعراء على رثاء السلاطين فحسب بل رثى بعضهم أزواجه  
وأولاده بقصائد رثائية خاصة بهم (٣) .

- 
- (١) الباخيزى : دمية القصر ج١ ص ٦٣ .
  - شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١٠٩ .
  - (٢) الخرزجى : العقود اللؤلؤيه ج١ ص ٢٢٠ .
  - النهر والى : الاعلام ص ٢٢٥ .
  - (٣) الباخيزى : دمية القصر ص ٦٥ .
  - شوقى ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١١١ .

ومن الملاحظ أن أكبر بيئة عربية شهدت شعراء المدائس هي  
النبوة هي البيئة الحجازية ، لأن الزهد والتصوف قد انتشروا في  
هذه الحقبة الزمنية . فما من زاهد قصد الحج لأداء النسك ، أو قام  
بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلا وأنشد مدائحه .

ومن أشهرهم ابن عزمي إذ يقول :

مرضى من مريضه الاجفان

علاني بذكرها علاني

هفت الورق بالرياض وتاحست

(١)  
شجو هذا الحمام حاشجاني

وحذا حذوه المتصوفة ، وعلى رأسهم القشيري . وكانت أشعاره صوفية  
وجدانية . وصار على نهج ابن الفارض . وله قصائد عديدة في الزهد  
والتصوف ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا أكثر القصائد

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ج٢ ص ٢٧٤ .

الباخرزي : دمية القصر ج١ ص ٦٥ .

شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج٥ ص ١١١ .

في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> .

وأصبح المتصوفة يرددون هذه الأبيات ، كما رددوها النساك والعباد  
والمجاورون بمكة والمدينة ، على نحو ما نجد في ديوان الزمخشري حتى  
لقب ( بجار الله ) (٢) .

وتمتلي المصنفات بالزهاد والنساك الذين جاؤوا بمكة والمدينة  
وأشدوا القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . مما جعل  
البوصيري ينظم همزيتين في نحو أربعمائة وخمسين بيتا سماها " أم القرى  
في مدح خير الورى " وكذلك قصيدته الميمية المشهورة باسم البردة (٣) .

- 
- (١) النهروالى : الأعلام ص ٢٢٦ .  
السمهودى : وفاء الوفا ج ٣ ص ٧١٦ .  
الباخرزى : دمية القصر ص ٦٦ .  
شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ١١٢ .  
(٢) الخزرجى : المقود اللؤلؤيه ج ١ ص ٢٨٣ .  
النهرالى : الأعلام ص ٢٣٠ .  
شوقي ضيف : تاريخ الأدب ج ٥ ص ١١٣ .  
(٣) الباخرزى : دمية القصر ج ١ ص ٦٧ .  
السمهودى : وفاء الوفا ج ٣ ص ٧٢٠ .

### التاريخ :

لقد نشطت كتابة التاريخ في الحجاز ، كما نشطت في اقاليم الدولة  
الاسلامية كلها . ولمع كثير من المؤرخين وعلى رأسهم ابن شبه السدي  
أرخ لتاريخ المدينة في القرنين الأول والثاني الهجريين (١) .

وابن زبالة الذي أرخ أيضا لتاريخ المدينة في القرن الثاني ، وقد  
أخذ عنه السهودي في كتابه " وفاء الوفاء " والكتاب يعتبر دأثرة معارف  
كبيرة ، يعتمد عليها أبو مؤرخ يؤرخ لتاريخ المدينة المنورة (٢) .

ولقد أهتم الأزرقى فسي كتابه " أخبار مكة " الذي يعتبر أول كتاب

- 
- (١) ابن خلكان : وفیات الأبیان ج١ ص ٣٠١ .
  - السهودی : مروج الذهب ج٢ ص ٧٧ .
  - خير الدين الزركلي : الاعلام ج١ ص ١٢٨ .
  - (٢) ابن خلكان : وفیات الاعيان ج٢ ص ٥٦ .
  - السهودی : وفاء الوفاء ج١ ص ٦٨ .
  - الانصاری : تحفة المجيب ص ١٣٣ .
  - خير الدين الزركلي : الاعلام ج٢ ص ٣٠٣ .
  - السخاوی : التحفة اللطيفة ج١ ص ٤١٤ .
  - (٣) الأزرقی : تاريخ مكة ج١ ص ٤٦ .



ثم جاء بعدهم في العصر الحديث الشيخ أحمد زيني دحلان  
مفتي الشافعية ولف كتابه " خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام "  
وهؤلاء هم أشهر مؤرخي بلاد الحجاز وهم الذين قاموا بتدوين تاريخ  
بلاد الحجاز (١) .

\* \* \*

---

(١) دحلان : خلاصة الكلام ، ص ٢٠ .  
شوقي ضيف : تاريخ الادب جه ص ٨٥ .

## المصادر والمراجع

المصنف أدر

أولا : المخطوطات :

- ابن الضياء :

تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة ، دار الكتب

المصرية ، رقم ١٥٢٠ تاريخ .

- ابن فهد : ( ت ٨٨٥ هـ ) :

اتحاف الوري بأخبار أم القرى ، مكتبة الحرم المكي ، رقم ٢ ،

تاريخ .

- الأشعدي ( ت ١٠٦٦ هـ ) :

أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، مكتبة الحرم المكي ، رقم

٤٨ تاريخ .

- الرشدي :

حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج ، ميكروفيلم

معهد المخطوطات - جامعة الدول العربية ، ٢١٥٤ تاريخ .

- الصباغ ( ت ١٣٢١ هـ ) :

تحصيل المرام في أخبار بيت الله الحرام ، مكتبة الحرم المكي

رقم ٤٨ تاريخ .

- الطبرى : ( محمد بن على بن فضل بن عبد الله ) : ( ت ١١٧٣ هـ ) :
- اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن ، مخطوط مصور  
على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ٨٧٠ تاريخ .
- الطبرى : ( محى الدين على بن عبد القادر الشافعى الحسى ) ( ت ١٠٧٠ هـ ) :
- الأرج المسكى فى التاريخ المكى ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى  
رقم ٣ تاريخ .
- العينى : ( ت ٨٥٥ هـ ) ( بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى )
- عقد الجمال فى تاريخ أهل الزمان ٢٣ جزء .
- الفاسى : ( ت ٨٣٢ هـ ) :
- تحصيل المرام فى تاريخ البلد الحرام ، مخطوط مصور على  
ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ٩٣٩ تاريخ .
- سبط بن الجوزى : ( ت ٦٥٤ هـ )
- مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية  
رقم ٥٥١ تاريخ .

ثانيا : المصادر المطبوعة :

- ابن الاثير : ( ت ٣٦٠ هـ )  
الكامل فى التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
- ابن الديبع :  
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن عيسى  
الاكوع ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ابن العماره الحنبلى :  
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
- ابن النجار :  
الدرة الثمينه فى فضل المدينة ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .
- ابن الوردى :  
تاريخ ابن الوردى : جزآن ، القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .
- ابن أبيك الدودارى :  
كنز الدرر وجامع القرر ، تحقيق صلاح الدين النجى ، القاهرة  
١٩٦١ م .
- ابن بطوطه :  
رحلة ابن بطوطه ، القاهرة ، ١٩٢٩ م .
- ابن تغرى بردى :  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

- ابن حوقل :  
صورة الأرض ، طبعة لندن ، ١٩٣٨ م .
- ابن جبلي :  
الرحلة ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ابن حجر العسقلاني :  
الدرة الكامنة في أعيان المائة الثانية ، تحقيق محمد سعيد جواد  
الحق ، نيودلهي ، ١٣١٩ م .
- ابن خلدون :  
العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ابن خلكان :  
وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .
- ابن شداد :  
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه ، سيرة صلاح الدين ، تحقيق  
جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ابن تهييمره :  
الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف ، القاهرة  
١٩٣٨ م .
- ابن فضل الله العمري : ( ت ٧٤٢ هـ ) :  
مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، تحقيق أحمد زكي - القاهرة ،  
١٩٢٤ م .

ابن واصل :

مفرج الكروب في أخبار بن أيوب ، الاجزاء من ١ : ٣ ، تحقيق  
جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

— أبو الفدا :

المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

— أبو شامة :

كتاب الرضتين في أخبار الدولتين القورية والصلاحية ، تحقيق  
محمد حلمي أحمد ومراجعة محمد مصطفى زياد ، القاهرة  
١٩٦٢ م .

— الأزرقى :

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي صالح  
مكة ، ١٣٧٢ هـ .

— الأسفوفى : جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى ( ت ٧٧٢ هـ ) :

( طبقات الشافعية ، الجزء الأول ، تحقيق عبد الله  
الجاويدي ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

— الأصفهاني :

الأغاني ، القاهرة ١٩٢٧ م .

— الأنصاري : عبد الرحمن عبد الكريم الأنصاري ، تأليف ١١٢٤ هـ :

تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، تحقيق  
محمد العروس ، تونس ، ١٩٧٠ م .

— الباخري : —

دمية القصر وعصر أهل العصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

— البلاذري : —

فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٠١ م .

— الجزيري : — عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري : تأليف ٩٤٤ هـ

درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة

١٣٨٤ هـ .

— الخزرجي : —

العقود اللوئية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد —

بسيوني عسل ، القاهرة ، ١٩١١ م .

— المسبكي : — تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي :

تأليف ٧٧١ هـ

طبقات الشافعي الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، تحقيق عبد الفتاح

الحلو ومحمود الطناحي .

— المسخاوي : —

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

— السهمودي : —

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى — تحقيق محمد يحيى الديني —

عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .



— الصفـدى :

الوافى بالوفيات — الطبعة الثانية ١٩٦٢ م .

— العبـاس :

عمدة الأخبار فى مدينة المختار ، جدة ١٣٥٩ هـ .

— العـرش :

بلوغ المرام فى شرح مسك الخرام ، القاهرة ١٩٣٩ م .

— الغسانى : الملك الأشرف أبو العباس الغسانى :

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك ،

تحقيق محمود عبد المنعم ، بغداد ١٩٧٥ م .

— الفاسـى :

( ١ ) العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين — تحقيق محمد

حامد الفقى ، القاهرة : ١٩٥٩ م .

( ٢ ) شفاء الغرام لأخبار البلد الحرام ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— الفاكهـى :

المنتقى فى أخبار أم القرى ، بيروت ١٩٦٠ م .

— القيسـروز ابادى : مجد الدين أبى الطاهر محمد بن يعقوب — تأليف ٨٢٣ هـ

المغانم المطابه فى معالم طابه ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ،

١٣٨٩ هـ .

— القطبى : عبد الكريم بن محب الدين ( ت ١٠١٤ هـ )

تاريخ البلد الحرام ، الطبعة الاولى ١٣٦٧ هـ .

- القلقشندى : أبو العباس أحمد — تأليف ٨٢١ هـ :
- صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٨ م .
- الماوردى : تأليف ٤٥٠ هـ :
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- المرائى :
- تحقيق النضره بتلخيص معالم دار المهجره ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمى — القاهرة ١٩٥٥ م .
- المسعودى : تأليف ٣٩٦ هـ :
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٩٣٨ م .
- المقدسى : تأليف ٣٨٨ هـ :
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٦٧ م .
- المقرئى :
- ( ١ ) الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ( ٢ ) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .
- ( ٣ ) السلوك لمعرفة دول الملوك — الجزء الأول ثلاثة أقسام تحقيق محمد مصطفى زياده ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ( ٤ ) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا :
- الجزء الأول تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- الجزء الثانى والثالث تحقيق محمد حلى أحمد — القاهرة ١٩٧٣ م .

- النهروالى : قطب الدين النهروالى المكي الحنفى تأليف ٩٨٨ هـ :  
الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- النويرى :  
نهاية الارب فى فنون الادب - دار الكتب ، القاهرة -  
١٩٤٣ م .
- زينى دحلان : تأليف ١٣٠٤ هـ :  
خلاصة الكلام فى بيان أمراء البيت الحرام ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- عمارة اليمنى :  
تاريخ اليمن - تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- محب الدين الطبرى :  
القرى لقاصد أم القرى - تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ،  
١٩٤٨ م .
- ناهد خسرو : تأليف ٤٥٤ هـ :  
سفر نامه - نقله الى العربية يحيى الخشاب ، الطبعة  
الثانية ، بيروت ١٩٧٠ م .
- ياقوت الحموى : ت ٦٢٦ هـ  
(١) معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٧ م .  
(٢) معجم الادباء ، بيروت ١٩٦٥ م .
- يحيى بن الحسين : تأليف ١١٠٠ هـ :  
غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، جزآن - تحقيق سعيد  
عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ م .

ثالثا : المصادر الحديثه :

- ابراهيم رفعت :
  - مرآة الحرمين ، القاهرة ١٩٢٥ م .
- ابراهيم علي العياش :
  - المدينة بين الماضي والحاضر ، دمشق ١٩٧٣ م .
- أحمد السباعي :
  - تاريخ مكة — دار مكة للطباعة ، ١٣٩٩ هـ .
- أحمد السعيد سليمان :
  - تاريخ الدولة الاسلاميه ومعجم الاسرات الحاكمه — القاهرة ١٩٦٦ م .
- أحمد السيد دراج :
  - ( ١ ) ايضاحات جديدة عن تحول في تجارة البحر الأحمر ، مقال بمجلة الجمعية المصرية التاريخية ١٩٦٨ م .
  - ( ٢ ) عذاب :
  - مقال بمجلة نهضة أفريقيا ، يوليو — أغسطس ١٩٥٨ م .
- أحمد بدوي :
  - الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- أحمد بيلس :
  - حياة صلاح الدين ، القاهرة ١٩٢٠ م .

- أحمد خورشيد :  
القرآن وعلومه في مصر منذ الفتح الاسلامى حتى قيام الدولة  
الفاطمية ، القاهرة ١٩٧٦ م .
- أحمد سعيد محمد :  
الشخصية المصرية في الأدب الفاطمى ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- أحمد عبد الله الحسينى البرادى :  
الدرة السنية في أنساب الحسينيه والحسينيه ، مكة ١٣٧٥ هـ .
- اسماعيل باشا البغدادى :  
هدية العارفين بأسماء الموتى لفين بآثار المصنفين ، القاهرة  
١٩٥٥ م .
- السيد البازى العرينى :  
مصر في عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- جواد عيسى :  
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ١٩٦٩ م .
- حسن ابراهيم حسن :  
( ١ ) تاريخ الاسلام السياسى ، القاهرة ١٩٦٧ .  
( ٢ ) تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ م .  
( ٣ ) المعز لدين الله الفاطمى ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— حسن الباشا :

• الاقواب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ م .

— حسين محمد ربيع :

( ١ ) النظم المالية فى مصر زمن الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٤ .

( ٢ ) وثائق الجنيظه وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى بموانىء

الحجاز واليمن فى العصور الوسطى .

الندوة الأولى لصادر تاريخ الجزيرة العربية — جامعة

الرياض ١٩٧٧ م .

( ٣ ) البحر الأحمر فى العصر الايوبي — ندوة تاريخ البحر الأحمر

جامعة عين شمس ١٩٧٩ م .

— حسين الصيرفى :

علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية — مجلة مجمع اللغة

العربية — العدد الرابع والعشرون .

— حسين باسلامه :

تاريخ عمارة المسجد الحرام ، جدة ١٣٩٩ هـ .

— حمد الجاسر :

( ١ ) بلاد ينبع ، الرياض ١٣٨٩ م .

( ٢ ) رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض ١٣٩٩ هـ .

— خير الدين زكى :

• الاعلام ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

— ذو النون المصري :

• عمارة اليمن ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

— زكى محمد حسن :

• الفن الاسلامى فى مصر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

— سعاد ماهر :

• البحرية فى مصر الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

— سعيد عبد الفتاح عاشور :

• ( ١ ) الايوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

• ( ٢ ) الحركة الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

— سيده اسماعيل كاشف :

• مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

— شوقي ضيف :

• عصر الدول والامارات بالقاهرة ، ١٩٨٠ م .

— صبحى لبيب :

التجاره الكارميه وتجارة مصر — المجلة التاريخية المصريه — المجلد

الرابع — العدد الثانى ، ١٩٥٢ .

— عائشة بافاس :

بلاد الحجاز في العصر الأيوبي — رسالة ماجستير ، مكة المكرمة

١٤٠٠ هـ .

— عاتق البلادى :

معجم بلاد الحجاز ، مكة ١٣٩٩ هـ .

— عبدالرحمن فهمى :

السنقود العربية ماضيها وحاضرها — القاهرة ١٩٦٤ م .

— عبدالرحمن الحوت :

رسالة المسجد في رمضان — بحوث مؤتمرية رسالة المسجد ، مكة

١٣٩٥ هـ .

— عبدالعزيز الأزهرى :

قصص عكاظ ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— عبدالقادر ملاقلندل :

الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة ، القاهرة ١٩٥٠ م .

— عبدالقدوس الأنصارى :

( ١ ) آثار المدينة المنورة — بيروت ١٩٧٣ م .

( ٢ ) تاريخ مدينة جدة ، بيروت ١٩٨٠ م .

— عطيه القوس :

تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة

العباسية — القاهرة ١٩٧٦ م .



— عزيز سوريال عطيه :

العلاقات بين الشرق والغرب — ترجمة فيليب صابر ، القاهرة

١٩٧٢ م .

— على بن حسين السليمان :

( ١ ) العلاقات الحجازية المصرية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

( ٢ ) النشاط التجارى فى شبه الجزيرة أواخر العصور الوسطى —

رسالة دكتوراه فى الآداب — جامعة القاهرة ١٩٧٤ م .

— على حافظ :

فصول من تاريخ المدينة ، القاهرة ١٩٧٩ .

— على حنى الخريوطلى :

( ١ ) تاريخ الكعبة ، بيروت ١٩٧٦ م .

( ٢ ) مصر العربية الاسلاميه ، القاهرة ١٩٦٣ م .

— فؤاد سركيس :

تاريخ التراث العربى ( الجزء الأول ) نقله الى العربية فهمى

أبو الفضل — وراجعده محمود فهمى حجازى ، القاهرة —

١٩٧١ م .

— محسن محمد حسنين :

أرييل فى عهد الاتابكه ( ٥٢٢ هـ : ٦٣٠ هـ ) بغداد ،

١٩٧٦ م .

- محمد أبو الخير مرداد :

نشر النور والزهر ، جده ١٤٠٠ هـ .

- محمد الحسيني :

الحياة العلمية والأدبية في الدولة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٩ م .

- محمد أمين صالح :

(١) دراسات نقدية ، القاهرة ١٩٧٢ م .

(٢) علاقة الفاطميين بالصليبيين في اليمن ، المجلة التاريخية

المصرية ١٩٧٩ م .

- محمد أنور شكري :

لوحان أثريان ، مكة ١٣٩٦ هـ .

- محمد بهجت مختار :

الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بداية

العصر الإسلامي حتى نهاية عصر المماليك - رسالة دكتوراه -

جامعة القاهرة - ١٩٨٠ م .

- محمد جمال الدين سرور :

(١) سياسة الفاطميين الخارجيية - القاهرة ١٩٧٦ م .

(٢) النفوذ الفاطمي في الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .

- محمد حسين الذهبي :

المسجد محور النشاط - بحوث مؤتمرية رسالة المسجد ١٣٩٥ هـ .

— محمد حسين يوسف :

رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ — بحوث مؤتمري رسالة

المسجد ١٣٩٥ هـ •

محمد عبد العال أحمد :

( ١ ) الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٧٧ م •

( ٢ ) بنى رسول وبنى طاهر ، القاهرة ١٩٧٩ م •

— محمد عبد الفتاح عليان :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بنى رسول فسى

اليمن — القاهرة — ١٩٧٣ م •

— محمد لبيب البتانوى :

الرحلة الحجازية — القاهرة ١٣٢٩ هـ •

— محمود رزق محمود :

العلاقة بين أرنط أمير حسن الكرك وصلاح الدين — رسالة

ماجستير — جامعة عين شمس ١٩٧٣ م •

— ناجى معروف :

المدارس الشراييه ببغداد ، وواسط وبكة — ببغداد —

١٩٦٥ م •

— نعيم زكى فهمى :

طرق التجاره الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور

الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ م •

— يوسف أحمد :

المحمل والحج ، القاهرة ١٣٥٦ هـ •

— محمد حسين يوسف :

رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ — بحوث مؤتمري رسالة

المسجد ١٣٩٥ هـ •

محمد عبد العال أحمد :

( ١ ) الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٧٧ م •

( ٢ ) بنى رسول وبنى طاهر ، القاهرة ١٩٧٩ م •

— محمد عبد الفتاح عليان :

الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بنى رسول فى

اليمن — القاهرة — ١٩٧٣ م •

— محمد لبيب البتانونى :

الرحلة الحجازية — القاهرة ١٣٢٩ هـ •

— محمود رزق محمود :

العلاقة بين أرنط أمير حصن الكرك وصلاح الدين — رسالة

ماجستير — جامعة عين شمس ١٩٧٣ م •

— ناجى معروف :

المدارس الشهابية ببغداد ، وواسط ومكة — بغداد —

١٩٦٥ م •

— نعيم زكى قهس :

طرق التجاره الدوليه ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور

الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ م •

— يوسف أحمد :

المحمل والحج ، القاهرة ١٣٥٦ هـ •

- Dohaish, Abdul latif Abdullah, History Education in the Hijaz up to 1925, Cairo 1398 / 1978 .
- Gerold, De Guary: " Rulers of Mecca London 1951.
- Hindley, Geoffrey: Saladin, London 1976 .
- Kammerer, A : "La Mer Rouge, Paris , 1925 .
- Lewis, Bernard, " Egypt and Syria ", in The Cambridge History of Islam, Voll ( Cambridge, 1970).
- Rabie, Hassanein, The Financial System of Egypt . A.H. 564 -741 / A.D. 1169 - 1341, London, 1972 .
- Kammerer, ( Albert) :  
" La Mer Rougea travers Les Ages" , Paris ,  
1922.
- The Cambridge History of Estam", Vol. I, Cambridge, at the University Press London, 1970 .
- Arashid's A.A. Cirtical Stuc'y of The Pilgrimi Road between Kuba and Mecca " Darb Zupaydah with that did of ficld work P.H.D. Thesis University of Leeds 1977 .

جامعة القاهرة

كلية الآداب  
قسم التاريخ

الأستاذ الدكتور  
محمد جمال الدين كرو  
عضواً

لجنة المناقشة  
الأستاذ الدكتور  
براهيم صالح  
مُقرأ

الأستاذ الدكتور  
الميد عبد العزيز السام  
عضواً

بلاد البحار منذ بداية عهد الأشراف  
حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد  
(من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)



٣٠١٠٢٠٠٠٠٦٥٥٩

رسالة دكتوراه

مقدمة من

سليمان عبد الغنى مالكى

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد إمين حنا

أستاذ التاريخ الإسلامى  
كلية الآداب / جامعة القاهرة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ

بِدَايَةِ كُلِّ نِعْمَةٍ وَتَمَامِ كُلِّ خَيْرٍ

۱-۲

أهدى هذا البحث الى سيدتى الوالده الحنونه الوفية اعترافا منى لها  
بالتقدير والعرفان فأثرها فى حسن تربيتى لا أنساه مادمت حيا فبدعائها  
سرت ، وفضلها نلت الخير الذى قدره الله لى ، وثقوة ايمانها كان الطريق  
المستقيم الذى نهجته وسرت على منواله .

ولا عجب في ذلك فقد قرن الله طاعة الوالدين بطاعته سبحانه وتعالى  
فقال: " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً "  
وقضى الله لطاعتها فجميلها لا تستطيع الأقلام وصفه ولا قوة البيان شرحه  
فلها الشكر بعد شكر الهى ولها الفضل في مدى الأيام .  
وانى إذ أهدى لها هذا البحث فانما أسأل الله جل ثناؤه أن  
يجعل خالص عملي هذا في حسناتها يوم الدين يوم لا ينفع مال  
ولا بنون .

أهـدأ ولدك

ليمان



## محتويات الرسالة

الصفحةالموضوع

## الاهـداء

٢٠٠١

المقدمة مع دراسة نقدية لأهم المصادر

الفصل الأول : الحياة السياسية في بلاد الحجازأولاً : العلاقات الخارجية

٢٧ : ٢١

الحجاز قبيل حكم الأشراف

٤٣ : ٢٨

الحجاز بين الخلافتين الفاطمية والعباسية

٥٦ : ٢٤

النفوذ الأيوبي في الحجاز

٥٩ : ٥٧

ثانياً : الأحوال الداخلية

٧٠ : ٦٠

العلاقة بين الأشراف حكام مكة

٧٤ : ٧١

العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة

٨١ : ٧٥

القبائل العربية

٩٠ : ٨٢

المكوس

١٠٥ : ٩١

التنافس بين الأيوبيين وبنو رسول

١٤٧ : ١٠٦

الفصل الثاني : إمارة الحج وخدماته

١١٤ : ١٠٧

وظائف الحج

١٢٤ : ١١٥

كسوة الكعبة وكسوة الحجرة النبوية الشريفة

١٣٤ : ١٢٥

طريق ركب الحاج العراقي

١٣٩ : ١٣٥

طريق ركب الحاج الشامي

١٤٤ : ١٣٩

طريق ركب الحاج المصري

( ج )

الصفحة

الموضوع

٢٩٣	الفصل الخامس : الحياة العلمية في بلاد الحجاز
٢٩٦ : ٢٩٤	الحياة العلمية
٣٠١ : ٢٩٦	حلقات الدرس في المسجد الحرام والنبوى الشريف
٣١٢ : ٣٠٢	المدارس النظامية
٣١٦ : ٣١٣	الكتاتيب
٣١٩ : ٣١٧	الأرطة
٣٢٣ : ٣٢٠	العلوم العقلية
٣٢٨ : ٣٢٤	العلوم الدينية
٣٤٤ : ٣٢٩	مشاهير العلماء والقضاء والمجاورين بالحرمين
٣٤٦ : ٣٤٥	علم الكلام
٣٥٠ : ٣٤٧	علم اللغة
٣٧٤ : ٣٥١	الأدب والشعر والتاريخ
٣٩٣ : ٣٧٥	المصادر والمراجع

- ( ١ ) خريطة توضح موقع بلاد الحجاز ، وحدودها .
- ( ٢ ) خريطة تخطيطية لمكة المكرمة .
- ( ٣ ) خريطة تخطيطية للمدينة المنورة .

\* \* \*

# المقدمة